AIESA

# المجلة العربية مداد

علمية - دورية - محكمة - إقليمية - متخصصة
تصدر عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

AIESA

ISSN: 2537-0847

eISSN : 2537-0898

# المجلة العربية

# *mdad*

دورية - علمية - محكمة - إقليمية - متخصصة

***تصدر عن***

المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

عضو الاتحاد النوعي لجمعيات البحث العلمي وبنك المعرفة المصري

**ISSN: 2537-0847**

**eISSN : 2537-0898**

***http://mdad.journals.ekb.eg***

**DOI : 10.21608/mdad.**

***Arcif rating*: Q1**

## المجلد السابع - العدد (٢٣) أكتوبـــر ٢٠٢٣م

يتم النشر الالكتروني على المنصات الآتية

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشوره في أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي والضوابط الأكاديمية

سورة البقرة الآية: ٣٢

## هيئـــــة التحـــــرير

| | |
|---|---|
| أ.د/ هدى عطية عبدالغفار | رئيساً للتحرير |
| د. أيمن أبو مصطفى | مديراً للتحرير |
| د. أحمد صلاح كامل | عضو |
| د. محمد عبد الباسط عيد | عضو |
| أ.د/ عايدي علي جمعة | عضو |
| د. بركات رياض محمدي | عضواً |
| حسام شعبان عبدالشافي | عضواً |
| الكاتب الروائي/ نجدي عبد الستار | عضوا دوليا – ليبيا |
| الشاعر الصحفي / أحمد بشير العيلة | عضوا دوليا – ليبيا |

## الهيئة الاستشارية العلمية

| | |
|---|---|
| أ.د/ إبراهيم عـــوض | كلية الآداب جامعة عين شمس |
| أ.د/ ابتسام مرهون الصفار | جامعة بغداد بالعراق |
| أ.د/ أحمد إبراهيم درويش | كلية دار العلوم جامعة القاهرة |
| أ.د/ أحمد هنـــدي | كلية الآداب جامعة عين شمس |
| أ.د/ إيهاب محمد النجدي | الجامعة العربية المفتوحة. |
| أ.د / صالح عبد الوهـاب | كلية البنات – جامعة الأزهر |
| أ.د/ الياقوت محمد حسن | جامعة بخت الرضا - السودان |
| أ.د/طلبة عبد الستار مسعود أبوهديمة | جامعة أم القرى |
| أ.د/ عـادل ضرغـام | كلية دار العلوم جامعة الفيوم |
| أ.د / عبد الناصر هـلال | كلية الآداب جامعة حلوان |
| أ.د/ عبد الباسط سعيد عطايا | كلية اللغة العربية – جامعة المنوفية |
| أ.د/عزة شبل محمد أبو العلا | كلية الآداب جامعة القاهرة |
| أ.د/ فدوى كمال عبد الرحمن | كلية الألسن – جامعة عين شمس |
| أ.د/ محمد عبد اللطيف هريدي | كلية الآداب جامعة عين شمس |

| | |
|---|---|
| **أ.د/ محمد الطــاووس** | **كلية الآداب جامعة عين شمس** |
| **أ.د/ محمد الهــواري** | **كليةالآداب جامعة عين شمس** |
| **أ.د/ وجيه يعقــوب السيد** | **كلية الألسن جامعة عين شمس** |
| **أ.م.د/ نجــلاء احمد فؤاد** | **قسم اللغه الفرنسية.- الجامعة الكويتية** |

- تم ترتيب الاسماء حسب الدرجة العلمية وابجدياً

# ميثاق اخلاقيات النشر :

تنشر المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب من خلال اصداراتها البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة، بهدف توفير جودة عالية لقُرَّائها من خلال الالتزام بمبادئ مدونة أخلاقيات النشر و منع الممارسات الخاطئة. وتصنف المدونة الأخلاقية ضمن لجنة أخلاقيات النشر (COPE : Committee on Publication Ethics) وهي الأساس المرشد للمؤلفين والباحثين والأطراف الأخرى المؤثرة في نشر البحوث بالمجلات من مراجعين، بحيث تسعى المجلات لوضع معايير موحّدة للسلوك؛ وترغب المجلات على أن يقبل الجميع بقوانين المدونة الأخلاقية، وبذلك فهي ملتزمة تماما بالحرص على تطبيقها في ظل القبول بالمسؤولية والوفاء بالواجبات والمسؤوليات المسندة لكل طرف.

**١- مسؤولية الناشر:**

**قرار النشر:** يجب مراعاة حقوق الطبع وحقوق الاقتباس من الأعمال العلمية السابقة، بغرض حفظ حقوق الآخرين عند نشر البحوث بالمجلات، و يعتبر رئيس التحرير مسؤولا عن قرار النشر والطبع ويستند في ذلك إلى سياسة المجلات والتقيد بالمتطلبات القانونية للنشر، خاصة فيما يتعلق بالتشهير أو القذف أو انتهاك حقوق النشر والطبع أو القرصنة، كما يمكن لرئيس التحرير استشارة أعضاء هيئة التحرير أو المراجعين في اتخاذ القرار.

**النزاهة:** يضمن رئيس التحرير بأن يتم تقييم محتوى كل مقال مقدم للنشر، بغض النظر عن الجنس، الأصل، الاعتقاد الديني، المواطنة أو الانتماء السياسي للمؤلف.

**السرية:** يجب أن تكون المعلومات الخاصة بمؤلفي البحوث سرية للغاية وأن يُحافظ عليها من قبل كل الأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع عليها، مثل رئيس التحرير، أعضاء هيئة التحرير، أو أي عضو له علاقة بالتحرير والنشر وباقي الأطراف الأخرى المؤتمنة حسب ما تتطلب عملية التحكيم.

**الموافقة الصريحة:** لا يمكن استخدام أو الاستفادة من نتائج أبحاث الآخرين المتعلقة بالبحوث غير القابلة للنشر بدون تصريح أو إذن خطي من مؤلفها.

**٢- مسؤولية المحكم ( المراجع ) :**

**المساهمة في قرار النشر:** يساعد المحكم (المُراجع ) رئيس التحرير وهيئة التحرير في اتخاذ قرار النشر وكذلك مساعدة المؤلف في تحسين البحث وتصويبه.

**سرعة الخدمة والتقيد بالآجال:** على المحكم المبادرة والسرعة في القيام بتقييم البحث الموجه إليه في الآجال المحددة، وإذا تعذر ذلك بعد القيام بالدراسة الأولية للبحث، عليه إبلاغ رئيس

التحرير بأن موضوع البحث خارج نطاق عمل المحكم، تأخير التحكيم بسبب ضيق الوقت أو عدم وجود الإمكانيات الكافية للتحكيم.

السرية: يجب أن تكون كل معلومات البحث سرية بالنسبة للمحكم، وأن يسعى المحكم للمحافظة على سريتها ولا يمكن الإفصاح عليها أو مناقشة محتواها مع أي طرف باستثناء المرخص لهم من طرف رئيس التحرير.

**الموضوعية** : على المحكم إثبات مراجعته وتقييم الأبحاث الموجهة إليه بالحجج والأدلة الموضوعية، وأن يتجنب التحكيم على أساس بيان وجهة نظره الشخصية، الذوق الشخصي، العنصري، المذهبي وغيره.

**تحديد المصادر:** على المحكم محاولة تحديد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع (البحث) و التي لم المؤلف، و أي نص أو فقرة مأخوذة من أعمال أخرى منشوره سابقا يجب تهميشها بشكل صحيح، وعلى المحكم إبلاغ رئيس التحرير وإنذاره بأي أعمال متماثلة أو متشابهة أو متداخلة مع العمل قيد التحكيم.

**تعارض المصالح**: على المحكم عدم تحكيم البحوث لأهداف شخصية، أي لا يجب عليه قبول تحكيم البحوث التي عن طريقها يمكن أن تكون هناك مصالح للأشخاص أو المؤسسات أو يُلاحظ فيها علاقات شخصية.

**٣- مسؤولية المؤلف :**

**معايير الإعداد**: على المؤلف تقديم بحث أصيل وعرضه بدقة وموضوعية، بشكل علمي متناسق يطابق مواصفات البحوث المحكمة سواء من حيث اللغة، أو الشكل أو المضمون، و ذلك وفق معايير و سياسة النشر في المجلات، وتبيان المعطيات بشكل صحيح، و ذلك عن طريق الإحالة الكاملة، ومراعاة حقوق الآخرين في البحث ؛ وتجنب إظهار المواضيع الحساسة وغير الأخلاقية، الذوقية، الشخصية، العرقية، المذهبية، المعلومات المزيفة وغير الصحيحة وترجمة أعمال الآخرين بدون ذكر مصدر الاقتباس في البحث.

**الأصالة و القرصنة**: على المؤلف إثبات أصالة عمله وأي اقتباس أو استعمال فقرات أو كلمات الآخرين يجب تهميشه بطريقة مناسبة وصحيحة ؛ والمجلة تحتفظ بحق استخدام برامج اكتشاف القرصنة للأعمال المقدمة للنشر.

**إعادة النشر:** لا يمكن للمؤلف تقديم العمل نفسه (البحث) لأكثر من مجلة أو مؤتمر، وفعل ذلك يعتبر سلوك غير أخلاقي وغير مقبول.

**الوصول للمعطيات والاحتفاظ بها**: على المؤلف الاحتفاظ بالبيانات الخاصة التي استخدمها في بحثه، و تقديمها عند الطلب من قبل هيئة التحرير أو المُقيّم.

**مؤلفي البحث**: ينبغي حصر (عدد) مؤلفي البحث في أولئك المساهمين فقط بشكل كبير وواضح سواء من حيث التصميم، التنفيذ، مع ضرورة تحديد المؤلف المسؤول عن البحث وهو الذي يؤدي دوراً كبيراً في إعداد البحث والتخطيط له، أما بقية المؤلفين يُذكرون أيضاً في البحث على أنّهم مساهمون فيه فعلا، ويجب أن يتأكد المؤلف الأصلي للبحث من وجود الأسماء والمعلومات الخاصة بجميع المؤلفين، وعدم إدراج أسماء أخرى لغير المؤلفين للبحث ؛ كما يجب أن يطّلِع المؤلفون جميعا على البحثة جيدا، وأن يتفقوا صراحة على ما ورد في محتواها ونشرها بذلك الشكل المطلوب في قواعد النشر.

**الإحالات والمراجع**: يلتزم صاحب البحث بذكر الإحالات بشكل مناسب، ويجب أن تشمل الإحالة ذكر كلِّ الكتب، المنشورات، المواقع الإلكترونية و سائر أبحاث الأشخاص في قائمة الإحالات والمراجع، المقتبس منها أو المشار إليها في نص البحث.

**الإبلاغ عن الأخطاء**: على المؤلف إذا تنبّه و أكتشف وجود خطأ جوهرياً و عدم الدقة في جزئيات بحثه في أيّ زمن، أن يشعر فورا رئيس تحرير المجلات أو الناشر، ويتعاون لتصحيح الخطأ.

## شـــــــروط النشـــــــر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٣٥) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة ، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربيَّ ، والإنجليزيَّ ، كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٣).
- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠). و تستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣...Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.

- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية، الإصدار السادس.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- رسوم النشر للمصريين (١٥٠٠ جنيه) ورسوم النشر لغير المصريين أو العاملين في جهات غير مصرية (٢٠٠ دولار) .
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني أو موقعها:

search.aiesa@gmail.com

**http://mdad.journals.ekb.eg**

| محتويات العـدد | |
|---|---|
| افتتاحية العدد | - |
| **د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري** ..... تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري | ١ – ٤٨ |
| **د. عبد الله بن عبد العزيز بن إبراهيم الحسن** ..... التشكلات المفهومية لمصطلح البراجماتية عبر مسيرته الفلسفية وأثرها على التداولية - دراسة وصفية تحليلية | ٤٩ - ٧٠ |
| **د. خلود نافع الحربي** ..... الإحكام النصي في النقد الحديث | ٧١ - ٩٢ |
| **سارة محمود حسن علي** ..... التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس" | ٩٣ - ١٣٠ |
| **حسام شعبان عبدالشافي** ..... مفهوم الاستعمال في المعجمية العربية التراثية (النشأة والظهور) | ١٣١ - ١٧٠ |
| **حافظ محمد خليل** ..... الاحتجاج عند نحاة شبه القارة الهندية | ١٧١ - ١٩٤ |

## افتتاحية العدد:

بسم الله نبتدئ ( وبعد)،

لعل أهم ما ينبغي أن نصدر به هذا العدد هو حصول المجلة العربية مداد على تصنيف **Q1** في معامل أرسيف للاستشهادات العربية ، فالمجلة تنذر دفتيها لاستعاب حصاد ما ينبت من بحث علمي جاد في مجال اللغة، والتجربة الإبداعية، والدراسات النقدية، متصلا بمختلف العصور والبيئات، لا سيما تلك المساحة البينية البكر، التي تحتاج إلى مزيد من الجهد.

فقد حققت الدراسات اللغوية والأدبية والمنهجيات النقدية في حركتها المرحلية تقدما يوازيه، بل ويشتبك معه، ما تم احرازه في الحقول المعرفية على تنوعها، هذا التداخل والتواشج الذي يحكم منظومة المعرفة في علاقتها باللغة والأدب يستحيل بالضرورة (مدادا) بينيًّا واعدا يثري المنظومة البحثية المتعلقة بالحقلين؛ ومن ثم نتوخى بذل الجهد في سبيل تأصيل النهج البيني الماضي بفاعلية في الفكر المعاصر، وكشف كنوزه القابلة للاستثمار.

ولعلنا بعد ذلك كله إنما نطمح لأن تكون هذه المجلة نتاجا بحثيا بينيا، بمعنى آخر، إذ تضم باحثين ينتمون لمؤسسات علمية وثقافية من مختلف الأقطار المعنية بالعربية؛ سعيا لبناء معرفة تقوم على أساس من التراكم والتكامل.

وختاما، لا بد في هذه الافتتاحية أن نتوجه بالشكر والعرفان للمؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب التي تسعى عبر نوافدها الثقافية وفي مقدمتها المجلة العربية (مداد)، إلى الارتقاء بالثقافة ودفع أشرعة المعرفة.

والله نسأل أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ..

**هيئة التحرير**

# تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري

**Intertextuality of the symbolic ruins in Siniya al-Buhturi**

## إعداد


**د. أناهيد عبد الحميد جمال حريري**

**Dr. Anaheed A. Jamal Hariri**

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية

كلية اللغات والترجمة بجامعة جدة



***Doi: 10.21608/mdad.2023.322120***

**استلام البحث** ٢٠٢٣/٧/١٥

**قبول النشر** ٢٠٢٣/٨/٥

حريري، أناهيد عبد الحميد جمال (٢٠٢٣). تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ١- ٤٨.

***http://mdad.journals.ekb.eg***

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

## تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري

**المستخلص:**

تدور الدراسة حول استقراء التناص في سينية الشاعر العباسي البحتري، والكشف عن الرمز الكامن من خلال هذا التناص، وتهدف الدراسة إلى اقتفاء البحتري في العصر العباسي الثاني أثر الشعراء السابقين في القصيدة العربية القديمة بروح جديدة تناسب عصره، واستخدامه للتناص آلية من الآليات لإيصال معاني رمزية عميقة في سينيته المشهورة، حيث عاد الطلل للظهور في سينية البحتري ولكن برؤية جديدة حملها معالم عصره ونتاج ثقافته، وكان المنهج الذي سارت عليه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي الذي يستلهم التراث العربي الأصيل في فهم وصياغة التجربة الشعرية في العصر العباسي الثاني من خلال تحليل قصيدة السينية للبحتري، التي وقف فيها على إيوان كسرى بالمدائن واصفا ومستلهما، وجاءت الدراسة وفق الهيكل الآتي المكون من: مقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، ومدخل نظري عن التناص، ومقارنة بين الطلل القديم وإيوان كسرى بالمدائن الذي وقف عليه البحتري، ومن ثم تناول محاور التناص من خلال محورين، هما: المحور الموضوعي، ويتمثل في الآتي: التناص المكاني، والتناص الزماني، وتناص الشخصيات، والتناص الشعوري، وتناص الافتتاح والختام، والمحور الثاني هو التناص الشكلي ويتمثل في الآتي: التناص التصويري، والتناص التكراري، والتناص الترادفي، والتناص التضادي، وصولا إلى القراءة في رمزية التناص الطللي، وانتهت الدراسة لعدد من النتائج من أبرزها: أن التناص لم يكن هدفا انتهجه البحتري في سينيته، بل كان وسيلة توصله لهدفه من فهم الحاضر الذي يعيشه من تبدل الحال في الخلافة العباسية من القوة للضعف، واستشرف البحتري المستقبل القادم من تردي الخلافة العباسية من الازدهار إلى التدهور، وقد تضافرت كل المحاور الموضوعية والشكلية التي استخدمها على إبرازه لهدفه من خلال نصه المبدع.

**الكلمات المفتاحية:** البحتري – التناص – الرمزية- الطلل – المنهج التاريخي.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**Abstract:**

The study revolves around extrapolating the intertextuality in the syntax of the Abbasid poet Al-Buhturi, and revealing the latent symbol through this intertextuality. In his famous Siniyah, where the ruins reappeared in Siniyah al-Buhturi, but with a new vision carried by the landmarks of his era and the product of his culture. , in which he stood on Khosrau's iwan in al-Madaen describing and inspired it, and the study came according to the following structure consisting of: an introduction, a conclusion, a list of sources and references, a theoretical introduction on intertextuality, and a comparison between the ancient ruins and the iwan of Khosrau in al-Madaen on which al-Buhturi stood, and then dealt with the axes of intertextuality through two axes They are: the substantive axis, which is represented in the following: spatial intertextuality, temporal intertextuality, personal intertextuality, emotional intertextuality, opening and closing intertextuality, and the second axis is the formal intertextuality, which is represented in the following: pictorial intertextuality, repetitive intertextuality, tandem intertextuality, antithetical intertextuality, all the way to reading In the symbolism of allegorical intertextuality, the study ended with a number of results, most notably: that intertextuality was not a goal pursued by al-Buhturi in his early years, but rather was a means to reach his goal of understanding the present in which he lives from the change of the situation in the Abbasid caliphate from strength to weakness, and al-Buhturi foresaw the future coming from the deterioration of the caliphate Al-Abbasiya from prosperity to decline, and all the objective and formal axes he used came together to highlight his goal through his creative text.

**Keywords**: Al-Buhturi - intertextuality - symbolism - ruins - historical method.



**ISSN: 2537-0847** **eISSN : 2537-0898**

**المقدمــة:**

إن الله تعالى خلق الحياة دولا تتوالى بين الناس بحكمته ورحمته، يعقب فيها السابق اللاحق منذ خلق آدم عليه السلام وحتى يرث الأرض ومن عليها، والبشر مفطورون على التأسي والتأثر ببعضهم بعضا، وكلما كان التأسي حاضرا لما أبدع فيه السابقون، كان اللاحقون قادرون على صناعة حاضر مميز، بل وبناء مستقبل زاهر، وإن إهمال اللاحق للعبر والعظات من المواقف التي حصلت مع السابق لجدير بأن يحقق النتيجة ذاتها، فتكرار الأخطاء يؤدي إلى النتائج نفسها، بينما يؤدي تكرار التجارب الناجحة للنجاح ويفتح آفاقا جديدة لم تفتح من قبل.

وعليه سار الشعراء العرب الأفذاذ على خطى من سبقوهم من الشعراء الأقحاح، واستلهموا تجاربهم في الحياة والقصائد، وكان اللاحق منهم لا تبلغ له مكانة حتى تكتنز ذاكرته مخزون شعر من سبقوه من الأوائل ليمتح من معينه ويستلهم منه في عقود الجمان التي ينظمها من شعره، إن تراكم الخبرات والمواقف والدروس عند الشاعر اللاحق من الشاعر السابق شكلت عمق المعاني وغزارة الإنتاج وخصوبة التجربة، وخلقت شعرا عربيا وصل لقمة ازدهاره وذروة تألقه في العصر العباسي من خلال شعراء لا يشق لهم غبار من أمثال: المتنبي وأبي تمام وابن الرومي وغيرهم، وكان البحتري أحد أولئك الشعراء الأفذاذ الذين استلهموا شعر من سبقه من الشعراء، بل وتتلمذ على من عاصره من الشعراء المتفوقين كأبي تمام أستاذه، ومن هنا كان اختيار عنوان الدراسة الموسوم بـ: **تناص الطلل الرمزي في سينية البحتري.**

**ولعل من أبرز أسباب اختيار هذا الموضوع:**

- دور التناص في إبراز العلائق الوشيجة بين القصيدة العربية في العصور اللاحقة بالعصور السابقة بحيث يبدو الإبداع الشعري نسيجا واحدا.
- استخدام الشعراء التناص آلية من الآليات الرمزية العميقة التي تضرب بجذورها العريقة في التاريخ العربي الأصيل.
- بروز الطلل مكونا رئيسا في القصيدة العربية بثوب مختلف ونمط جديد.

**أهداف الدراسة:** تهدف هذه الدراسة للآتي:

- اقتفاء البحتري في العصر العباسي الثاني أثر الشعراء السابقين في القصيدة العربية القديمة بروح جديدة تناسب عصره.
- استخدام البحتري للتناص آلية من الآليات لإيصال معاني رمزية عميقة في سينيته المشهورة.
- عاد الطلل للظهور في سينية البحتري ولكن برؤية جديدة حملها معالم عصره ونتاج ثقافته.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إن المنهج الذي ستسير عليه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي الذي يستلهم التراث العربي الأصيل في فهم وصياغة التجربة الشعرية في العصر العباسي الثاني من خلال تحليل قصيدة السينية للبحتري، التي وقف فيها على إيوان كسرى بالمدائن واصفا ومستلهما.

**حدود الدراسة:** تقف الدراسة عند تحليل نص السينية للشاعر العباسي البحتري والواقعة في ستة وخمسين بيتا.

**هناك عدد من الدراسات السابقة في هذا السياق، لعل من أبرزها:**

- كتاب النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزَّام من منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عام ٢٠٠١م، والكتاب يتناول بالدراسة أربعة أبواب، الأول: النص الغائب وفيه درست نظرية النص والتناص ومنهج التحليل التناصي، والثاني: النقائض الشعرية وفيه درست النقائض الجاهلية والإسلامية والأموية، والثالث: السرقات الشعرية وفيه درست السرقات الشعرية وموقف النقد الأدبي تجاهها والسرقات على ضوء التناص، والرابع: المعارضات الشعرية من خلال أنموذجين لمحمود سامي البارودي ولأحمد شوقي في ضوء نظرية التناص.
- مقال بعنوان: الوجه الثقافي للطلل في الشعر العربي الحديث- الطلل النفسي في شعر إبراهيم ناجي نموذجا د. صلاح الدين العايدي نشر بالمجلة العربية مداد، العدد ٢ من يناير لإبريل عام ٢٠١٨م، والمقال يتناول: الدراسات الثقافية وتحليل الظاهرة الأدبية، والطلل التاريخي، والتفسير الثقافي للطلل التاريخي، وإبراهيم ناجي والطلل النفسي.

وموضوع الدراسة مختلف عن موضوع الدراستين من حيث إن الدراسة الأولى يغلب عليها الجانب النظري، وهي حين التطبيق في الجزء الأخير منها تركز على التناص المتصل بالمعارضات الشعرية وعند شاعرين من شعراء العصر الحديث، في حين كانت الدراسة الثانية تدرس الطلل كرمز لبوح الشاعر نفسيا ووسيلة لإطلاق مشاعره وعواطفه ومن خلال شاعر من شعراء العصر الحديث هو إبراهيم ناجي.

**وتأتي الدراسة وفق الهيكل الآتي** المكون من مقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، ومدخل نظري عن التناص، ومقارنة بين الطلل القديم وإيوان كسرى بالمدائن الذي وقف عليه البحتري، ومن ثم تناول محاور التناص من خلال محورين، هما:

**المحور الموضوعي، ويتمثل في الآتي:**

- التناص المكاني.
- التناص الزماني.
- تناص الشخصيات.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- التناص الشعوري.
- تناص الافتتاح والختام.

**التناص الشكلي ويتمثل في الآتي:**

- التناص التصويري.
- التناص التكراري.
- التناص الترادفي.
- التناص التضادي.

**القراءة في رمزية التناص الطللي.**

**مدخل نظري عن التناص:**

**التناص لغة:** من نص للحديث ينصه نصا إذا رفعه لفلان وأسنده له.[١]

**التناص اصطلاحا:** له تعريفات عديدة منها: عملية يوظف فيها حوار الذات والسياق الاجتماعي معا، فكل نص هو نسيج من نصوص سابقة عليه، كل نص هو فسيفساء من نصوص سابقة عليه.[٢]

والتناص هو: توالد النص من نصوص أخرى، أو تداخل النص مع نصوص أخرى، فالنص خلاصة لما لا يحصى من النصوص، أو انبثاق النص من نصوص أخرى، أو اعتماد النص على نصوص أخرى، أو تعالق النص مع نصوص أخرى، فلا حدود للنص ولا حدود بين نص وآخر.[٣]

والتناص: تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النّص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل

---

[١] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. لبنان، ط٢، ١٩٩٧م.مادة: نصص.

[٢] ينظر: القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي. تونس، دار الفارابي. تونس، مؤسسة الانتشار العربي. لبنان، دار تالة. الجزائر، دار العين. مصر، دار الملتقى. المغرب، ط١، ٢٠١٠، ص١١٤.

[٣] ينظر: الماضي، شكري، مقال: ما بعد البنيوية- حول مفهوم التناص، مجلة المعرفة، العدد ٣٥٣، ١٩٩٣، ص، ٩١،٩٢، كريستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال. المغرب، ١٩٩٧، ص ٧٨- ٩٤.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها، وغاب الأصل فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران.[٤]

والتناص: العلاقة بين نصين أو أكثر وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص، أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها[٥]، أي: تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة.[٦]

والتناص في أبسط صوره تضمن نص أدبي لنصوص أو أفكار سابقة عليه بشكل مباشر أو غير مباشر بحيث تندمج معا داخل النص الأصلي ليتشكل نص جديد.[٧]

من مميزات النصوص المتناصة: البراعة في التوليف، والكثافة والإيجاز[٨]، وأبرز وظائف التناص هي: التعبيرية (التناص البنائي) والجمالية (تحويل المعنى القديم لجديد) والفكرية (تعمد المبدع التناص لما يتركه من آثار على المتلقين)[٩]، وينقسم التناص إلى مباشر: تاريخي وديني وأدبي والشعبي وغير المباشر للأفكار والمعاني ثم للغة والأسلوب[١٠]، من أبرز أنواع التناص: الديني والتاريخي والأدبي والأسطوري[١١]، ومن أنواعه: الداخلي (داخل إنتاج المبدع نفسه) والخارجي (خارج إنتاج المبدع)[١٢]، وتنقسم

---

[٤] ينظر: عزام، د. محمد، النص الغائب - تجليات التناص في الشعر العربي- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، ٢٠٠١م، ص٢٩.

[٥] ينظر: عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان. مصر، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٤٦.

[٦] ينظر: مفتاح، د. محمد، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، المغرب. لبنان، ١٩٩٢، ص ١٢١.

[٧] ينظر: الزعبي، د. أحمد، التناص نظريا وتطبيقيا- مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية لهاشم غرايبة وقصيدة راية القلب لإبراهيم نصر، مؤسسة عمون. الأردن، ط٢، ٢٠٠٠م، ص١١.

[٨] ينظر: الجاد الله، سحر، ومسعد، أحلام، مقال: مميزات التناص في لطائف ابن الجوزي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. الأردن، المجلد ١٢، العدد ١، ٢٠١٥م، ص٣٦-٤٠

[٩] ينظر: جاسم، علي متعب، مقال: التناص أنماطه ووظائفه في شعر محمد رضا الشبيبي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية. العراق، العدد ١٠، ص ٣٧.

[١٠] ينظر: الزعبي، د. أحمد، مرجع سابق، ص ٢٧،٧٧.

[١١] ينظر: البنداري، د. حسن وآخرون، مقال: التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر، المجلد ١١، العدد٢، ٢٠٠٩م، ص ٢٧١.

[١٢] ينظر: نجاح، مدلل، ظاهرة التناص في الخطاب الشعري الحديث- ديوان عولمة الحب. عولمة النار أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ٤، العدد ٤، ٢٠١٢م، ص ١٦٦.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أنواع التناص إلى: الاقتباسي والإحالي والإيحائي وتناص الشخصيات الجزئي والكلي والمحوري.[١٣]

**التناص في الدراسات الغربية:**

بدأت نظرية التناص بدراسات دي سوسير عن الكلمة الرابطة، وبعدها الكلمة الاجتماعية والحوارية عند باختين ثم كريستيفا، والتعددية ثم النص الحر عند بارت، والشعرية البنيوية وتجاوز النص عند جينيت[١٤]، وكانت آراء باختين بمثابة الإرهاصات الأولى لظهور التناص حيث قام بقلب العبارة المشهورة لبيفون عن الأسلوب بقوله: الأسلوب هو الرجلان ليؤكد على الطابع الحواري بين النصوص، ثم جاء عمل مجموعة تيل كيل التي ارتأت أن كل نص يلتقي مع مجموعة من النصوص بإعادة قراءتها، ثم عملت جوليا كريستيفا على إعادة النظر للنص بوصفه إنتاجية لنصوص وثقافات متعددة ومختلفة، وتحدث رولان بارث عن أن كل نص هو نسيج من نصوص سابقة عليه، وسجل من خلال مقولته الشهيرة (موت المؤلف) منعطفا جديدا لنظرية التناص التي اتسعت آفاقها من خلال هذه النظرة الجديدة، التي أوضح صاحبها أن تطوير النص لا يتم إلا بالاستغناء عن المؤلف، إذ بات موته ضرورة ملحة إن لم يكن موته فضيلة كبرى لكي يحيا النص بعيدا عن سطوته، وأشار إلى أن مقولته هذه لا تعني إلغاء المؤلف، وحذفه من دائرة الثقافة؛ إنما تهدف إلى تحرير النص من سلطة الطرف المتمثل بالأب المهيمن: المؤلف؛ إذ تفتح النص على القارئ[١٥]،وينظر جيرار جينت للنص من خلال خمسة أنماط، هي: التناص(وهو الحضور المشترك)، والمناص أو النصية الأجناسية (أي النص يحيل على المقولات العامة للجنس ككل)، والميتا نص (أي النص شرح أو تفسير أو تعليق على نص آخر)، والنص اللاحق (أي نص يحاكي ويقلد نصا آخر)، ومعمارية النص أو النص الموازي (أي المواد المصاحبة للنص أو المحيطة به كالعنوان والمقدمة والملاحظات والرسوم والبيانات التوضيحية والتصديرات).[١٦]

---

[١٣] ينظر: واصل، عصام، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر- أحمد العواضي انموذجا، دار غيداء. الأردن، ٢٠١١م، ص ٧٨- ١٠٩.

[١٤] ينظر لمزيد من التفصيل: ألان، جرهام، نظرية التناص، ترجمة: د. باسل المسالمة، دار التكوين. سوريا، ط١، ٢٠١١، ص ١٩، ٢٨، ٣٧، ٨٩.

[١٥] ينظر: بارث، رولان، نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري. المغرب، ١٩٩٤، ص ١٠، بارث، رولان، هسهسة اللغة، ترجمة: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري. المغرب، ١٩٩٩، ص ٩١.

[١٦] ينظر: النعيمي، د. فيصل، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن المنيف، دار مجدلاوي. الأردن، ط١، ص ٢٣٣- ٢٣٦، شرفي، عبد الكريم، مقال:



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والتناص عند جوليا كريستيفا بمثابة البؤرة النصية التي تتقاطع من خلالها نصوص متزامنة وسابقة، فالتناص عندها هو التفاعل النصي في نص بعينه، وميزت بين نوعين من التناص: الشكلي والمضموني[١٧]، لقد هدم التناص فكرة انغلاق النص عند البنيوية وعزله عن المؤثرات المحيطة به، فالنص بحسب التناص ينطوي على أبنية متعددة متنوعة متوالدة بلا توقف[١٨]، وترى كريستيفا أن التناص يعني ضمنا إدراج المجتمع في النص أو التاريخ في النص، ومن المهم الجمع بين دراسة التناص ونظرية الهيمنة، وهناك السلاسل النصية لمجموع النصوص المرتبطة بعضها البعض.[١٩]

وينظر رولان بارث للنص على أنه نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤر الثقافة[٢٠]، فالتناص آلية إنتاج وتلق معا[٢١]، فالتناص هو قدر كل نص وأن ثمة مكان تجتمع فيه تعددية النصوص والثقافات ألا وهو القارئ[٢٢]، واتفق ميشيل ريفاتير معه في أن القارئ يلحظ علاقات بين عمل وأعمال أخرى سبقته أو جاءت بعده[٢٣]، فالفعل التناصي يعتمد أساسا على ثقافة المبدع وتجربته الشعرية متجاوزة ذلك إلى ثقافة القارئ الذي يستطيع أن يعقد موازنات مع نصوص غائبة واستحضارها في عملية القراءة كلما سمحت ثقافته بذلك، ولكي يحقق النص الاستجابة الانفعالية لدى القارئ لابد أن تلتقي شفراته اللغوية الدلالية والثقافية مع دائرة وعيه ومدى إدراكه لفعالية هذه التداخلات النصية وقيمتها النفسية والجمالية، وإلا تاهت المعالم السياقية وانغلق على الفهم ووقع تحت وطأة الغموض والإبهام، وضاع المقصد الحقيقي من تداخل النصوص[٢٤]، وإن استدعاء الشاعر الحديث لرموز تراثية في شعره يضفي على عمله عراقة وشمولية

---

التناص مفهومه وتنويعاته وتفريعاته واصطلاحاته، رابطة ادباء الشام. العدد ٣١، ٢٠٢٠م، ص ٨.

[١٧] ينظر: واصل، عصام، مرجع سابق، ص ١٥

[١٨] ينظر: الماضي، شكري، ما بعد البنيوية حول مفهوم التناص، مجلة المعرفة، العدد ٣٥٣، ١٩٩٣م، ص٩٩.

[١٩] ينظر: قيركلف، نورمان، الخطاب والتغيير الاجتماعي، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٣م، ص١١٦، ١٤٢.

[٢٠] ينظر: بارث، رولان، نقد وحقيقة، ص٢١.

[٢١] ينظر: مسعد، د. محمد، التناص في شعر البردوني. متناص البحث عن الفردوس. قراءة سيموطيقية، دار أمجد. الأردن، ٢٠١٨م، ص٣٣.

[٢٢] ينظر: بارث، رولان، هسهسة اللغة، ص ٨٣.

[٢٣] ينظر: حاجي، د. أحمد، من التناص إلى تقاطع النصوص نظرية جديدة للمصطلح النقدي، مجلة مقاليد، العدد٢، ٢٠١١، ص٦٣.

[٢٤] ينظر: البنداري وآخرون، د. حسن، مرجع سابق، ص ٢٤٥


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وامتدادا بين الماضي والحاضر بحيث تتخطى رؤيته الشعرية الزمان والمكان.[٢٥]

=**التناص في الدراسات العربية:** إن لم يذكر مصطلح التناص صراحة في المؤلفات التراثية العربية، إلا أنه يمكن ملاحظته من خلال مصطلحات: السرقات والمعارضات والمناقضات والاقتباسات والتضمينات والإشارات والتلميحات والتوليدات والرموز والاستيعاب والتمثيل في بعض تلك المؤلفات مثل: كتاب (طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي)، وكتاب (العمدة لابن رشيق القيرواني)، وكتاب (خزانة الأدب لابن حجة الحموي) وغيرهم، فالمجهودات العربية تنهض في تفسيرها وشرحها ونقدها من النص.[٢٦]

والإشارات إلى وجود التناص إشارات قديمة قدم الشعر العربي، قال الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد:

هل غادر الشعراء من متردم  أم هل عرفت الدار بعد توهم

وقد برزت بوضوح في العصور التالية للعصر الجاهلي وخاصة الإسلامي والأموي والعباسي، وأصبح التأثر واضحا بنصوص القرآن الكريم، ومن أبرز من اهتم بدراسة التناص من النقاد المعاصرين: محمد مفتاح وسعيد يقطين ومحمد بنيس وبشير القمري وسامي سويدان وصبري حافظ، ويرى د. محمد مفتاح أن التناص لا يحدد بزمان ولا بمكان بل هو مربوط بأحداث الماضي، فالشاعر يطوف عبر الزمان والمكان بحيث يجد ما يتسق مع نصه ويستحضر منه ما يملك من مخزون معرفي وثقافي، ومن أبرز النقاد السعوديين المحدثين المتحدثين عن التناص د. عبد الله الغذامي وسماه تداخل النصوص[٢٧]، فالتناص يدور حول مفهومين هما: الاستدعاء والتحويل.[٢٨]

**الطلل لغة:** ما شخص وبرز من آثار الديار[٢٩]، والمقدمة الطللية: هي المقطع الأول من القصيدة الجاهلية، ويعد امرؤ القيس هو مقصد القصيد وأول من وقف على الديار وبكى

---

[٢٥] ينظر: صرقس، حامد، وزاده، فؤاد، صوت المتنبي في تجربة أمل دنقل، مجلة اهل البيت. العراق، العدد١٣، ص١٠٥، الحسين، د. رياض، مقال: أثر توظيف الشخصية الدينية في شعر مصطفى الغماري – دراسة تحليلية تناصية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٦، العدد ١، ٢٠١٧م، ص ١٦.

[٢٦] ينظر: عطا، أحمد محمد، التناص القرآني في شعر جمال الدين بن نباته، المؤتمر الدولي الرابع لكلية الألسن، جامعة ألماني، أبريل 2007م، ص ٤٠-٥٠.

[٢٧] ينظر: الغذامي، د. عبد الله، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية- قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٨م، ص ١٥، ١٦، ٦٣، ٦٤، ٣٢٤، ٣٢٦.

[٢٨] ينظر: مفتاح، د. محمد، مرجع سابق، ص ١٢٤.

[٢٩] ابن منظور، مرجع سابق، مادة: طلل.



ISSN: 2537-0847  eISSN : 2537-0898

واستوقف الصحب ووصف الطلل[٣٠]، ولها ثلاث صور:

- الأطلال.
- الأطلال والمحبوبة.
- الأطلال ووصف الظعائن.[٣١]

والمقدمات على تعدد تفسيراتها ماهي إلا تعبير عن حنين الشاعر إلى ماضيه وذكرياته ولريعان صباه.[٣٢]

**نص السينية للبحتري[٣٣]:**

- **تناص طلل الإيوان مع الطلل القديم:**

كان لتغير طبيعة حياة العرب في جزيرتهم العربية ذات الصحراء المترامية الأطراف، وانتقالهم للعيش في مناطق عدة مع اتساع رقعة البلاد الإسلامية، واختلاف طبيعة تلك المناطق عن جزيرتهم، أن جعل لبيئاتهم الجديدة حظا ونصيبا من الذكر في قصائدهم بكل ما احتوت عليه من حيثيات دون أن يختفي أثر تراثهم العريق، ولذا كان وقوفهم عند الطلل حاضرا في عمق حسهم الشعوري، بارزا في أشعارهم وإن اختلف شكله ومحتواه، واختلفت معه طريقة تعبيرهم عنه.

**عبر البحتري عن الطلل** من خلال وقوفه على إيوان كسرى بالمدائن في العصر العباسي الثاني، ولم يكن وقوفه عارضا بل كان وقوفا مقصودا دفعته إليه قواسم مشتركة بين الحاضر الذي يعيشه الشاعر، والماضي الزاخر من تراثه العربي الأصيل، وتجد الشاعر يدقق في تفاصيل إيوان كسرى ويسترسل في بحر ذكرياته ويستدعي ذكريات أخرى من تراثه الخالد، بل تراه يقارن بين أطلال بلاد فارس وأطلال العرب مقارنة تدفع المتلقي للاسترسال في التفاصيل بين هذين اللونيين الذين تجمع بينهما متشابهات مع وجود مفارقات عديدة.

مثل الطلل عند الشاعر الجاهلي نقطة انطلاق في قصيدته من خلال كونه مقدمة أساسية وركيزة من ركائز عمود الشعر العربي التي لم يحد عنها إلا النذر اليسير، ومثل الطلل في الوقت نفسه ارتباط الشاعر العربي بأرضه التي عاش فيها وترعرع على ثراها

---

[٣٠] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم. لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٣١.

[٣١] عطوان، د. حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف. مصر، ص١٢١- ١٢٧.

[٣٢] ينظر: السابق، ص٢٢٧.

[٣٣] ينظر: البحتري، ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف. مصر، ط٣، ص ١١٥٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وتشكلت ذكرياته وآثاره على ترابها، وألبس الشاعر العربي القديم ذكرياته مع محبوبته ثوب الخلود من خلال ما سطره من كلمات خالدة ذاع صيتها مع تداول الألسن لها في مجتمع يحفل بالكلمة ويرفع مقدارها ومقدار قائلها لدرجة الحفاوة، وكان الطلل بمثابة بصمة وراثية طبع بها الشعر العربي بطابع الأصالة والوفاء للمكان ومن فيه وهما من أبرز سمات المجتمع العربي.

كل هذه السمات استدعاها البحتري وأضاف عليها مع وقوفه على إيوان كسرى وقوفا على طلل يخالف في شكله ومضمونه أطلال أسلافه من العرب الأقحاح، إلا أن ثمة نقاط التقاء بلا شك بين الطللين دفعت البحتري ذلك الشاعر الملتزم بعمود الشعر العربي إلى تلمسها واستكناه مضمونها.

❖ **اختلف الطللان في الآتي:**

- **الموقع الجغرافي:** فالطلل العربي لم يخرج من نطاق الجزيرة العربية في حين كان هذا الطلل رازحا في بلاد ساسان.
- **الشكل الخارجي:** فالطلل العربي دارس يتلمَّسه الشاعر تلمُّسا مستعينا بمعرفته الحصيفة بالمكان، في حين يقف إيوان كسرى بارزا حاضرا أمام الأعين التي تتقراه وتكشف تفاصيله المصنوعة بعناية.
- **القيمة الحضارية:** فالطلل العربي يرتبط في قيمته الحضارية بحياة كل عربي في بيئته الصحراوية وبما تستدعيه له من ذكريات مرتبطة به شخصيا في مجتمع تقوده القبيلة، في حين يمثل إيوان كسرى حاضرة الحكم الساساني بالمدائن والذي تعاهد بناؤه عدة ملوك متعاقبون.
- **الوظيفة الأدائية:** فالطلل العربي كان موطن سكن الشاعر أو سكن محبوبته التي تعلق بها ورحلت عنه في موكب الظعائن الخالد بذاكرته ووجدانه، في حين مثل إيوان كسرى قصر ملوك الساسانيين المبرز لما كانت عليه تلك الإمبراطورية من القوة والنفوذ في ذلك العصر السالف.
- **القيمة الاقتصادية:** فالطلل العربي على بساطته يعكس شظف العيش للعربي في بيئته الصحراوية وما امتلكه يمثل مقومات الحياة الأساسية له فقط ، في حين مثل إيوان كسرى ترف الحياة وبذخها في ظل الإمبراطورية الساسانية القديمة.

❖ **اتفق الطللان في الآتي:**

- **التغير والتبدل:** اتفق الطلل العربي والفارسي في أن كليهما دارس وفان نتيجة انتقال أهلهما عنه باختلاف سبب ذلك الانتقال عند كل منهما، فالعربي ينتقل من مكان لآخر بحثا وراء مقومات حياته من الكلأ والماء فيذر المكان مخلفا وراءه ذكرياته العامرة فيه، وإيوان كسرى فني بفناء الإمبراطورية الساسانية بعد الفتح الإسلامي وانضمام تلك البلاد لرقعة البلاد الإسلامية المترامية الأطراف.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- **الذكريات والحنين:** اتفق الطلل العربي والفارسي في أن كليهما يحمل ذكريات مرتبطة بمن سكنوهما وبحنينهم إلى ما كان فيهما من حياة عامرة بالحيوية والنماء، وقد خلد الفرس صورا من ذكرياتهم على جدران هذا الإيوان بما فيه من الصور والنقوش البارزة المشاهدة للعين، كما خلد العربي ذكرياته في قصائده المنمقة والموشَّاة بحلل الألفاظ الباهرة والتراكيب العميقة تراثا يحتذى في العقل الجمعي العربي مع مرور الأيام والدهور.
- **الاعتبار والتدبر:** اتفق الطلل العربي والفارسي في أن كليهما يدعو للاعتبار والتدبر بصروف الزمان المتغيرة والمتبدلة، فالطلل العربي درس بطبيعة حياة المجتمع العربي القائم على البحث عن مصادر الحياة من الماء والغذاء، وإيوان كسرى درس بفعل انتهاء الإمبراطورية الفارسية وتغير نمط الحياة في تلك الأنحاء إلى الحكم الإسلامي.
- **استشراف المستقبل**: آلية التبدل والتغير في الطللين العربي والفارسي تدعو لاستشراف المستقبل لما سيؤول إليه حال الحياة من التغير والتبدل، وهو ما يدعو للعمل الحثيث على الحاضر استشرافا للمستقبل الزاهر، فإمبراطورية الفرس آلت إلى زوال نتيجة تهالك نظامها، وانهارت في مدة زمنية قصيرة بعد التمدد الإسلامي شمال الجزيرة العربية شرقا وغربا، كما تغيرت حياة العرب في جزيرتهم من حياة الغارات والثارات إلى الحضارة الزاخرة بصنوف العلوم والمعارف مع مجيء الإسلام.
- **الدروس الماضية:** الاستفادة من دروس الماضي في الطللين العربي والفارسي أمر واقع، فاستحضار الماضي بكل تبعاته وملابساته كفيل باستخلاص العبر والتجارب، التي تشكل نقطة انطلاقة للحاضر ومن ثم المستقبل، فعلى الرغم من قوة الإمبراطورية الفارسية واتساع رقعتها في البلاد في العصور ما قبل الفتح الإسلامي إلا أن الانهيار كان سريعا ما يشي بالخلل الكامن في كيانها الداخلي، ومنه تستخلص العظات، والتحول الكبير والجذري في البيئة العربية والانتقال من التناحر والتنافر للهدف الأسمى المشترك مع مجيء الإسلام لم يأخذ وقتا طويلا في العمر الزمني ما يشي أيضا بالدروس المستفادة.

**ويمكن النظر للتناص في سينية البحتري من زاويتين، هما:**

❖ **التناص الموضوعي، ويتمثل في الآتي:**

- **التناص المكاني:** لم يغب المكان عن التأثير في الواقع التعبيري باعتباره واقعا يرتبط بالتجارب الإنسانية ويشكل معها تأثيرا مهما في الوعي الإنساني، ولكل مكان تأثيره الخاص، ولكل مكان ملامحه المتفردة الخاصة به دون غيره؛ الأمر الذي يعكس معها تجارب مختلفة ووعي متعدد، والنص يعكس أماكن متعددة تحفل بتأثيرات عدة على


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الزمن والشخصيات الماضية والحاضرة، ولعل أبرز الأماكن التي ذكرها البحتري في سينيته، هي:

| م | الأماكن الواردة | التناص المكاني |
|---|---|---|
| ١ | العراق | حاضرة الخلافة العباسية |
| ٢ | الشام | حاضرة الخلافة الأموية |
| ٣ | أبيض المدائن | حاضرة الإمبراطورية الفارسية |
| ٤ | ظل عال | بلاد فارس |
| **م** | **الأماكن الواردة** | **التناص المكاني** |
| ٥ | مغلق بابه | باب الأبواب في شمال بلاد أنوشروان وهو أكبر موانئ بحر قزوين سابقا |
| ٦ | جبل القبق | الجبل المتصل بباب الأبواب في آخر حدود أرمينية<br>ويقال: إنه جبل القوقاز |
| ٧ | دارتي خلاط ومكس | الخلاط: قصبة أرمينية الوسطى والشاطئ الغربي لبحيرة وان<br>والمكس: موضع بأرمينية من ناحية البُسْفُرَّ إلى ناحية قاليقلا ببلاد الروم |
| ٨ | أطلال سعدى | سعدى اسم من الأسماء العربية الدارجة |
| ٩ | عنس وعبس | عنس: قبيلة قحطانية<br>عبس: قبيلة عدنانية<br>والمقصود: القبائل العربية من القحطانيين والعدنانيين |
| ١٠ | الجرماز | هو اسم الإيوان معربا عن اللفظة الفارسية: كرمازى |
| ١١ | صورة أنطاكية | مدينة في آسيا الصغرى من ناحية بلاد الروم سابقا |
| ١٢ | الإيوان | القصر |
| ١٣ | الرباع - الدار | المنازل |
| ١٤ | كتائب أرياط | القائد الحبشي الذي غزا اليمن[٣٤] |

بدأ البحتري من واقعه ومن تراثه العربي الأصيل ليطوف عبر أزمنة عديد ماضية وحضارات أخرى ليعود معها في نهاية النص لتراثه العربي الأصيل، حيث بدأ الشاعر

[٣٤] ينظر: مرجع سابق، ص ١١٥٢- ١١٦٢.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بالعراق حاضرة الخلافة العباسية التي ارتبطت عنده في النص بالخسارة والكساد في مقابل الشام حاضرة الخلافة الأموية سابقا والتي تشكل في وعي الشاعر مسقط رأسه ومربع صباه، وارتباط العراق بالخسارة والكساد يرتبط بما مر به الشاعر من تجارب أليمة انطبعت في شعوره وعبر عنها رمزيا من خلال المكان الذي التصق بالتجربة نفسها وغدا معها شيئا واحدا، فالشاعر يرى في انتقاله من الشام للعراق خطأ فادحا أثر على حياته تأثيرا سلبيا ما رابه ودفعه للارتحال، وفي الطريق وقف على إيوان كسرى معبرا عن تجربته السيئة التي مر بها في العراق، وغدت راحلة الشاعر وسيلة للخلاص من هذه التجربة السيئة المرتبطة بالمكان وطريق أسلم للهروب فوجهها إلى مدائن كسرى الواقعة في بلاد فارس التي يصف حدودها بدقة، ويقارن بين أطلال كسرى الصامدة على مرور الزمان وبين الأطلال العربية المندثرة في تناص شعري واضح، إنها مقارنة يستحضر فيها الشاعر الآثار القديمة وما حل بها بفعل تغير الحال وتبدل الواقع المعاش، ويسترسل الشاعر بعدها بالحديث عن إيوان كسرى ويستعرض تفاصيله المتعددة متوقفا عند لوحة جدارية منحوتة لمعركة أنطاكية الخالدة بين الفرس والروم، التي انتصر فيها الفرس على الروم وخلدوا ذكرى ذلك الانتصار بهذه المنحوتة الصامدة في الإيوان، ويظهر فيها تفاصيل القتال وقوة الفرس وما امتلكوه من العدة والعتاد بالإضافة لاستبسال المقاتلين في القتال وكأن المعركة مازالت دائرة في تمثيل حي من المنحوتة للأحداث الماضية والخالدة عبر الأزمنة المتعاقبة، ويصف الشاعر أيضا جمال الإيوان بتفاصيله العديدة كالشرفات العديدة، ويعود الشاعر في نهاية القصيدة لتراثه العربي الأصيل من خلال ذاكرته التاريخية ليربط بين الفرس والعرب بحادثة كتائب أرياط التي أعان فيها الفرس العرب ضد غزو القائد الحبشي أرياط لليمن جنوب الجزيرة العربية.

- **التناص الزماني:** طوف البحتري بالزمن تطوافا غريبا، وكأنه صفحات من كتاب واحد متعاقبة الواحدة منها تلو الأخرى، وذلك على النحو الآتي:

| م | الأزمنة الواردة | التناص الزماني |
|---|---|---|
| ١ | الدهر | الزمن الحاضر من الخلافة العباسية بعد مقتل المتوكل |
| ٢ | الأيام | السابق نفسه |
| ٣ | الزمان | السابق نفسه |
| ٤ | وَقَديماً | مرحلة الصبا عندما كان ببلاد الشام مسقط رأسه |
| ٥ | وَآسى لِمَحَلٍّ مِن آلِ ساسانَ دَرسِ | الانتقال عبر الزمن للحضارة الفارسية القديمة |
| ٦ | كَأَطلالِ سُعدى | الانتقال عبر الزمن للتراث العربي الأصيل |
| ٧ | الدَهرُ | الزمن على عمومه في تعاقبه وتوالي أيامه |


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| | | |
|---|---|---|
| ٨ | اللَيالي | السابق نفسه |
| ٩ | صورة أنطاكية | معركة بين الفرس والروم |
| ١٠ | حُلَمٌ مُطبِقٌ | الزمن الحاضر الذي يعيشه الشاعر من العصر العباسي |
| ١١ | اللَيالي | الزمن على عمومه في تعاقبه وتوالي أيامه |
| ١٢ | الدَهرِ | السابق نفسه |
| ١٣ | دَهراً | الانتقال عبر الزمن للحضارة الفارسية القديمة |
| ١٤ | كتائب أرياط | الانتقال إلى الزمن الجاهلي قبل الإسلام |

بدأ البحتري في حديثه عن الزمن بحاضره المعاش الذي عانى فيه الشاعر من الضيق النفسي الشديد نتيجة لما مر به من أحداث أوصلته للأزمة النفسية التي دفعته للهروب منها بالارتحال من العراق والتوجه لمدائن كسرى التي كانت شرارة الانطلاقة عبر الزمن، فانتقل من زمنه الحاضر الذي أصبح هواه محمولاً مع الأخس الأخس، إلى زمن ماضي يتسلى فيه عن همومه، زمن حافل بالحضارات والبطولات في حضارة الفرس والحضارة العربية القديمة من خلال صورتي حرب، هما: حرب أنطاكية بين الروم والفرس، التي سجل الفرس فيه انتصارا تاريخيا على الروم، وكتائب القائد الحبشي أرياط على بلاد اليمن والتي انتصر فيها العرب وحلفاؤهم من الفرس عليه في تناص شعري متميز يستدعي الماضي العريق.

كانت هذه البطولات والإنجازات الماضية وسيلة يتسلى بها الشاعر عن الحوادث العظام والخطوب المتوالية التي مرَّ بها الشاعر، ويستذكر من تلك الأزمنة الماضية العبر والدروس التي استشرف منها المستقبل القادم بعد أحداث الحاضر الأليم الذي مرَّ به؛ مشيرا إشارة مبطنة إلى بداية زوال العصر العباسي الذهبي وبداية الانهيار التدريجي كما هو الحال مع حضارة الفرس القديمة، التي وصلت لقمة الازدهار ثم تدرج الانحدار حتى اندثرت تماما مع الفتح الإسلامي الذي قطف ثمرتها مسجلا عهدا جديدا لتلك البلاد ضمن حضارة إسلامية موحدة استمرت لقرون عديدة.

- **تناص الشخصيات:** تعددت الشخصيات المذكورة في نص البحتري، ما بين شخصيات حقيقية أو شخصيات مشخصة على صورة إنسان، وتنوعت ما بين شخصيات عربية وفارسية في تناص بين الحضارتين، وتعددت الشخصيات ما بين حاضرة في زمن إطلاق البحتري لنصه وما بين شخصيات من الزمن الماضي، وذلك على النحو الآتي:


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| م | الشخصيات الواردة | تناص الشخصيات |
|---|---|---|
| ١ | نَفسي | نفس البحتري |
| ٢ | جبس | الجبان واللئيم والفاسق |
| ٣ | وارِدِ رِفَهٍ عَلَلٍ شُربُهُ | من كان طيب العيش لينه |
| ٤ | وَوارِدِ خِمسِ | المورد لإبله الماء في اليوم الخامس بعد الظمأ الشديد |
| ٥ | الأَخَسّ الأَخَسّ | الدنيء |
| ٦ | اِبنُ عَمّي | قرابته في النسب أو المكانة |
| ٧ | آلِ ساسانَ | نسبة إلى ساسان من بني كشتاسب من الفرس الذين أسسوا المملكة الساسانية |
| ٨ | سُعدى | اسم لمؤنث شائع عند العرب |
| ٩ | عَنسٍ وَعَبسِ | القبائل العربية القحطانية والعدنانية |
| ١٠ | عَجائِبِ قَومٍ | الفرس |
| ١١ | روم وفرس | الروم والفرس |
| م | الشخصيات الواردة | تناص الشخصيات |
| ١٢ | أَنوشَروانَ | كسرى أنوشروان تحديدا |
| ١٣ | الصُفوفَ/ الرِجالِ | المقاتلون في معركة أنطاكية |
| ١٤ | مُشيحٍ يَهوى بِعامِلِ رُمحِ | صور المقاتلين الممسكين بالرماح |
| ١٥ | وَمُليحٍ مِنَ السِنانِ بِتُرسِ | صور المقاتلين المحتمين بالتروس |
| ١٦ | أَبو الغَوثِ | يحي بن البحتري |
| ١٧ | كِسرى أَبَرويزَ | كسرى أبرويز تحديدا |
| ١٨ | البَلَهبَذَ | مغني كسرى أبرويز |
| ١٩ | المُشتَري فيهِ وَهوَ كَوكَبُ نَحسِ | أحد كواكب المجموعة الشمسية (المشخص على صورة إنسان) |
| ٢٠ | الإيوانَ (المشخص على صورة إنسان) | قصر كسرى في المدائن والمسمى بالقصر الأبيض يقع جنوب بغداد في موقع مدينة قطسيفون الذي يقع في منطقة المدائن في محافظة واسط بين مدينة الكوت ومدينة بغداد، وتعرف محليا عند العامة باسم: سلمان بك على اسم الصحابي الجليل: سلمان الفارسي المدفون هناك. |
| ٢١ | إنسٍ لِجِنٍّ / جِنٍّ لِإنسِ | مبالغة في وصف براعة صنع الإيوان |
| ٢٢ | المُلوكِ | ملوك الفرس |
| ٢٣ | المراتب/ القوم / الوفود | المراتب أو المواكب والقوم الوافدين على إيوان |


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| | | |
|---|---|---|
| | | كسرى |
| ٢٤ | القيان | الإماء المغنيات |
| ٢٥ | لِأهلِها عِندَ أهلي | الفرس والعرب |
| ٢٦ | بِكُماةٍ حمس | المقاتلون الشجعان المدرعون بالستور من الدروع والبيضة |
| ٢٧ | كتائب أرياط | جيش القائد الحبشي أرياط |
| ٢٨ | بِالأشرافِ طُرًّا من كُلِّ سِنخٍ وَأُسِّ | الكريم الأصل والنسب[٣٥] |

بدأ البحتري الحديث من نفسه التي اعتلجت هموما وأحزانا عديدة بثها جميعها في سينيته التي حملت حنقه وبغضه لكل جبس لئيم جبان فاسق، وهو يصف نفسه بالترفع عن كل دنس، ويظهر قوتها في التماسك عند المدلهمات من أحداث الدهر، ويبدي ترفعها عن التذلل لمن لا يستحق بالرغم من حاجته، ويعقد مقارنة سريعة بين نفسه ومن وصفه باللؤم والجبن، فإذا هو ذو نعمة يكون شربه العلل بعكس الآخر الذي يصف شربه بالنهل، وشتان بين الوصفين من واقع البيئة العربية الصحراوية ومعايير رعي الإبل في تناص تراثي مستمد من البيئة الصحراوية، ووصف ما يكون من طريقة شرب الإبل للماء المتراوح ما بين العلل، وهو الشرب القليل الذي لا يأتي عن ظمأ، وبين الشرب النهل الذي يأتي عن طلب الإبل للماء بعد ظمأ شديد وحاجة ماسة له، وشتان ما بين الوصفين.

ولا يزال البحتري يصف هذا اللئيم بصفة الخسة ويكررها مرتين ليعمم حقيقة يعيشها ويلامسها، وهو أن كفة الزمان رجحت للئيم والخسيس؛ ما يشي بنفور الشاعر العربي الأصيل لهذه الصفات الدنيئة وترفعه عن الاتصاف بها مع عموم من اتصف بها في عصره.

وقد راب الشاعر تغير وتبدل حال أبناء عمومته في النسب أو المكانة، وتغير حالهم من لين الجانب للجفاء والبعد؛ ما دفع الشاعر لهجرهم والنأي بنفسه عن التذلل لهم، والتجأ لرحله فوجهها لأبيض المدائن في تناص شعري لصورة الرحلة والراحلة في القصيدة العربية القديمة، ويأتي البياض في هذا السياق مقابلا لسواد النفوس وامتلاؤها بالحقد والكراهية، وعندما وصل البحتري للمدائن سلى نفسه بالدروس والعظات المستفادة من الإمبراطورية الساسانية المندثرة، فبعد أن بلغت شاؤا كبيرا آلت للفناء والزوال كما هو حال أطلال سعدى في إشارة لما آل إليه حال العرب من التبدل والتحول من حياة البادية لحياة الحواضر بعد الفتح الإسلامي للبلاد المتعددة شرقا وغربا.

[٣٥] ينظر: الديوان، مرجع سابق، نفسه.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وقد أطال البحتري وقوفه بإيوان كسرى مستدعيا ما كانت عليه قوة وسطوة الساسانيين حتى لقد غزو الرومان وانتصروا عليهم في عقر دارهم في معركة أنطاكية، بقيادة ملكهم كسرى أنوشروان الذي قاد الجيوش العتيدة لغزو الرومان، ونظم جيوشه وقاد فرسانه من الفرسان البواسل حتى حققوا الانتصارات الخالدة التي خلدها في لوحة منحوتة بالإيوان مظهرة بطولاتهم الخالدة.

لم ينفك البحتري في وصفه لجمال هذا الإيوان الذي يبرز سطوة وقوة ما كانت عليه الحضارة الساسانية سابقا، فها هو يستعرض ملكا من ملوكهم هو كسرى أبرويز الذي حفل بلاطه بالقيان والمغنيين كالبلهذ، وكانت الوفود والأقوام تتوافد على بلاطه من كل حدب وصوب؛ لما لإمبراطوريته من المكانة الكبيرة في زمانه، بل بلغ من قوتها وسطوتها أن كانت تناصر حلفائها على أعدائهم وتنتصر لهم، مستشهدا بمعركتهم مع العرب حلفائهم ضد أرياط القائد الحبشي الذي قاد كتائبه على اليمن فانتصروا عليه ودحروه في معركة شرسة انتصر فرسانهم البواسل المدججين بالأسلحة والتروس وكل أدوات الحرب اللازمة، ما ينبئ عن أسطول حربي قوي متكامل في عدته وعتاده في تناص تراثي لحوادث قديمة وقعت قبل الإسلام.

- **التناص الشعوري:** يشحن البحتري سينيته بطاقة هائلة من المشاعر والعواطف إلا أنها للأسف تتمحور كلها حول مشاعر الحزن والشعور بخيبة الأمل، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

| م | المشاعر الواردة | التناص الشعوري |
|---|---|---|
| ١ | صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي | شعور الشاعر بالترفع عن الدناءة |
| ٢ | وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلِّ جبس | السابق نفسه |
| ٣ | وَتَماسَكتُ حينَ زَعزَعَني الدَهر | تجلد الشاعر في مواجهة الحوادث |
| ٤ | فَتُنكِرَ مَسّي | مشاعر الشاعر المختلطة |
| **م** | **المشاعر الواردة** | **التناص الشعوري** |
| ٥ | وَإِذا ما جُفِيت | تعرض الشاعر للجفاء |
| ٦ | حَضَرَت رَحلِيَ الهُمومُ | تكالب الهموم على الشاعر |
| ٧ | أَتَسَلّى عَنِ الحُظوظِ وَآسى | تصبر الشاعر وتسليه عن همومه |
| ٨ | وإذا ما رأيت صورة أنطاكية ارتعت | مشاعر الخوف الشديد |
| ٩ | يَعتَلي فيهِم إِرتِابي | مشاعر الشك عند الشاعر |
| ١٠ | وَاِرتِياحاً لِلشارِبِ | راحة الشاعر في التناسي |
| ١١ | فَهيَ مَحبوبَةٌ إِلى كُلِّ نَفسِ | السابق نفسه |
| ١٢ | يُتَظَنّى مِنَ الكَآبَةِ | شعور الإيوان بالكآبة |


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| | | |
|---|---|---|
| | | (تشخيص الإيوان لإنسان) |
| ١٣ | عَكَسَت حَظُّهُ اللَيالي | شعور الإيوان بقلة الحظ<br>(تشخيص الإيوان لإنسان) |
| ١٤ | فَهوَ يُبدي تَجَلُّداً وَعَلَيهِ كَلكَلٌ مِن كَلاكِلِ الدَهرِ مُرسي | محاولة الإيوان للتصبر<br>(تشخيص الإيوان لإنسان) |
| ١٥ | عُمِّرَت لِلسُرورِ دَهراً فَصارَت لِلتَعَزّي رِباعُهُم وَالتَأَسّي | كان الإيوان مقرا للسرور سابق عهده |
| ١٦ | فَلَها أَن أَعينَها بِدُموعٍ موقَفاتٍ عَلى الصَبابَةِ حُبِسِ | حبس الإيوان دموع الحزن<br>(تشخيص الإيوان لإنسان) |

امتلأت نفس البحتري بمشاعر عديدة بثها في سينيته، وقد تكالبت عليه هذه المشاعر الحزينة؛ ما دفعه للارتحال عن بغداد فوجه راحلته لإيوان كسرى بالمدائن لعله يتسلى عن هذه الهموم التي ألمت به بالوقوف على هذا الطلل الباقي من آثار تلك الإمبراطورية الفانية، وكان من أبرز المشاعر التي امتلأت بها نفس الشاعر هو رغبته بصيانة نفسه وترفعها عن الخسة الدناءة، تلك الصفات الدنيئة التي تنفر منها النفوس الأبية الشامخة بكرامتها وعزتها، وهو ما عبَّر عنه الشاعر بقوله:(وتماسكت)، وقد وجد الشاعر تسليته فعلا في إيوان كسرى الذي استقى منه دروس عدة لحاضره المعاش، واستشرف منه أحداث المستقبل القادمة، واستغرق الشاعر في مشاعره داخل هذا الإيوان حتى غدا هو والإيوان شيئا واحدا ، فها هو يشخص معركة أنطاكية بين الروم والفرس ويجعلها حية ويعيش تفاصيلها الدقيقة حتى كأنه يصف تلك المعركة التاريخية من داخلها فترتاع نفسه من هذا التوحد الشعوري المتجاوز للزمان والمكان، وها هو يشخص الإيوان نفسه ويجعله يتظنى من الكآبة بعد أن غابت عنه حظوظه، وبعد أن استبدلت أفراحه أحزانا وبؤسا، وبعد أن أقفر من الناس وقد كانت جنباته تعج بالوفود من شتى البقاع، وبعد أن أصبح موحشا خاليا بعد أن كان عامرا بالحيوية والأنس، وقد توحد إحساس الإيوان والشاعر في الشعور بالحزن والهموم والتجلد أمام صروف الدهر المتقلبة، وقد تناص شعور البحتري مع شعور الشعراء القدماء عند حديثهم عن الطلل، فكما غلبت على البحتري مشاعر الحزن وحضرته الهموم المتراكمة ، كذلك كان البكاء عنوان الوقوف على الطلل عند الشعراء السابقين، وكما تظنَّى إيوان كسرى من الكآبة، كان الأسى حاضرا لدى وقوف الشعراء القدماء على أطلالهم، وكما أحس الشاعر بالوحشة والجفاء، وكما عاني الإيوان من الخواء، خلت دمن الشعراء من الأنيس وخلون منه حججا طويلة، وغدت أطلالهم مقفرة بعد رحيل المحبوبة عنها، وكما تجلد البحتري والإيوان أمام نكبات الدهر، كذلك كابد الشعراء القدماء مشاعر الحزن وتجلدوا بالصبر


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عن ذلك.[٣٦]

**تناص الافتتاح والختام:** حيث افتتح البحتري سينيته بعشرة أبيات، وذلك على النحو الآتي:

| م | مفتتح السينية | تناص الافتتاح |
|---|---|---|
| ١ | صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي وَتَرَفّعتُ عَن جَدا كُلِّ جبس | حديث الشاعر عن نفسه |
| ٢ | وَتَماسَكتُ حينَ زَعزَعَني الدَه رُ التماسا مِنهُ لِتَعسي وَنَكسي | السابق نفسه |
| ٣ | بُلَغٌ مِن صُبابَةِ العَيشِ عِندي طَفَّفَتها الأَيّامُ تَطفيفَ بَخسِ | حديث الشاعر عن حالته الاقتصادية |
| ٤ | وَبَعيدٌ مابَينَ وارِدِ رِفَهٍ عَلَلٍ شُربُهُ، وَوارِدِ خِمسِ | حديث الشاعر عن مبادئه وأخلاقه |
| ٥ | وَكَأَنَّ الزَمانَ أَصبَحَ مَحمو لاً هَواهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسِّ | حديث الشاعر عن معاناته النفسية تلك المرحلة |
| ٦ | وَاِشتِرائي العِراقَ خُطَّةُ غَبنٍ بَعدَ بَيعي الشَآمَ بَيعَةَ وَكسِ | حديث الشاعر عن معاناته في العراق |
| ٧ | لا ترزني مُزاوِلاً لاختباري بَعدَ هَذي البَلوى فَتُنكِرَ مَسّي | حديث الشاعر عن نفسه |
| ٨ | وَقَديماً عَهِدتَني ذا هَناتٍ آبِياتٍ عَلى الدَنِيّاتِ شُمسِ | حديث الشاعر عن مبادئه وأخلاقه |
| ٩ | وَلَقَد رابَني نبو اِبنُ عَمّي بَعدَ لينٍ مِن جانِبَيهِ وَأُنسِ | حديث الشاعر عن معاناته النفسية تلك المرحلة |
| ١٠ | وإذا ما جُفِيتُ كُنتُ جَديراً أن أرى غَيرَ مُصبِحٍ حَيثُ أُمسي | حديث الشاعر عن ارتحاله |

افتتح البحتري سينيته بعشرة أبيات، تعد هي مفتاح للقصيدة ومكمن السرّ لما سيأتي بعدها، حيث يعكس هذا الافتتاح حديث الشاعر عن تأزمه نفسيا، وحديثه عن حالته الاقتصادية، وحديثه عن أخلاقه ومبادئه، وحديثه عن معاناته في العراق، ثم ما كان من ارتحاله عن بغداد مؤثرا البعد عن مصدر تلك المعاناة بشتى صنوفها.

وصل التأزم بالبحتري أنه صدر أزمته تلك مع مطلع سينيته، وجعل البيتين الأولين

[٣٦] ينظر: جمال حريري، أناهيد، المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية وسماتها الخاصة عند شعراء المعلقات السبع، دار كنوز المعرفة. المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥، ص ٦٥-١٠١.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في السينية هما مفتاح لها والسر الكامن فيما تلاها من الأبيات، فقد بلغ التأزم بالبحتري أن شعر بأن نفسه على وشك التدنس والتردي في مستنقع اللؤم والجبن، فأبى لها ذلك وصانها عن أن تتردى هذا التردي، وظل متماسكا محتفظا بمبادئه التي آمن به برغم النكبات التي أحاطت به حتى لقد قال: تعسي وأردفها بنكسي؛ ما يشعر بما آل إليه حاله من البؤس والشقاء، إن هذا الإعلان من الشاعر مطلع سينيته لجدير بأن يفتح التساؤلات العديدة حول: ماذا الم بالشاعر؟ ما الذي عاناه حتى يصدح بهذا التصريح صدر سينيته الطويلة التي تتجاوز الخمسين بيتا؟ محال أن يكون هذا التصريح ناجم عن ضيق عارض مرَّ به الشاعر، أو موقف سطحي تعرَّض له، إن هذا التصريح صادر بلا شك عن موقف جلل عاشه وعانت منه نفسه، ولم يملك معها وهو الشاعر الفذّ الذي يملك أدوات القول إلا أن يعبر عنه، ويصرح به دافعا بالمتلقي لأن يتأزم معه باحثا عن أجوبة لكل تلك التساؤلات التي طرحها.

تابع البحتري الحديث عن أزمته تلك موضحا علتها، مغلقا الباب أمام التكهنات التي قد تلوح من تقلب مزاج الشاعر أو تغيره نتيجة لأمر سطحي غير ذي بال، حيث وضح أن أزمته تلك هي نتيجة ما آمن به من مبادئ، وما اتصف به من أخلاق، فقد أبى وهو العربي الأصيل أن تتدنى نفسه وأن يتغير هواه ويتحول لإنسان خسيس رذيل الصفات والأخلاق، فالمسألة إذن مسألة أخلاق الشاعر وشرفه الذي يأبى التلوث والتردي أيا كانت الأطماع التي تلوح، وأيا كانت المصالح التي تدور، وهنا يتناص الشاعر مع الشاعر القديم الذي تبلغ أزمته الذروة مع رحيل موكب الظعائن.

تأزم البحتري نفسيا دفعه لأخذ قرار الارتحال عن مكان الأزمة موضحا أنه العراق، هنا استدعت ذاكرته حياته السابقة في الشام مسقط رأسه ومرتع صباه، وتجددت عليه الهموم والغموم، متذكرا ما تربى عليه من عزة النفس والكرامة التي تأبى الهوان، وتأبى التلون لأجل المصالح المتغيرة؛ مبرزا علة هذا الارتحال بتغير بنو عمه عليه بعد كان الود بيته وبينهم عامرا، وهنا يأتي السؤال الأهم: هل قصد البحتري بأبناء عمه قرابته الحقيقية؟ أم أنه كان أسلوب البحتري في التعبير عمن كان قريبا منه في المكانة؟ إن معطيات المقدمة نفسها عدا ما تلاها من أبيات يرجح المعنى الثاني لا الأول، هنا كانت المرحلة الفاصلة عند الشاعر والتي دفعته لإتمام رحيله عن بغداد موليا وجهه صوب المدائن، ملتجئا لإيوان كسرى ليجد فيه سلوته وأنسه عما مرَّ به من مجريات أحداث عظام كانت الأبيات التالية كفيلة بإزاحة الستار عن أجزاء منها وإن كان ذلك الأمر قد ألبس من الشاعر نفسه بستور كثيفة من المعاني، وهنا يتناص الشاعر أيضا مع الشاعر القديم الذي يجد في الأطلال من تراث محبوبته سلوته ويبثها شجونه وأحزانه على رحيلها.

=واختتم البحتري سينيته بخمسة أبيات، وذلك على النحو الآتي:


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| م | مختتم السينية | تناص الاختتام |
|---|---|---|
| ١ | ذاكَ عِندي وَلَيسَت الدارُ داري باقتراب مِنها وَلا الجِنسُ جِنسي | حديث الشاعر عن الإمبراطورية الساسانية الفانية بتفاصيل عدة تأسيا لحاضره واستشرافا للمستقبل القادم |
| ٢ | غَيرَ نُعمى لِأَهلِها عِندَ أَهلي غَرَسوا مِن زَكائِها خَيرَ غَرسِ | السابق نفسه |
| ٣ | أَيَدوا مُلكَنا وَشَدّوا قُواهُ بِكُماةٍ تَحتَ السَنَّورِ حُمسِ | السابق نفسه |
| ٤ | وَأعانوا عَلى كَتائِبِ أَريا طَ بِطَعنٍ عَلى النُحورِ وَدَعسِ | السابق نفسه |
| م | مختتم السينية | تناص الاختتام |
| ٥ | وَأَراني مِن بَعدُ أَكلَفُ بِالأَش رافِ طَرّاً مِن كُلِّ سِنخٍ وَأَسِّ | حديث الشاعر عن نفسه |

اختتم البحتري سينيته بخمسة أبيات كانت كفيلة بإغلاق الشكوك والظنون التي قد تطرح نتيجة استغراق الشاعر في الحديث عن حضارة الساسانيين من خلال وصفه لإيوان كسرى مستعرضا جمال صنعه ومشيدا بكل ما فيه خاصة منحوتة معركة أنطاكية التي تبرز تلك المعركة التاريخية بين الفرس والروم، أراد البحتري أن يؤكد في نهاية سينيته أن حضارة الساسانيين لا تعنيه، وأنها لم تكن غايته من القول، بل كان الحديث عنها لأجل غرض وهدف أكد عليه في البيت الأخير من القصيدة الذي جاء بعد خمسة وخمسين بيتا، إن نفس الشاعر الأبية، وما تصف به من صفات الأصالة والعراقة أبت عليه إلا أن يبعث برسالة قوية لمن عانى منهم الأمرين في بغداد حتى حملوه على تركها والمغادرة منها خوفا على نفسه الأبية من الفساد الذي استشرى، والخساسة التي انتشرت، فالأبي والأصيل لا يهتم إلا أن يعيش مع من يشبهه ومن يلائمه ويجانسه، وهو ما حرص عليه الشاعر، وأعلنه في قصيدته تلك، وقد تناص الشاعر هنا مع تراثه العريق الحافل بصنوف المبادئ والأخلاق الفذة، ومع اختتام الشعراء السابقين قصائدهم بالحكمة المستلهمة من دروسهم في الحياة والناس. .

❖ **التناص الشكلي، ويتمثل في الآتي:**

**التناص التصويري:** حفلت سينية البحتري بالتصويرات العديدة، وذلك على النحو الآتي:

| م | التصويرات الواردة | التناص التصويري |
|---|---|---|
| ١ | صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي<br>وَتَماسَكتُ حينَ زَعزَعَني الدَهرُ | تصوير البحتري حالته النفسية |
| ٢ | بُلَغٌ مِن صُبابَةِ العَيشِ عِندي طَفَّفَتها الأَيّامُ تَطفيفَ بَخسِ | تصوير البحتري حالته الاقتصادية |
| ٣ | وَبَعيدٌ مابَينَ وارِدِ رِفهٍ عَلَلٍ شُربُهُ، وَوارِدِ خِمسِ | تصوير البحتري أخلاقه |
| ٤ | وَكَأَنَّ الزَمانَ أَصبَحَ مَحمولاً هَواهُ مَعَ الأَخَسِّ | تصوير البحتري معاناته |


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| | الأخَسّ | من الناس |
|---|---|---|
| ٥ | وَاِشتِرائي العِراقَ خُطَّةُ غَبنٍ بَعدَ بَيعي الشَآمَ بَيعَةَ وَكسِ | تصوير البحتري معاناته في العراق |
| ٦ | حَضَرَت رَحلِيَ الهُمومُ فَوَجَّهتُ | تصوير البحتري رحلته |
| ٧ | وَهُمُ خافِضونَ في ظِلِّ عالٍ مُشرِفٍ يَحسِرُ العُيونَ وَيُخسي<br>مُغلَقٍ بابُهُ عَلى جَبَلِ القَبقِ إِلى دارَتَي خِلاطَ وَمُكسِ<br>حِلَلٌ لَم تَكُ كَأَطلالِ سُعدى في قِفارٍ مِنَ البَسابِسِ مُلسِ<br>وَمَساعٍ لَولا المُحاباةُ مِنّي لَم تُطِقها مَسعاةُ عَنسٍ وَعَبسِ<br>نَقَلَ الدَهرُ عَهدَهُنَّ عَنِ الجِدَّةِ حَتّى رَجَعنَ أَنضاءَ لُبسِ<br>فَكَأَنَّ الجِرمازَ مِن عَدَمِ الأُنسِ وَإِخلالِهِ بَنِيَّةُ رَمسِ<br>لَو تَراهُ عَلِمتَ أَنَّ اللَيالي جَعَلَت فيهِ مَأتَماً بَعدَ عُرسِ<br>وَهوَ يُنبيكَ عَن عَجائِبِ قَومٍ لايشاب البَيانُ فيهِم بِلَبسِ | تصوير البحتري الإمبراطورية الساسانية المندثرة ممثلة في إيوان كسرى بالمدائن |
| ٨ | وإذا ما رأيت صورة أنطاكية ارتعت ما بين روم وفرس<br>وَالمَنايا مَواثِلٌ وَأَنوشَروانَ يُزجي الصُفوفَ تَحتَ الدِرَفسِ<br>في اِخضِرارٍ مِنَ اللِباسِ عَلى أَصفَرَ يَختالُ في صَبيغَةِ وَرسِ<br>وَعِراكُ الرِجالِ بَينَ يَدَيهِ في خُفوتٍ مِنهُم وَإِغماضِ جَرسِ<br>مِن مُشيحٍ يَهوى بِعامِلِ رُمحٍ وَمُليحٍ مِنَ السِنانِ بِنُرسِ<br>تَصِفُ العَينُ أَنَّهُم جِدُّ أَحياءٍ لَهُم بَينَهُم إِشارَةُ خُرسِ<br>يَغتَلي فيهِم إِرتِابي حَتّى تَتَقَرّاهُمُ يَدايَ بِلَمسِ | تصوير البحتري تفاصيل منحوتة جدارية في إيوان كسرى عن معركة أنطاكية الخالدة بين الفرس والروم |
| ٩ | وَتَوَهَّمتُ أَنَّ كِسرى أَبَرويزَ مُعاطِيَّ وَالبَلَهبَذَ أَنسي<br>حُلُمٌ مُطبِقٌ عَلى الشَكِّ عَيني أَم أَمانٍ غَيَّرنَ ظَنّي وَحَدسي | تصوير البحتري توحده مع الإيوان وتاريخه |


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| | | |
|---|---|---|
| ١٠ | وَكَأَنَّ الإيوانَ مِن عَجَبِ الصَنعَةِ جَوبٌ في جَنبِ أَرعَنَ جِلسِ<br>يُتَظَنّى مِنَ الكَآبَةِ إِذ يَبدو لِعَينَي مُصَبِّحٍ أَو مُمَسّي<br>مُزعَجاً بِالفِراقِ عَن أُنسِ إِلفٍ عَزَّ أَو مُرهَقاً بِتَطليقِ عِرسِ<br>عَكَسَت حَظُّهُ اللَيالي وَباتَ المُشتَري فيهِ وَهوَ كَوكَبُ نَحسِ<br>فَهوَ يُبدي تَجَلُّداً وَعَلَيهِ كَلكَلٌ مِن كَلاكِلِ الدَهرِ مُرسي<br>لَم يَعِبهُ أَن بُزَّ مِن بُسُطِ الديباجِ وَاِستَلَّ مِن سُتورِ المَقسِ<br>مُشمَخِرٌّ تَعلو لَهُ شُرُفاتٌ رُفِعَت في رُؤوسِ رَضوى وَقُدسِ<br>لابِساتٌ مِنَ البَياضِ فَما تُبصِرُ مِنها إِلّا غَلائِلَ بُرسِ<br>لَيسَ يُدرى أَصُنعُ إِنسٍ لِجِنٍّ سَكَنوهُ أَم صُنعُ جِنٍّ لِإِنسِ<br>غَيرَ أَنّي يَشهَدُ أَن لَم يَكُ بانيهِ في المُلوكِ بِنِكسِ<br>فَكَأَنّي أَرى المَراتِبَ وَالقَومَ إِذا ما بَلَغتُ آخِرَ حِسّي<br>وَكَأَنَّ الوُفودَ ضاحينَ حَسرى مِن وُقوفٍ خَلفَ الزِحامِ وَخِنسِ<br>وَكَأَنَّ القِيانَ وَسطَ المَقاصيرِ يُرَجِّعنَ بَينَ حُوٍّ وَلُعسِ<br>وَكَأَنَّ اللِقاءَ أَوَّلَ مِن أَمسِ وَوَشكَ الفِراقِ أَوَّلَ أَمسِ<br>وَكَأَنَّ الَّذي يُريدُ إِتِّباعاً طامِعٌ في لُحوقِهِم صُبحَ خَمسِ<br>عُمِّرَت لِلسُرورِ دَهراً فَصارَت لِلتَعَزّي رِباعُهُم وَالتَأَسّي<br>فَلَها أَن أُعينَها بِدُموعٍ موقَفاتٍ عَلى الصَبابَةِ حُبسِ | تصوير البحتري تفاصيل إيوان كسرى وما كان عليه في عهد ازدهاره ونمائه |

**تصوير البحتري حالته النفسية:** بدأ البحتري قصيدته بصوره تبرز تأثر حالته النفسية بما مرَّ به من حادث أليم، أحس أنه يدنس نفسه التي تأبى الرزايا، وصوَّر أنه يصونها عن هذا الدنس، وكأنَّ نفسه قطعة من الثياب التي قد تظهر عليها آثار البقع مما يصيب الثياب، وشخص نفسه وجعلها متماسكة رغم زعزعة الدهر لها؛ ما ينبئ عن صلابة تلك


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النفس وقوتها وما تتمتع به من المبادئ والقيم الإيجابية في إلماح إلى ما اعترى النفوس التي خالطها في بغداد من الخسة والدناءة والتغير والتبدل بناء على مجريات الأمور، وهنا تناص البحتري مع تراثه العربي الأصيل وأخلاقه الفذَّة.

**تصوير البحتري حالته الاقتصادية:** صور البحتري ما آلت إليه حالته الاقتصادية من التردي، وصور ما بقي معه من متاع الدنيا بأنه نذر يسير، وجعل الأيام المشخصة على صورة إنسان تطففها تطفيفا تعسفيا حتى تبخسها قيمتها وقدرها؛ ليبلغ سامعيه بأنه لا يملك شيئا، ورغم ذلك فإن عزة نفسه أبت عليه إلا الخروج من بغداد والرحيل عنها إلى مكان آخر صونا لها عن التذلل لمن لا يستحق، وهنا تناص البحتري مع القرآن الكريم في تصويره للتطفيف. [٣٧]

**تصوير البحتري أخلاقه:** قارن البحتري بين أخلاقه وأخلاق غيره، بأنه كالإبل التي ترد كلما أحست بالعطش في حين وصف غيره بالأبل الوارد للماء بعد أن أظمأها العطش في يومها الخامس من الرعي، في تناص للصورة من البيئة العربية للجزيرة العربية التي تعتمد على رعي الإبل بصورة كبيرة وتعرف طريقة شرابها وطعامها وكل ما يتصل بها من الصفات.

**تصوير البحتري معاناته من الناس:** شخص البحتري الزمان وجعل هواه يكرم الأخس، وهو الشخص الدنيء الساقط، في تصوير تعميمي من البحتري لتقريب ما عاناه من هذه الفئة من الناس؛ مما لم ينسجم مع أخلاقه ودفعه للارتحال بعيدا عنهم مؤثرا العيش بشظف على التلوث بصفاتهم المتردية.

**تصوير البحتري معاناته في العراق:** استرجع البحتري حياته التي عاشها في الشام وقارنها بين تلك التي عاشها في العراق، ووجد البون الشاسع بينهما ما حمله على الإحساس بالخسارة الكبيرة التي حاق بها، وندمه على مفارقة الشام مسقط رأسه ومرتع شبابه.

**تصوير البحتري رحلته:** شخص البحتري الهموم التي أحاطت به حتى ركب راحلته ووجها للمدائن، ميمما وجهه صوبها، مسليا نفسه بها وبما فيها عن همومه تلك، معزيا نفسه بما مرَّ به في حاضره من ملمات، مستشرفا المستقبل من دروس الماضي وعبره التي استلهمها من إيوان كسرى بالمدائن في تناص مع الشعر القديم وظاهرة الارتحال المتكررة فيه.

[٣٧] سورة المطففين، الآية:١.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**تصوير البحتري الإمبراطورية الساسانية المندثرة ممثلة في إيوان كسرى بالمدائن:** بعد أن حط البحتري ترحاله بالمدائن بدأ يتأمل حال تلك البلاد التي كانت حاضرة من حواضر الإمبراطورية الساسانية المندثرة متأملا ما كانوا عليه من اتساع رقعة بلادهم، وكيف كان هؤلاء الساسانيون أهل رخاء، محصنين بالحصون المنيعة، ومتنعمين في قصورهم الشاهقة التي غدت مقفرة لا حياة فيها، ويسترسل في وصف إيوان كسرى الذي كان أعجوبة من أعاجيب البناء في زمانه؛ ما يبرز حضارة الإمبراطورية الساسانية سابقا، في تناص مع وقوف الشعراء السابقين على الأطلال المندثرة ووصفها.

**تصوير البحتري تفاصيل منحوتة جدارية في إيوان كسرى عن معركة أنطاكية الخالدة بين الفرس والروم:** وقف البحتري في إيوان كسرى أمام منحوتة رائعة تخلد معركة أنطاكية التاريخية، التي وقعت عام ٥٤٠م بين الفرس والروم، فصورها تصويرا دقيقا حتى لكأنه يقف مع الجنود الفرس على أرض المعركة ويبصر بعينيه استبسالهم في القتال وشجاعتهم في قتال أعدائهم من الإمبراطورية الرومانية المنافسة، وبدأ بوصف كسرى أنوشروان الذي قاد الفرس فيها حتى النصر، ويصور البحتري كسرى أنوشروان في لباسه الأخضر وهو يمتطي فرسه المميز الذي يميل للصفرة، كما يصور المقاتلين وهم يقاتلون بين يديه ما بين حامل لرمحه ومشهر لسناه في تصوير فذٍّ يحمل البحتري للمس المنحوتة الجدارية التي تعيده لحاضره المعاش وتنشله من جو هذه المعركة الحامية الوطيس، هذا التوحد بالمكان استدعاه البحتري من توحد الشاعر القديم ببيئته العربية في شعره واستظهارها في سائر تصويراته.

**تصوير البحتري توحده مع الإيوان وتاريخه:** أنهى البحتري وصفه لشرابه بتوهمه أن كسرى أبرويز هو الذي يجالسه، وأن مغنيه البلهبذ هو الذي يؤنسه؛ لشدة توحد مشاعر البحتري مع المكان وكل ما يتصل به من عراقة وحضارة استلهم منها قراءة حاضره المعاش والمليء بالانتكاسات، واستشرف منه أحداث المستقبل القادم وما ستؤول إليه من الفناء كما حدث مع أصحاب هذه الإمبراطورية الفانية.

**تصوير البحتري تفاصيل إيوان كسرى وما كان عليه في عهد ازدهاره ونمائه:** يعود البحتري ليصور إيوان كسرى ويبرز أنه بناء رائع وكأنه جوب في الصخر، ويشخصه وهو في حالة متردية من الكآبة والحزن لما آل إليه حاله من الخواء والوحشة بعد أن كان عامرا بالناس من الوفود المتقاطرة والصفوف الطويلة، عدا سكانه أنفسهم على تعددهم، ويصف فريقا منهم وهم القيان الجميلات اللاتي يبرزن وسط المقاصير، ويبرز الإيوان تجلده أمام النوائب التي رزح فيها، وحبس دموعه حتى لا تتقاطر على وجنتيه، ووقف شامخا بما فيه من براعة الصنع وعجائب العمارة التي اتصف بها حتى يذكر كل من مرّ به بذلك التاريخ المندثر من حضارة الساسانيين، وتشخيص المكان بهذا الوصف تناص


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فيه البحتري مع الشعر القديم الذي اعتمد التشخيص عنصرا من العناصر المهمة في تصويراته.

- **التناص التكراري:** تعددت التكرارات الواردة في سينية البحتري على النحو الآتي:

| م | التكرارات الواردة | التناص التكراري |
|---|---|---|
| ١ | نفسي/ نفسي | حديث الشاعر مع نفسه |
| ٢ | طفقتها/ تطفيف | حديث البحتري عن حالته الاقتصادية |
| ٣ | وارد/ وارد | حديث البحتري عن مبادئه وأخلاقه |
| ٤ | الأخس/ الأخس | حديث البحتري عن معاناته النفسية |
| ٥ | بيعي/ بيعة | حديث البحتري عن معاناته في العراق |
| ٦ | أذكرتنيهم/ تذكر | حديث البحتري عن الإمبراطورية الساسانية الفانية بتفاصيل عدة تأسيا لحاضره واستشرافا للمستقبل القادم |
| ٧ | الخطوب/ الخطوب | السابق نفسه |
| ٨ | الدهر/ الدهر/ الدهر | السابق نفسه |
| ٩ | كسرى/ كسرى | السابق نفسه |
| ١٠ | الأنس/ أنس | السابق نفسه |
| م | التكرارات الواردة | التناص التكراري |
| ١١ | الليالي/ الليالي | السابق نفسه |
| ١٢ | إنس/ لإنس<br>لجن/ جن | السابق نفسه |
| ١٣ | آسى/ التَأسّي | السابق نفسه |
| ١٤ | أنسي/ أنس | السابق نفسه |
| ١٥ | العُيونَ/ العين/ عيني | السابق نفسه |
| ١٦ | الإيوان | السابق نفسه |
| ١٧ | كلكل/ كلاكل | السابق نفسه |
| ١٨ | أمس/ أمس | السابق نفسه |
| ١٩ | الدار/ داري | السابق نفسه |
| ٢٠ | الجنس/ جنسي | السابق نفسه |
| ٢١ | غرسوا/ غرسي | السابق نفسه |
| ٢٢ | أهلها/ أهلي | السابق نفسه |
| ٢٣ | فكأني/ وكأن مكرر ٤م | السابق نفسه |
| ٢٤ | يقرب عدد الجمل الفعلية من ٨٠ جملة | تكرار يتناسب مع توالي الأحداث |


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

| | | |
|---|---|---|
| ٢٦ | يقرب عدد الجمل الاسمية من ٢٢ جملة | تكرار يتناسب مع تأكيد الحقائق |

كرر البحتري عددا من المفردات في سينيته، وكان ذلك التكرار بمثابة تسليط الضوء لمعاني معينة، ورسائل محددة أراد إيصالها من خلال هذه القصيدة، التي حملت معاناته النفسية تجاه ما مر به من أحداث صعبة، لم يتمالك معها نفسه لما لها من آثار مستقبلية محورية، ووقع على قادم الأيام بما لا يحتمل السكوت عنه، والشعراء هم نبض المجتمع، ولسان حاله تجاه التطورات ومجريات الأحداث، وهو ما كان بالفعل.

كانت أبرز التكرارات التي لفت لها البحتري في سينيته: ما سيؤول له حال الدول من الانهيار والاندثار بفعل عوامل الزمن المتعاقبة؛ خاصة مع عدم استلهام الدروس والعبر الماضية، وتكرار الأخطاء نفسها التي ستقود للنتائج ذاتها، فعجلة التاريخ تتكرر وتتوالى، ولن تبقى إلا آثار من يستلهم العبر والدروس، ويستفيد منها في حاضره ويسعى جاهدا لعمارة مستقبله، مسلحا بالعزيمة القوية والمبادئ الأصيلة والأخلاق الفاضلة، فالحضارات لا تبنى بالقصور الشامخة والانتصارات الوقتية، بل تبقى بالمبادئ الحقة القائمة على التراث الأصيل، ويضرب البحتري مثلا شاهدا على ذلك بالحضارة الساسانية المندثرة، وبما كانت عليه من الأراضي الشاسعة، والقصور المنيفة، وما آلت إليه في مدة زمنية ليست بالطويلة على الاطلاق للفناء والخواء، ويؤكد أن هذا الأمر واقع لا محالة؛ فهو سنة محتومة ومشاهدة في الحضارات الفانية؛ ما يجعل الشاعر يعتصر حزنا و يمتلأ كآبة من هذا المستقبل القادم، الذي يرى بوادره من حاضره المعاش والمشاهد للعيان، ما حمل الشاعر للرحيل بعيدا عن بغداد؛ إلا أنه نبه على ما سيأتي، واعظا ومرشدا من منطلق استشراف المستقبل من واقع الخبرة الطويلة للحياة وصروفها.

اعتمد البحتري في مقطوعته على تعدد الجمل الفعلية؛ ما يتناسب مع تعدد الأحداث في سينيته بشكل عام، كما أن في تعدد تلك الجمل الفعلية مناسبة لما مرَّ به من أحداث كبيرة أثرت عليه ودفعته لاستلهام دروس الماضي لفهم ما مرَّ به من أحداث في حاضره، واستلهم أحداث المستقبل بناء على مجريات الحاضر في تطواف عبر الأزمنة المختلفة من ماضي وحاضر ومستقبل وصولا للغاية المبتغاة عند الشاعر وهي التجربة الإنسانية التي سطرها في سينيته؛ ليستفيد هو منها أولا ويستفيد منها كل متلق لها، فالحياة تمتلئ بالدروس العميقة التي يحملها التاريخ.

وكانت الجمل الاسمية المتكررة عند الشاعر تأكيدا لعدد من الحقائق التي أراد الشاعر التأكيد عليها، وهي جمل قليلة مقارنة بالفعلية، ومقارنة بطول القصيدة نفسها.

ويبرز التناص في تكرارات البحتري عند حديثه عن الكلاكل والدهر والليالي والديار والعيون ما يربط طلل الإيوان بآثار المدن الباقية من الحضارات التي عاصرها


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العرب المسلمون في مطلع القرن الأول من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ارتباط وثيق متصل بشعور الشاعر وذاكرته الخصبة، عدا كون البحتري تناص في استخدامه لآلية التكرار نفسها في التأكيد على المعنى، وهو نهج اتبعه الشعراء السابقين في قصائدهم.

- **التناص الترادفي** تعددت المترادفات الواردة في سينية البحتري على النحو الآتي:

| م | المترادفات الواردة | التناص الترادفي |
|---|---|---|
| ١ | لتعسي/ نكسي | حديث الشاعر عن نفسه |
| ٢ | لاختباري/ البلوى | السابق نفسه |
| ٣ | أتسلى/ آسى | السابق نفسه |
| ٤ | يحسر/ يخسي | حديث الشاعر عن الإمبراطورية الساسانية الفانية بتفاصيل عدة تأسيا لحاضره واستشرافا للمستقبل القادم |
| ٥ | ظني/ حدسي | السابق نفسه |
| ٦ | مزعجا/ مرهقا | السابق نفسه |
| ٧ | اتِّباع/ لحوق | السابق نفسه |
| ٨ | التعزي/ التأسي | السابق نفسه |
| ٩ | أيدوا/ شدوا/ أعانوا | السابق نفسه |
| **م** | **المترادفات الواردة** | **التناص الترادفي** |
| ١٠ | سنخ/ أس | حديث الشاعر عن نفسه |

تعددت الكلمات المترادفة في سياق سينية البحتري مما يندرج تحت أسلوب التكرار السابق، إلا أنه تكرار بسبيل آخر هو سبيل الترادف، وقد اعتمد البحتري على هذا الأسلوب في عرضه لما اعترى نفسه من الهم والغم ، وما تعرض له من البلايا التي دفعته دفعا للارتحال بعيدا عن بغداد؛ مؤثرا العزلة في إيوان كسرى، مسليا نفسه عن حاضره الأليم باستحضار حضارة الساسانيين التي كانت من الحضارات القوية قديما، مستعرضا الآثار الباقية من تلك الحضارة، وما تعكسه من قوتها وسطوتها إلا أنها برغم كل ذلك انتهت واندثرت ولم يبق منها إلا هذه الآثار الباقية والمذكرة بها، والمذكرة أيضا بالدروس التي يستلهمها كل ذي لب، لما ستؤول إليه كل حضارة إذا لم يكن أهلها على قدر المسؤولية من إدراك أبعاد الصرعات والتقلبات التي ستؤدي إلى الانحدار إلى الهاوية.

وبرز التناص الترادفي عنصرا أساسيا في الشعر يؤكد من خلاله الشاعر على أبرز المعاني التي يريد التأكيد عليها من خلال موضوع قصيدته وفق منهج اعتمده


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الشعراء السابقين في قصائدهم.

- **التناص التضادي:** تعددت المتضادات الواردة في سينية البحتري على النحو الآتي:

| م | التضاد الوارد | التناص التضادي |
|---|---|---|
| ١ | صنت/ يدنس | حديث الشاعر عن نفسه |
| ٢ | تماسكت/ زعزعني | السابق نفسه |
| ٣ | اشترائي/ بيعي | السابق نفسه |
| ٤ | آبيات/ الدنيات | السابق نفسه |
| ٥ | مصبح/ أمسي | حديث الشاعر عن ارتحاله |
| ٦ | تذكر/ تنسي | حديث الشاعر عن الإمبراطورية الساسانية الفانية بتفاصيل عدة تأسيا لحاضره واستشرافا للمستقبل القادم |
| ٧ | مأتما/ عرس | السابق نفسه |
| ٨ | الليل/ شمس | السابق نفسه |
| ٩ | مصبح/ ممسي | السابق نفسه |
| ١٠ | بالفراق/ إلف | السابق نفسه |
| ١١ | حظه/ نحس | السابق نفسه |
| ١٢ | إنس/ لجن<br>جن/ لأنس | السابق نفسه |
| **م** | **التضاد الوارد** | **التناص التضادي** |
| ١٣ | اللقاء/ الفراق | السابق نفسه |

تعددت الكلمات المتضادة في سينية البحتري التي بدأ فيها بحديثه عن مشاعر الحزن التي اعترت نفسه فأراد صونها عن كل ما يدنسها من الرزايا التي ترفَّع أن تتدنس نفسه بها، وتماسك أمام المواقف المزلزلة التي تعرض لها في العراق، حيث شعر الشاعر بالغربة الشديدة في العراق بعيدا عن موطنه الشام ومسقط رأسه، محتفظا بإبائه وشموخ نفسه مقررا الرحيل، فيمم وجهه للمدائن مستحضرا حضارة الساسانيين الفانية ومستعرضا ما وصلوا له من البذخ، وما حققوه من الانتصارات، وما اتسمت به رقعة بلادهم من الاتساع والتمدد، إلا أن كل ذلك آل إلى زوال، وانتهى على فناء؛ كل تلك الدروس من حضارة الساسانيين المندثرة استلهمها البحتري ليتفهم حاضره المعاش بكل ما فيه من التقلبات والصراعات، واستشرف منه ما سيكون عليه حال المستقبل القريب، ويحمله ذلك على الحزن الشديد والكآبة الغامرة لما ستؤول إليه الحضارة العباسية


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المزدهرة والتي بنيت بكفاح ونضال الخلفاء العباسيين الأوائل.

ويبرز التناص هنا في استخدام المتضادات لإبراز المقارنات العميقة بين الحاضر الأليم والمستقبل المتوقع من خلال استحضار الماضي البعيد من حضارة الساسانيين والماضي القريب من فناء واندثار تلك الحضارة بأسلوب أستاذه أبي تمام[٣٨]، المتميز في استخدام التضاد لإبراز الفروق وتوضيح الملابسات العميقة من خلال الأسلوب الفلسفي، وهو ضمن تيار التجديد في بنية القصيدة الذي ابتدأ منذ بشار بن برد، وسار عليه عدد من الشعراء العباسيين وصولا لأبي تمام رأس الحربة في التجديد والتطوير لرسم القصيدة العربية القديمة، وقد لزم البحتري تلميذه المنهج التقليدي المحافظ إلا أن هذه السينية تشع بالتجديد، ويظهر أثر التناص جليا بين الشاعرين من باب التضاد بشكل واضح.[٣٩]

- **قراءة في رمزية التناص الطللي:** اعتمد البحتري في سينيته على التناص اعتمادا كبيرا في جعله الأيقونة الرمزية التي أخفى فيها ومن خلالها الرسالة التي أراد إيصالها، إن هذه الرسالة المشفرة كانت وما زالت هي اللغة التي يعتمدها الشعراء في نصوصهم الإبداعية، ويلجؤون لها لأسباب عدة، كانت إحدى أبرز هذه الأسباب لدى البحتري هو ما تعرض له من الموقف الجلل في بغداد، ذلك الموقف الذي غيَّر حياته، وهزَّ توازنه على كل الأصعدة النفسية والمالية والأخلاقية، وخرج مرتحلا من بغداد هائما لا يدري أين يولي وجهه، حتى وجد تسليته في إيوان كسرى بالمدائن، ذلك الطلل الباقي من آثار الإمبراطورية الساسانية، الذي وجد فيه الشاعر تسليته عن همومه، وساعده على قراءة حاضره مما قدّمه له من دروس الماضي، وألهمه بما سيكون عليه المستقبل القادم.

كان هذا الحدث الجلل الذي مرَّ به البحتري هو مقتل الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان[٤٠]، لم تكن شخصية كل من الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان بارعة في إدارة شؤون الخلافة العباسية، بل متميزة على أصعدة عدة، لعل من أبرزها الجانب الثقافي، حيث كان بلاطهما حافلا بالشعراء والعلماء، وكان البحتري أحد أبرز الشخصيات في ذلك البلاط حتى تحولت العلاقة بينه وبين الخليفة المتوكل ووزيره الفتح

---

[٣٨] ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي. لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٢٧٩٧.

[٣٩] ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف. مصر، ط١٠، ١٩٧٨م، ص ٢٢٧-٢٣١.

[٤٠] ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر. لبنان، ج ٦، ص ٣٠.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بن خاقان لمرتبة عالية من الاحتفاء والتقدير، وقال فيهما البحتري أفضل قصائده، وكان اتصاله بهما اتصال ملازمة حتى كان يوم مقتلهما في بلاط الخلافة، حيث كان البحتري حاضرا ذلك المجلس وشهد هذه المكيدة الكبيرة والحدث الجلل، وحزن عليهما حزنا شديدا، ولم يستقر بعد هذه الحادثة ببغداد بل عاد لمسقط رأسه في الشام بقرية منبج ومات بها.[٤١]

لم يكن البحتري ليتجاوز هذه الحادثة المروعة وهو الشاعر المرهف الحس من جهة، كما أنه لم يستطع أن يتجاوزها من جهة أخرى كون الخليفة المتوكل أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي الهاشمي القرشي (247-205) هـ أحد أقوى الخلفاء العباسيين وأبرزهم أثرا على الحضارة العباسية المزدهرة التي بلغت في حينها الآفاق، وكان لازدهارها تأثيرات عديدة على الشرق والغرب حتى يومنا هذا في مجالات الإنسانية المتعددة، كان الخليفة المتوكل هو نهاية طور الخلافة العباسية المزدهرة وبمقتله انتقل هذا الطور للضعف شيئا فشيئا حتى تفتت الخلافة العباسية لعدد من الدويلات تمهيدا لفقدان الخلفاء العباسيين السيطرة على هذه الخلافة المترامية الأطراف، ثم كان السقوط المحتوم على يد التتار أو المغول.[٤٢]

وكان اختيار الخليفة المتوكل لوزيره الفتح بن خاقان اختيارا مدروسا بعناية، فقد كان الأخير شاعرا أديبا كريما بهي الطلعة وقور المجلس، وقد أعجب به البحتري ومدحه بمدائح عدة، وكان هذا الوزير هو حلقة الصلة بين البحتري والخليفة المتوكل.[٤٣]

وظلَّ البحتري يذكر المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان بعد مقتلهما ويرثيهما كلما مرَّت به نائبة من نوائب الدهر، ويعدُّ كل نائبة من النوائب أمرا هينا مقارنة بمصيبته على فراقهما، فها هو يقول في رثاء غلام له مات:

فلا تعجبن أن يغل جسمي الضنى ... ولم يخترم نفسي الحِمام المعجَّل
فقبلك بان الفتـــــح عنِّي مودعا ... وفارقني شفعا له الـمتـــــوكل
فما بلغ الدمع الذي كنت ارتجي ... ولا فعل الوجد الذي خلت يفعل[٤٤]

ويظل البحتري يمدحهما مع كل مادح له ويذكرهما في مدحه مع كل ممدوح، وتلح

---

[٤١] ينظر: البحتري، أبو عبادة الوليد بم عبيد بن يحي بن عبيد بن شملال بن جابر، الديوان، دار الكتب العلمية. لبنان، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص ٤.

[٤٢] ينظر: المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين. لبنان، ط١٢، ١٩٧٩م، ص ٢٣٨.

[٤٣] ينظر: الشكعة، د. مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين. لنان، ط١، ١٩٧٩م، ص ٧٠٩.

[٤٤] ينظر: مرجع سابق، ص ٧٣٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ذاكرته على استذكار ما كانت عليه عطاياهما له، فها هو يقول وهو يمدح عبد الله بن طاهر بقصيدة طويلة:

تداركني الإحسان منك ونـــالني على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عنِّي حين لا الفتح يرتجى لدفع الأذى عنِّي ولا المتوكل[٤٥]

وقد عرَّض البحتري نفسه للهلاك المحقق عندما هاجم ابن المتوكل وولي عهده المنتصر، وودَّ لو استطاع الدفاع عنهما يوم مقتلهما؛ خاصة أنه كان حاضرا مجلسه وقت وقوع تلك الكارثة الأليمة، وهو ما عبَّر عنه في مرثيته التي قال فيها:

صريع تقاضاه السيوف حشاشة يجود بها والموت حمر أظافره
أدافع عنه باليدين ولم يكن ليثني الأعادي أعزل الليل حاسره

حتى يقول مهاجما ولي عهد المتوكل:

أكان ولي العهد أضمر غدرة؟ فمن عجب أو ولي العهد غادره!
فلا ملِّي الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذاك الدعاء منابره
ولا وأل المشكوك فيه ولا نجا من السيف ناضي السيف غدرا وشاهره[٤٦]

وقد أفاض البحتري في وصف حال قصر الجعفري بعد رحيل المتوكل عنه، وما علاه من الحزن والكآبة في قصيدة مطلعها:

تغيَّر حسن الجعفري وأنسه وقوّض بادي الجعفري وحاضره

حتى يقول عن قاتل المتوكل:

تخفَّى له مغتاله تحت غِرة وأولى لمن يغتاله لو يجاهره.[٤٧]

ولم يمتَّع القاتل بالملك بل كانت خلافته ما يقرب من خمسة أشهر.[٤٨]

ويقال إن الخليفة المتوكل كان جوادا على الشعراء لم يعط خليفة للشعراء ما أعطاه هو لهم.[٤٩]

كان هذا الحدث في حياة البحتري حدثا مفصليا، لم يملك نفسه من التعبير عنه بأسلوب مباشر وبأسلوب غير مباشر من خلال قصائده التي نظمها في رثاء المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان، وكانت قصيدته السينية من القصائد التي نظمها بشكل غير

---

[٤٥] ينظر: مرجع سابق، نفسه.
[٤٦] ينظر: مرجع سابق، ٧٣١.
[٤٧] ينظر: مرجع سابق، ص ٧٢٩، ٧٣٠.
[٤٨] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، قامت اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي بالإشراف والعناية بها بإشراف: محمد غسان الحسيني، دار الأوقاف والشؤون الإسلامية. قطر، ط٢، ٢٠١٣م، ص ٥٥٤،٥٥٣.
[٤٩] ينظر: مرجع سابق، ص ٥٤٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مباشر بعد هذه الحادثة مباشرة، ولا غرو أن يلجأ الشاعر للرمز بعد هذا الحدث الجلل الذي وقع أمام ناظريه.

ألجأ هذا الحدث الجلل البحتري للرحيل عن بغداد مؤثرا الرحيل عن هذه الفتنة المشتعلة، باحثا لنفسه الثكلى عمَّا يسكن روعها، مسليا نفسه الحزينة بآثار الدولة الساسانية الفانية في المدائن، مستحضرا قوة تلك الإمبراطورية الفانية، وما آل إليه حال قصورها الجميلة من الخواء والوحشة بعد أن كانت عامرة بالأنس والمباهج.

وكان التناص وسيلة مهمة للبحتري لجأ إليها ليستلهم من التراث الماضي بشتى صنوفه وتعدد ألوانه وأعراقه ما يفهم منه حاضره المعاش بقسوته وتقلبه، ويستقرئ المستقبل القادم من خلال ما وقع للحضارة الساسانية المنتهية.

لم يكن اختيار البحتري للحضارة الساسانية خبط عشواء أو وليد الصدفة، بل كان اختيارا مدروسا وبعناية فائقة من شاعر امتلك ناصية الكلمة، وخبر الحياة وصروفها دهرا، حيث تحدث عن الحضارة الساسانية القديمة وعن وإيوان كسرى وبطولات الساسانيين، وجاء الربط بين حضارتهم العريقة والعرب الذين اتصلوا بهم منذ قديم الزمان، وربطتهم بهم مصالح مشتركة، وهو ما استمر في الخلافة العباسية ردحا طويلا، حين درج الخلفاء العباسيين أن يكون وزراؤهم من الفرس إلا أن هذا الأمر اختلف مع إدخال الخليفة العباسي المعتصم بالله العنصر التركي في تعريض مباشر من البحتري بأعوان المنتصر من الأتراك الذين قتلوا الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان حينما حاول الدفاع عنه.[٥٠]

بدأ البحتري في سينيته من نفسه التي عانت الأمرين بعد هذه الحادثة البشعة التي شهدها، وكان وقوفه مع نفسه تناصا تراثيا استلهم منه استدعاء الشعراء الجاهليين للصحب للوقوف معه، فبدل استدعائه للصحب اصطحب البحتري نفسه التي عانت الأمرين، وكانت هي رفيق دربه في رحلته التي ارتحل فيها من العراق إلى المدائن، وقد برر البحتري وقوفه مع نفسه تأسيا بالشعراء القدماء الذين برروا وقوفهم على الأطلال بالحزن الذي ارتبط بفراق المكان، وقد ارتبط رحيل البحتري بالحزن العميق الذي ألم به على بشاعة الحادثة التي وقعت أمام ناظريه، وتحسرا على بداية زوال طور الخلافة العباسية القوية، حيث استشرف بداية الضعف والتدهور من القة للضعف شيئا فشيئا ، وهو ما كان بالفعل.

ثم كان وقوف البحتري بإيوان كسرى بالمدائن وقوفا **تناص فيه مع وقوف**

---

[٥٠] ينظر: الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث. مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ج٩، ص ٤٤٤ -٤٤٩.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**الشعراء السابقين على الأطلال،** وتأمل هذا الإيوان وتفحصه بعناية فائقة كما كان الشعراء من قبله يتفحصون أطلال الديار المندثرة، **وكان هذا التناص الطللي وسيلة لما أراد البحتري إيصاله من رمز،** لقد حكى البحتري شموخ هذا الإيوان وأبرز جماله وجمال معالمه المتعددة التي عكست قوة وسطوة من بنوه من الحكام الساسانيين، إلا أن ملكهم آل إلى الزوال بفعل الهشاشة الداخلية التي نخرت في أركان دولتهم، كان سقوطهم أمام الفتح الإسلامي أمرا طبعيا، وحقيقة واقعة بسبب ما كان عليه حالهم من التزعزع الداخلي، وهو ما تلمس البحتري وقوعه في البيت العباسي بعد مقتل الخليفة المتوكل، الذي انتهى بحكمه الخلفاء العباسيين الأقوياء، وكان الوزراء الأتراك هم الحكام الحقيقيون، حيث لم يكن للخلفاء العباسيين أي سلطان يذكر في إدارة شؤون البلاد، وقد صور هذه الحقيقة أحد الشعراء في عصر لاحق هو عصر الخليفة المستعين ( ٢٤٨-٢٥٢هـ) حيث قال:

خليفة في قفص  بين وصيف وبُغا
يقول ما قالا له  كما يقول الببَّغا[٥١]

فالمؤرخون يحددون العصر العباسي الثاني بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ، وقد أطلقوا عليه اسم: العصر التركي تمييزا له عن العصر العباسي الأول الذي غلب فيه العنصر الفارسي.[٥٢]

كان نظر البحتري الثاقب هو من تنبأ بالتدهور التدريجي وبداية السقوط للهاوية، ومن هنا جاء التناص رمزا اغتنمه بوقوفه على إيوان كسرى بالمدائن ليعلن من هناك أن الزوال هو النتيجة الطبيعية للخلافة العباسية، كما حصل من قبل مع الإمبراطورية الساسانية التي كانت من أقوى الممالك سابقا وحتى ظهور الإسلام.

كما كان **تناص البحتري الزماني** في سينيته مع تناص الشعراء السابقين، الذين كانت الليالي والأيام والدهور عناصر حاضرة في قصائدهم، وهم يتأملون تأثيرات الزمن على الحياة، وما ينعكس عليها من أحوال التغير والتبدل، وقد أبرز البحتري أثر الزمن على تغير أحوال الإمبراطورية الساسانية من الازدهار والاتساع إلى الفناء والزوال، وكذلك هو ما سيؤول إليه حال الخلافة العباسية التي بلغت قمة ازدهارها حتى أطلق على العصر العباسي الأول اسم العصر الذهبي في تاريخ الحضارة الإسلامية، ثم استشرف البحتري آثار الانحدار والتشرذم بولاية الترك لمقاليد الدولة بدلا عن الخلفاء

[٥١] ينظر: ضيف، د. شوقي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف. مصر، ط٧، ١٩٩٠م، ص ١٧.

[٥٢] ينظر: زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة. لبنان، ١٩٩٢م، ص ٤٦٠.


ISSN: 2537-0847  eISSN : 2537-0898

العباسيين.

كما أبرز البحتري من خلال **تناص الشخصيات** في سينيته أسماء ملوك الأكاسرة الأشاوس وما كانت عليه عهودهم من الازدهار والنماء، وذكر الأسماء في القصيدة أمر متبع عند الشعراء السابقين الذين كانوا يذكرون أسماء محبوباتهم ويتغنون به في قصائدهم، وكما كان يتغنى الشعراء السابقون بالانتصارات البارزة، كذلك أبرز البحتري بتناصه معركة أنطاكية التاريخية التي دارت بين أكبر إمبراطوريتين في التاريخ القديم: الفرس والروم، مسجلا أن الانتصارات الباهرة والقصور الفارهة لا يغني عن الفناء والانتهاء مع عدم الاستفادة من الدروس والسعي الدؤوب للمحافظة على الإنجازات المحققة.

وسار البحتري على منوال الشعراء السابقين في **التناص الشعوري**، فكما كان البكاء حاضرا في قصائدهم، وكما ذرفت عيونهم الدموع على أحبائهم الراحلين، كان الحزن والدموع بل والكآبة حاضرة وبقوة في سينية البحتري التي بكى فيها على عهد ازدهار الخلافة العباسية، واستشرف ما سيأتي في قادم الأيام من التدهور وصولا للفناء، وهو ما كان حقا بتشرذم الخلافة العباسية شيئا فشيئا، واستقلال الدويلات المتعددة داخل كيانها، حتى غدا الخليفة العباسي في العصور السابقة رمزا فحسب.

**وافتتح** البحتري سينيته ببثه مشاعر الحزن التي عانى منها بعد تعرضه لهذا الحادث الأليم ببغداد مقررا الرحيل عنها بلا رجعة؛ صيانة لنفسه ومبادئه وأخلاقه من التدنس بدنس الخسة والدناءة على نهج الشعراء القدماء الذين كان البكاء والحزن حاضرا في صدور قصائدهم حينما وقفوا على الأطلال،ثم **ختم** البحتري سينيته بخاتمة منبهة أن وقوفه على أطلال الساسانيين لم يكن وقوفا عبثيا، بل كان الغرض منه استلهام العبر والدروس والاستفادة منها في صناعة الحاضر المعاش وصولا لصنع غد أفضل، وهو ما نبه عليه بهذه الخاتمة التحذيرية، ومصرحا بذلك في البيت الأخير من سينيته البالغة ستتا وخمسين بيتا أنه لا يذكر الساسانيين إلا لغرض التأسي والاستفادة مما حصل معهم حتى لا يكرر التاريخ نفسه مع الخلافة العباسية، حيث سجل البحتري في البيت الأخير من قصيدته أن أصالته وعراقة منبته دفعته للتنبيه والتوجيه لمن في بغداد إلى ضرورة الاستفادة من تجارب الآخرين للنهوض من الكبوة، والحفاظ على الإرث الحضاري من الزوال والفناء، وقد تناص الشاعر مع تراثه الحافل بالمبادئ والأخلاق ومع اختتام الشعراء السابقين قصائدهم بالحكمة المستلهمة من دروسهم في الحياة والناس.

واعتمد البحتري في تناصه على عدد من **التقنيات الشكلية** المهمة التي لم تغب عن قصائد الشعراء السابقين، لعل من أبرزها: التصوير والتكرار والترادف والتضاد، فقد استلهم البحتري **تصويراته** من الشعراء السابقين الذين لم تغب عن قصائدهم التصويرات بتعدد أشكالها، فصور البحتري حالته النفسية وما كان عليه من الحزن الشديد والخوف


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

على نفسه من التدنس نتيجة ما مرَّ به، كما صور حالته الاقتصادية وما اتسم به من المبادئ والأخلاق التي دفعته للرحيل عن بغداد بالرغم من حاجته للمال، وصور معاناته مع الناس في العراق تصويرا يبرز إحساسه بالغربة بعد مقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ممن كان يأنس بهما في غربته عن بلده ومسقط رأسه بالشام، وصور البحتري الإمبراطورية الساسانية الفانية وكل ما يتصل بحضارتها، مبرزا مكان الملك بالإيوان مصورا جزئياته تصويرا دقيقا مستشرفا ما سيؤول إليه حال الحضارة العباسية بكل مباهجها من القصور والديار والمدن.

واستخدم البحتري **التكرار** لتأكيد رسالته الرمزية التي أراد إيصالها، كان البحتري يؤكد على النهاية الحتمية للخلافة العباسية المزدهرة وقتئذ، مشيرا إلى أنها سائرة في درك الانهيار نحو الهاوية، كما حدث مع الإمبراطورية الساسانية الفانية، وكانت صرخة الحزن طاغية على لغته؛ ما ينبئ عن تلك النهاية الحزينة التي استشرفها الشاعر لمستقبل الأيام القادمة، وكانت الدموع والحسرة بادية على تلك اللغة التي أراد البحتري من خلالها التنبيه على هذا القادم الأليم إذا لم يتم التنبه والتيقظ له، وهو ما كان بالفعل وما تحقق على أرض الواقع بعده بسنوات قليلة.

**الخاتمـة:**

تخلص الدراسة إلى أن التناص هو انبثاق النص الإبداعي من النصوص الإبداعية السابقة عليه، وتداخله معها تداخلا يولد إبداعا جديدا متضمنا في روحه الإبداعات السابقة التي يهضمها وينتجها في المواقف المحددة التي يستدعيها مخزونه الثقافي بإبداع جديد يخدم واقعه الذي يريد التعبير عنه.

وقد تناصت سينية البحتري مع النصوص الإبداعية السابقة عليها، وكان الطلل هو محور هذا التناص بشكل بارز من خلال استدعاء البحتري للنصوص السابقة التي تناولت الطلل، إلا أن هذا التناول للطلل عند البحتري يختلف في جوانب ويتفق في أخرى مع الطلل عند الشعراء السابقين، ولعل أبرز تلك الاختلافات تكمن في الآتي:

- الموقع الجغرافي
- الشكل الخارجي
- القيمة الحضارية
- الوظيفة الأدائية
- القيمة الاقتصادية

في حين اتفق الطلل عند البحتري مع الطلل القديم في الآتي:

- التغير والتبدل.
- الذكريات والحنين



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- الاعتبار والتبدل
- استشراف المستقبل
- الدروس الماضية

ولعل أبرز محاور التناص بين الطلل في سينية البحتري والطلل عند الشعراء السابقين، الآتي:

❖ **التناص الموضوعي، ويتمثل في الآتي:**

- التناص المكاني: استحضر البحتري الطلل عند الشعراء القدماء حين وقوفه على إيوان كسرى بالمدائن، ووصف ثنايا هذا الإيوان وتفاصيله الدقيقة كما فعل الشعراء السابقين حين وقوفهم على الأطلال الباقية وآثارها.
- التناص الزماني: استحضر البحتري أثر مرور الزمن على إيوان كسرى كما فعل الشعراء السابقين الذين ربطوا اندثار أطلال محبوباتهم بفعل عوامل الزمن عليها، وما أحدثه الزمن على تلك الأطلال من التغير والتبدل.
- تناص الشخصيات: استدعى البحتري عددا من الشخصيات في سينيته كما كان الشعراء القدماء يستدعون الصحب وأسماء محبوباتهم عند وقوفهم على الأطلال المندثرة، وبث البحتري شجونه لتلك الشخصيات كما فعل الشعراء القدماء، واستلهم منها العبر لأحداثه الحاضرة واستشرف منها المستقبل القادم.
- التناص الشعوري: تقاطع شعور البحتري مع شعور الشعراء القدماء عند حديثهم عن الطلل، فقد غلبت عليه مشاعر الحزن وحضرته الهموم المتراكمة كما غلب البكاء والتحسر على الشعراء السابقين عندما وقوفوا على أطلال محبوباتهم الراحلات.
- تناص الافتتاح والختام: تناص البحتري في افتتاحه واختتامه لسينيته مع الشعراء السابقين في بث شجونه ونجواه من خلالهما وأفصح فيهما عن سر القصيدة ومكمنها المعلل لوقوفه على طلله الذي وقف عليه وهو إيوان كسرى بالمدائن.

❖ **التناص الشكلي ويتمثل في الآتي:**

- التناص التصويري: تعددت التصويرات في سينية البحتري كما كانت التصويرات حاضرة دائما عند الشعراء السابقين؛ لتقريب رؤيتهم ومواقفهم تجاه الحياة والناس.
- التناص التكراري: كان التكرار وسيلة اعتمدها البحتري للتأكيد على الحقائق التي أراد لفت الأنظار إليها، وهو بلا شك وسيلة انتهجها من قبله من الشعراء القدماء اتباعا للنهج اللغوي العربي في هذا الصدد.
- التناص الترادفي: كان الترادف أيضا نهجا متبعا عند البحتري لتأكيد الحقائق التي أراد لفت الانتباه إليها على نهج الشعراء السابقين، ووفق مقتضيات اللغة العربية الأصيلة.
- التناص التضادي: أبرز أسلوب التضاد عند البحتري المقارنات العميقة بين الحاضر


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأليم والمستقبل المتوقع من خلال استحضار الماضي مستحضرا أسلوب أستاذه أبي تمام المتميز في التضاد الفلسفي العميق.

- ❖ قراءة رمزية في التناص الطللي: لم يكن التناص هدفا انتهجه البحتري في سينيته، بل كان وسيلة توصله لهدفه من فهم الحاضر الذي يعيشه من تبدل الحال في الخلافة العباسية من القوة للضعف، ومن سيطرة الخلفاء الأقوياء لتسلط الوزراء ممن اتصفوا بالرعونة وقلة الخبرة والدراية بشؤون الدولة والناس، ومن إكرام العلماء والشعراء إلى إبعادهم بل وإقصائهم عن المشهد، ومن الاهتمام بشؤون العامة إلى الاهتمام بالشأن الخاص والمطامع الشخصية، واستشرف البحتري المستقبل القادم من تردي الخلافة العباسية من الازدهار إلى التدهور ومن النماء إلى الجمود ومن التمدد والتوسع إلى الانكماش والتشرذم، وكل ذلك التوقع قد حصل بالفعل للحضارة الساسانية التي شهد المسلمون أنفسهم انحسارها وتدهورها في سنوات قليلة حتى زالت واندثرت تلقائيا أمام أعينهم برغم ما وصلت له من القوة والسطوة والاتساع في مشارق الأرض ومغاربها، وقد تضافرت العناصر الموضوعية والشكلية معا في إبراز ذلك الرمز من خلال مكون الطلل الحاضر في السينية.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المصادر والمراجع:**


- القرآن الكريم.
- ألان، جرهام، نظرية التناص، ترجمة: د. باسل المسالمة، دار التكوين. سوريا، ط١، ٢٠١١م.
- بارث، رولان:
  - نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري. المغرب، ١٩٩٤م.
  - هسهسة اللغة، ترجمة: منذر عياشي، مركز النماء الحضاري. المغرب، ١٩٩٩م.
- البحتري، أبو عبادة الوليد بم عبيد بن يحي بن عبيد بن شملال بن جابر:
  - الديوان، دار الكتب العلمية. لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
  - الديوان، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف. مصر، ط٣.
- البنداري، د. حسن وآخرون، مقال: التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر، المجلد ١١، العدد٢، ٢٠٠٩م.
- الجاد الله، سحر، ومسعد، أحلام، مقال: مميزات التناص في لطائف ابن الجوزي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب. الأردن، المجلد ١٢، العدد ١، ٢٠١٥م.
- جاسم، علي متعب، مقال: التناص أنماطه ووظائفه في شعر محمد رضا الشبيبي، مجلة واسط للعلوم الإنسانية. العراق، العدد ١٠.
- جمال حريري، أناهيد، المقدمة الطللية في القصيدة الجاهلية وسماتها الخاصة عند شعراء المعلقات السبع، دار كنوز المعرفة. المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.
- حاجي، د. أحمد، من التناص إلى تقاطع النصوص نظرية جديدة للمصطلح النقدي، مجلة مقاليد، العدد٢، ٢٠١١م.
- الحسين، د. رياض، مقال أثر توظيف الشخصية الدينية في شعر مصطفى الغماري – دراسة تحليلية تناصية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد ١٦، العدد ١، ٢٠١٧م.
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي. لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر. لبنان.
- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، خرج أحاديثه وعلق عليه وقدم له واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث. مصر، ط١، ٢٠٠٦م.
- الزعبي، د. أحمد، التناص نظريا وتطبيقيا- مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في رواية لهاشم غرايبة وقصيدة راية القلب لإبراهيم نصر، مؤسسة عمون. الأردن، ط٢، ٢٠٠٠م.
- زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة. لبنان، ١٩٩٢م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، قامت اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي بالإشراف والعناية بها بإشراف: محمد غسان الحسيني، دار الأوقاف والشؤون الإسلامية. قطر، ط٢، ٢٠١٣م.
- شرفي، عبد الكريم، مقال: التناص مفهومه وتنويعاته وتفريعاته واصطلاحاته، رابطة ادباء الشام. العدد ٣١، ٢٠٢٠م.
- الشكعة، د. مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، دار العلم للملايين. لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
- صرقس، حامد، وزاده، فؤاد، صوت المتنبي في تجربة أمل دنقل، مجلة اهل البيت. العراق، العدد١٣، ص١٠٥.
- ضيف، د. شوقي:
  - العصر العباسي الثاني، دار المعارف. مصر، ط٧، ١٩٩٠م.
  - الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف. مصر، ط١٠، ١٩٧٨م.
- العايدي، د. صلاح الدين فاروق، الوجه الثقافي للطلل في الشعر العربي الحديث- الطلل النفسي في شعر إبراهيم ناجي نموذجا، المجلة العربية مداد. مصر، العدد ٢، يناير – إبريل، ٢٠١٨م.
- عزام، د. محمد، النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي- دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، ٢٠٠١م.
- عطا، أحمد محمد، التناص القرآني في شعر جمال الدين بن نباته، المؤتمر الدولي الرابع لكلية الألسن، جامعة ألماني، أبريل ٢٠٠٧م.
- عطوان، د. حسين، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف. مصر.
- عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان. مصر، ط٢، ١٩٩٧م.
- الغذامي، د. عبد الله، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية- قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، ١٩٩٨م.
- القاضي، محمد وآخرون، معجم السرديات، إشراف: محمد القاضي، دار محمد علي. تونس، دار الفارابي. تونس، مؤسسة الانتشار العربي. لبنان، دار تالة. الجزائر، دار العين. مصر، دار الملتقى. المغرب، ط١، ٢٠١٠م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم. لبنان،


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ط١، ١٩٨٤م.
- قيركلف، نورمان، الخطاب والتغيير الاجتماعي، ترجمة: محمد عناني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٣م.
- كريستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال. المغرب، ١٩٩٧م.
- الماضي، شكري، مقال ما بعد البنيوية حول مفهوم التناص، مجلة المعرفة، العدد ٣٥٣، ١٩٩٣م.
- مسعد، د. محمد، التناص في شعر البردوني. متناص البحث عن الفردوس. قراءة سيموطيقية، دار أمجد. الأردن، ٢٠١٨م.
- مفتاح، د. محمد، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، المغرب. لبنان، ١٩٩٢م.
- المقدسي، أنيس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين. لبنان، ط١٢، ١٩٧٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. لبنان، ط٢، ١٩٩٧م.
- نجاح، مدلل، ظاهرة التناص في الخطاب الشعري الحديث- ديوان عولمة الحب. عولمة النار أنموذجا، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد ٤، العدد ٤، ٢٠١٢م.
- النعيمي، د. فيصل، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمن المنيف، دار مجدلاوي. الأردن، ط١.
- واصل، عصام، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر- أحمد العواضي انموذجا، دار غيداء. الأردن، ٢٠١١م.

**Sources and references:**

The Holy Quran.
- Allan, Graham, Theory of Intertextuality, translated by: Dr. Basil Al-Masalmeh, Dar Al-Takween. Syria, 1st edition, 2011 AD.
- Barth, Roland:
• Criticism and Truth, translated by: Munther Ayachi, Center for Civilization Development. Morocco, 1994 AD.
• The hissing of the language, translated by: Munther Ayachi, Center for Civilization Development. Morocco, 1999 AD.
- Al-Buhturi, Abu Ubadah Al-Walid Bm Ubaid Bin Yahya Bin Ubaid


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Bin Shamlal Bin Jaber:

- Diwan, Scientific Books House. Lebanon, 1st edition, 1987 AD.
- Al-Diwan, on its investigation, explanation and commentary: Hassan Kamel Al-Sairafi, Dar Al-Ma'arif. Egypt, 3rd edition.
- Al-Bandari, Dr. Hassan et al., Article: Intertextuality in Contemporary Palestinian Poetry, Al-Azhar University Journal, Volume 11, Number 2, 2009.
- Al-Jadallah, Sahar, and Mosaad, Ahlam, article: Characteristics of Intertextuality in Lataif Ibn Al-Jawzi, Journal of the Federation of Arab Universities for Literature. Jordan, Volume 12, Number 1, 2015.
- Jassim, Ali Miteb, Article: Intertextuality, Its Patterns and Functions in the Poetry of Muhammad Reda Al-Shabibi, Wasit Journal of Human Sciences. Iraq, Issue 10.
- Jamal Hariri, Anahids, The Pre-Islamic Poem and Its Special Characteristics for the Seven Mu'allaqat Poets, Dar Treasures of Knowledge. Kingdom of Saudi Arabia, 1425 AH.
- Haji, Dr. Ahmad, From Intertextuality to the Intersection of Texts, A New Theory of the Critical Term, Maqalad Magazine, Issue 2, 2011 AD.
- Al-Hussein, Dr. Riyad, An article on the effect of employing the religious personality in the poetry of Mustafa Al-Ghamari - a textual analytical study, Journal of Arts and Human Sciences, Volume 16, Issue 1, 2017.
- Al-Hamwi, Yaqut, The Dictionary of Writers - Irshad Al-Areeb to Know the Writer, investigation: d. Ihsan Abbas, Islamic West House. Lebanon, 1st edition, 1993 AD.
- Ibn Khalkan, Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Abi Bakr bin Khalkan, Deaths of Notables and News of the Sons of Time, Dar Sader. Lebanon.
- Al-Dhahabi, Imam Shams al-Din Muhammad bin Ahmad bin Othman, the biography of the nobles, he published his hadiths and commented on them and presented to him and took care of him: Muhammad Ayman al-Shabrawi, Dar al-Hadith. Egypt, 1st edition, 2006 AD.



**ISSN: 2537-0847** **eISSN : 2537-0898**

- Al-Zoubi, Dr. Ahmad, Intertextuality Theoretical and Practical - A Theoretical Introduction with an Empirical Study of Intertextuality in Hashem Gharaibeh's Novel and Ibrahim Nasr's Poem Rayat al-Qalb, Ammon Foundation. Jordan, 2nd edition, 2000 AD.
- Zaidan, Jerji, History of the Literature of the Arabic Language, Dar Al-Hayat Library. Lebanon, 1992 AD.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr, History of the Caliphs, the Scientific Committee of the Dar Al-Minhaj Center for Studies and Scientific Investigation supervised and took care of it under the supervision of: Muhammad Ghassan Al-Husseini, Dar Al-Awqaf and Islamic Affairs. Qatar, 2nd edition, 2013 AD.
- Sharafi, Abd al-Karim, Article: Intertextuality, Its Concept, Variations, Branches, and Conventions, Levant Writers Association. Issue 31, 2020 AD.
- Al-Shakaa, Dr. Mustafa, Poetry and Poets in the Abbasid Era, House of Knowledge for Millions. Lebanon, 1st edition, 1979 AD.
- Sarkos, Hamed, and Zadeh, Fouad, The Voice of Al-Mutanabi in the Experience of Amal Dunqul, Ahl al-Bayt Magazine. Iraq, Issue 13, p. 105.
- Guest, Dr. Shawky:
  - The second Abbasid era, Dar al-Ma'arif. Egypt, 7th edition, 1990 AD.
  - Art and its doctrines in Arabic poetry, Dar Al Maarif. Egypt, 10th edition, 1978 AD.
- Al-Aidi, Dr. Salah al-Din Farouk, The Cultural Face of Talal in Modern Arabic Poetry - Psychological Talal in Ibrahim Naji's Poetry as a Model, The Arab Journal Medad. Egypt, Issue 2, January - April, 2018.
- Azzam, Dr. Muhammad, the absent text - manifestations of intertextuality in Arabic poetry - a study, publications of the Arab Writers Union. Damascus, 2001 AD.
- Atta, Ahmed Muhammad, Quranic Intertextuality in the Poetry of Jamal al-Din Ibn Nabatah, Fourth International Conference of the Faculty of Al-Alsun, German University, April 2007.
- Atwan, Dr. Hussein, Introduction to the Arabic Poem in the Pre-


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Islamic Era, Dar Al-Maarif. Egypt.
- Anani, Mohamed, Modern Literary Terms, Egyptian International Publishing Company - Longman. Egypt, 2nd edition, 1997 AD.
- Al-Ghadami, Dr. Abdullah, Sin and Atonement from Structural to Anatomical - A Critical Reading of a Contemporary Model, The Egyptian General Book Organization, 4th edition, 1998 AD.
- Al-Qadi, Muhammad and others, The Dictionary of Narratives, supervised by: Muhammad Al-Qadi, Dar Muhammad Ali. Tunisia, Dar Al-Farabi. Tunisia, Foundation for Arab Expansion. Lebanon, Tala House. Algeria, Dar Al Ain. Egypt, Dar Al-Multaqa. Morocco, 1st Edition, 2010 AD.
- Ibn Qutayba, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim, Poetry and Poets, Dar Ihya al-Uloom. Lebanon, 1st edition, 1984 AD.
- Gercliffe, Norman, Discourse and Social Change, translated by: Muhammad Anani, Hindawi Foundation, United Kingdom, 2023 AD.
- Kristeva, Julia, Alam Al-Nass, translation: Farid Al-Zahi, reviewed by Abdel-Jalil Nazim, Dar Toubkal. Morocco, 1997 AD.
- Al-Madhi, Shukri, post-structuralist article on the concept of intertextuality, Al-Maarifa Magazine, No. 353, 1993 AD.
- Massad, Dr. Muhammad, Intertextuality in Al-Bardouni's Poetry. Intertextual search for paradise. Simotic reading, Dar Amjad. Jordan, 2018 AD.
- Moftah, Dr. Mohamed, Poetic Discourse Analysis - Intertextuality Strategy, Arab Cultural Center, Morocco. Lebanon, 1992 AD.
- Al-Maqdisi, Anis, Princes of Arabic Poetry in the Abbasid Era, Dar Al-Ilm for Millions. Lebanon, 12th edition, 1979 AD.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram, Lisan Al-Arab, who took care of correcting it: Amin Abdel-Wahhab and Muhammad Al-Sadiq Al-Obaidi, Dar Revival of Arab Heritage and the Arab History Foundation. Lebanon, 2nd edition, 1997 AD.
- Najah, Mudalal, the phenomenon of intertextuality in modern poetic discourse - Diwan Globalization of Love. The globalization of fire as a model, Journal of Arabic Language Sciences and Literature, Volume 4, Number 4, 2012 AD.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- Al-Nuaimi, Dr. Faisal, The Mark and the Novel: A Semiotic Study in the Black Land Trilogy, by Abd al-Rahman al-Munif, Dar Majdalawi. Jordan, 1st edition.
- Wasel, Essam, the traditional intertextuality in contemporary Arabic poetry - Ahmed Al-Awadi as a model, Dar Ghaida. Jordan, 2011 AD.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

# التشكلات المفهومية لمصطلح البراجماتية عبر مسيرته الفلسفية وأثرها على التداولية

## دراسة وصفية تحليلية

**conceptual formations of the term pragmatism through its philosophical career and its impact on pragmatism**


إعداد

**د. عبد الله بن عبد العزيز بن إبراهيم الحسن**

**Dr. Abdullah Abdulaziz I. Alhassan**

أستاذ اللغويات التطبيقية المساعد بقسم تعليم اللغة

معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها – جامعة أم القرى



***Doi: 10.21608/mdad.2023.322128***

**استلام البحث** ٢٠٢٣/٧/٢٨

**قبول النشر** ٢٠٢٣/٨/١٩

الحسن، عبد الله بن عبد العزيز بن إبراهيم (٢٠٢٣). التشكلات المفهومية لمصطلح البراجماتية عبر مسيرته الفلسفية وأثرها على التداولية: دراسة وصفية تحليلية. ***المجلة العربية مـــدد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ٤٩-٧٠.

***http://mdad.journals.ekb.eg***

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

# التشكلات المفهومية لمصطلح البراجماتية
# عبر مسيرته الفلسفية وأثرها على التداولية
# ـ دراسة وصفية تحليلية ـ

**المستخلص:**

هدفت دراسة (**التشكلات المفهومية لمصطلح البراجماتية عبر مسيرته الفلسفية وأثرها على التداولية**) إلى الوقوف على المراحل المفهومية لمصطلح البراجماتية، متقفية سير المصطلح منذ الاستخدام اللغوي له عند الإغريق واليونان حتى وصوله إلى المفهوم البراجماتي اللغوي "التداولية"، وقد نهجت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وخلصت إلى أن مصطلح البراجماتية تناولته مفاهيم عدّة كالعمل والطريقة الفلسفية والفكرة الفلسفية والعلامة، والفلسفة الذرائعية والتداولية، كما خلصت الدراسة أيضا إلى أن الفلسفة والفلسفة الذرائعية والفلسفة التحليلية، وفلسفة اللغة العادية، كان لها دور في تشكل مفهوم البراجماتية "التداولية" الذي يعني دراسة علاقة اللغة بمستعمليها، عبر سياقات تواصلية من خلال الاستعمال اليومي الطبيعي للغة.

**الكلمات المفتاحية**: البراجماتية الذرائعية – البراجماتية التداولية – فلسفة اللغة – فلسفة اللغة العادية

**Abstract:**

The study (conceptual formations of the term pragmatism through its philosophical career and its impact on pragmatism) aimed to identify the conceptual stages of the term pragmatism, tracing the course of the term since its linguistic use by the Greeks until it reached the pragmatic linguistic concept. The study followed the analytical descriptive approach, and It concluded that the term pragmatism alternates with several concepts such as work, the philosophical method, the philosophical idea, the sign, pragmatism philosophy and pragmatic linguistics. The study also concluded that philosophy, pragmatism philosophy, analytical philosophy, and ordinary language philosophy had a role in shaping the concept of pragmatic linguistic, which means studying the relationship of language with its users through communicative contexts through the natural daily use of language.

**Keywords:** pragmatic – Pragmatism - Philosophy of Language - philosophy of ordinary language.



**ISSN: 2537-0847** **eISSN : 2537-0898**

**المقدمــة:**

إن تحرير وضبط المصطلحات العلمية وما يتناوبها من مفاهيم من أكثر القضايا البحثية إلحاحا في الدراسات اللسانية، فضبط المصطلحات وفق منهجية علمية تجعل تناول مفاهيمها أيسر لدى الباحثين وأكثر وضوحا وتحديدا، إذْ تتجلى علاقة المصطلح بالمفهوم، وتبتعد عن الخلط المفهومي لتلك المصطلحات، ، فيتعامل معه وفق إجراء علمي، وبدون لبس أو خلط بين مفاهيم المصطلح الواحد، كما يسهّل عليه تحديد التعريف الإجرائي، وتحديد المنهج البحثي المناسب لدراسته، فيتعامل مع الظاهرة البحثية بوضوح ووعي، ولقد جاءت هذه الدراسة لتتناول مصطلح "البراجماتية" والذي تنازعه أكثر من مفهوم، ومنها المفهوم اللساني التداولي، ، مجلية علاقة المفهوم التداولي بالمفاهيم الأخرى لهذا المصطلح.

**أولا: التمهيد (موضوع الدراسة وأهميتها وأسئلتها وأهدافها ومنهجها)**

**موضوع الدراسة وأهميتها**

يتمثل موضوع الدراسة بالبحث في تحولات مفهوم مصطلح البراجماتية عبر الفلسفات المتتابعة عليه، والتي تشكل من خلالها المفهوم التداولي، وتقصي الأثر المفهومي الذي أحدثته تلك التحولات.

وتمثلت **أهمية الدراسة** بالتالي:

- أن معرفة ظروف كل مرحلة مفهومية لمصطلح البراجماتية، يزيل اللبس الحاصل بين مفاهيم هذا المصطلح.
- أن معرفة منطلقات تشكل المفهوم التداولي عبر مسيرة المصطلح التاريخية يبيّن العلاقة بين المفهوم التداولي لمصطلح البراجماتية والمفاهيم السابقة له.

**الاحساس بمشكلة الدراسة وتساؤلاتها:**

جاء الاحساس بمشكلة الدراسة من خلال اطلاع الباحث على الدراسات السابقة التي تناولت مفهوم البراجماتية؛ حيث لاحظ أن مصطلح البراجماتية لم يقتصر على مفهوم واحد بل تجاذبته عِدّة مفاهيم، فجاءت الحاجة إلى تجلية هذه المفاهيم، وهل هما منبثقان من أصل واحد؛ أم ذلك من قبيل المصادفة وحسب، فتمثلت مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:

- **ما مدى علاقة الفلسفة في التشكلات المفهومية للبراجماتية عبر مسيرة المصطلح منذ الأصل اللغوي له حتى المفهوم التداولي؟**

وينبثق منه الأسئلة الفرعية:

- ماهي التشكلات المفهومية لمصطلح البراجماتية.
- هل ارتباط مصطلح البراجماتية بالفكر الفلسفي قاد إلى مفهوم التداولية؟
- ما علاقة الفلسفات التي تناولت مصطلح البراجماتية بـ" التداولية"؟


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**أهداف الدراسة**

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

١- معرفة مدى تباين مفهوم مصطلح البراجماتية عبر التبدلات الفلسفية المتعاقبة عليه.

٢- معرفة مدى تأثر مفهوم مصطلح التداولية بالفكر الفلسفي وبالعلامة ومدى ارتباطه بالفلسفة الذرائعية، وبالفلسفة التحليلية وبفلسفة اللغة العادية.

٣- الوقوف على مراحل تشكل مفهوم مصطلح البراجماتية في الفلسفات الغربية لمعرفة مدى تطور المفهوم وظروف ذلك التطور منذ نشأ المصطلح حتى الوقوف على المفهوم التداولي للبراجماتية.

**منهج الدراسة:**

نهجت الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، لقدرة هذا المنهج على الإجابة على تساؤلاتها.

**ثانيا: الدراسات السابقة ومناقشتها ومصطلحات الدراسة**

**الدراسات السابقة:**

**هدفت** دراسة **فام (١٩٣٦)** " البراجماتيزم أو مذهب الذرائع" إلى دراسة المذهب الذرائعي متحدثة عن نشأته وعلاقته بالفلسفة، وتوظيفه بالعمل، وقد **نهجت** الدراسة المنهج الوصفي التاريخي، و**خلصت** أن البراجماتية هي طريقة في الفلسفة قبل أن تكون فكرة فلسفية تتحول بعد ذلك إلى المذهب الذرائعي(النفعي الوسيلي)، لتبين أن الدليل على حقيقة الأشياء إنما هو أثر هذا الشيء ووظيفته وعمله.

و**هدفت** دراسة **شنان(٢٠٠٦)** " التداولية في الفكر الإنجلوسكسوني؛ المنشأ الفلسفي والمآل اللساني " إلى معرفة نشأة التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني من خلال البحث الدلالي المنطقي، كما هدفت إلى معرفة كيفية توظيف التداولية في السياقات الثقافية والاجتماعية للتخاطب اللغوي، وقد **نهجت** المنهج الوصفي التحليلي، و**خلصت** الدراسة إلى أن منشأ التداولية فلسفيا، ثم أصبحت جانبا مهما عند اللسانيين، وأن مبدأ الاستلزام التخاطبي فتح مجالا في التطور التداولي، وأن التداولية أصبحت مجالا رحبا بدخول علماء الدلالة في مجالها، وذلك لتداخل المسافة بينهما.

و**هدفت** دراسة **بوقمرة(٢٠١٤)** " البحث التداولي من الإرهاصات التأويلية إلى الأفعال الكلامية " إلى تتبع سير التداولية من الإلماحات الفلسفية، بكونها جزء من السيمياء، ثم جزء من العلامة، ثم ترعرعها في فلسفة اللغة المنبثقة من الفلسفة التحليلية وما أفرزته من تحول من اللغة العلمية إلى اللغة العادية، وقد **نهجت** المنهج الوصفي، و**خلصت** إلى أن التداولية استقرت عند أعمال أوستين وسيرل وغرايس وغيرهم ممن ساهموا باستقرارها نحو بوهلر وكرناب ولاكوف وغوفمان، كما بينت دور التداولية في تقصي عناصر العملية التواصلية في تحليل الخطاب.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

و**هدفت** دراسة **عكاشة(٢٠١٨)** "الابعاد الفلسفية في البراجماتية "التداولية" وأفعال الكلام، نقد المفهوم والتطبيق" إلى تتبع المسالك والأبعاد الفلسفية التي تناولت البراجماتية، وعرض الأبعاد المتباينة في تحليلات الفلاسفة والباحثين لمفهوم البراجماتية حسب قناعتهم الشخصية، وتأثرهم بمذاهبهم الفلسفية التي شكلت رؤاهم الخاصة، وقد **نهجت** المنهج الوصفي و**خلصت** إلى أن جذور المذهب البراجماتي ترجع الفلسفة البراجماتية الواقعية التي اجتاحتها الجوانب الفلسفية والمنطقية وتأثرت بالعلوم الطبيعية والتجريبية وتفاعلت مع بعض العلوم الإنسانية كاللغة والاجتماع والنفس والاتصال، إلى أن صارت فرعاً من اللسانيات الحديثة يدرس ما يتعلق بالتواصل اللغوي في السياق والمقام.

**التعليق على الدراسات السابقة**

- **أوجه الاتفاق مع الدراسات السابقة**

- أن التداولية نشأت نشأة فلسفية من خلال التحليلات المنطقية للمعنى.
- أن المفهوم البراجماتي تشكل عبر قضايا الفلسفية، ثم أخذ المفهوم التداولي يترعرع في فلسفة اللغة حتى استقرت عند أعمال أوستين وسيرل وغرايس.

- **أوجه الاختلاف مع الدراسات السابقة**

- أن الدراسة الحالية تتبعت مصطلح البراجماتية عبر التبدلات التاريخية للمفهوم مراعية التسلسل الزمني ما أمكن.
- سعت الدراسة الحالية لإزالة اللبس بين مفاهيم مصطلح البراجماتية من خلال ظروف تشكل كل مفهوم من مفاهيم المصطلح.
- تناولت الدراسة الحالية العلاقة بين الفلسفات التي تناولت مصطلح البراجماتية بالتداولية.

- **أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة**

- إن الفلسفات البراجماتية التي تناولت اللغة وتفاعلت معها، أضفت للمفهوم التداولي بعدا فلسفيا.
- أن الفائدة العملية من الاتصال هي الغاية النفعية التي تسعى إليها الفلسفات البراجماتية، بما في ذلك البراجماتية اللغوية"التداولية".

**مصطلحات الدراسة وتعريفاتها الإجرائية**

**فلسفة اللغة العادية** philosophy of ordinary language**:**

هي فلسفة "اللغة الطبيعية"، وهي لغة الحياة اليومية التي اتجه إليها فيتغنشتاين **(فيتغنشتاين ١٩٩٠: ١٠٩)** بعد ما تبين له وللفيلسوف المنطقي راسل استحالة إقامة لغة مثالية كوسيلة للتفكير والعمل الفلسفي، فاتجه إلى اللغة العادية أي لغة الشارع وكذلك لغة العلماء والفلاسفة في غير أوقات بحثهم(**زيدان١٩٨٥: ٤٣**) فهي لغة صالحة للتعبير عن


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المسائل الفلسفية بلغة مفهومة، وتقوم هذه الفلسفة على أن الاستعمال العادي للغة يجعل العبارات الفلسفية قابلة للفهم **(زيادة ١٩٨٦ :٧٠٧)**، ويمنع من الانزلاق وراء عبارات علمية مثالية أفرغها الجدل المنطقي من المعنى.

**فلسفة اللغة** Philosophy of Language: مبحث فلسفي معاصر يهتم بموضوع اللغة، متزامن مع النهضة اللغوية في اللسانيات، ويركز على النظريات اللسانية، ودَور علم اللغة في العلوم الإنسانية والطبيعية، وكما يهتم تحليل الاتجاهات الأساسية لفلسفة اللغة كالاتجاه التحليلي والوضعي المنطقي، والاتجاه التأويلي، والاتجاه الألسني البنيوي، والاتجاه الفلسفي العقلي وعلم الاستدلال **(بغورة ٢٠٠٥: ٢٠١)** و**(صويلح ٢٠٢٠:١٧٩)**.

**البراجماتية (الذرائعية)**Pragmatism مذهب فلسفي يسعى إلى تحفيز العقل إلى العمل، معتبرا المعرفة أداة للعمل، والتفكير بالنتائج والغايات بديلا عن المبادئ والأولويات، فيكون معنى الفكرة بالقياس إلى آثارها العملية، ويكون صدقها بالتحقق من منفعتها، فالفكرة هي الذريعة لخدمة الحياة وتحقيق الأغراض**(الطويل ١٩٧٩: ٤٩)**.

**البراجماتية (التداولية)** pragmatic مصطلح لساني يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ومعانيه، والتعامل معها من خلال تداولية اللغة الطبيعية**"(الحسن ٢٠١٩: ٣١)**، وقد أوجزه شوشانا بلوم كولكا بقوله: "دراسة الاتصال اللغوي في السياق"**(الشهري ٢٠٠٤: ٢٢)**.

**ثالثا: مراحل التشكُّلات المفهومية لمصطلح البراجماتية:**

لم تكن ولادة مصطلح البراجماتية باليسيرة المحددة بمفهوم واحد، بل هو من المصطلحات التي نالها كثير من التحول والتشكُّل والجدل أثناء مسيرته، ولعل السبب الظاهر الذي يمكن يفسِّر ذلك؛ هو ارتباطه بالفلسفة والفلاسفة، ولإزالة اللبَّس الحاصل جراء ذلك التداخل المفهومي معرفة أصل وتحولات مفهوم البراجماتية في الدراسات الغربية، قامت الدراسة بتتبع تشكُّل المفهوم، متوخية السرد الزماني -إلا أنه لا مناص من التداخل الزمني والذي يفرض نفسه أحيانا -؛ فجاءت هذه التشكّلات على سبع مراحل تمثلت فيما يلي:

**المرحلة الأولى: الجذر اللغوي للمصطلح البراجماتية**

أن أول استعمال للمصطلح كان للمؤرخ الإغريقي بوليبوس(ت ١١٨ ق.م)، حيث نسبت الموسوعة البريطانية إليه هذه التسمية له في كتاباته لتعني آنذاك تعميم "الفائدة" العملية، ولتكون منبرا تعليميا، ومنها اشتقت اللغة الإنجليزية جميع الاشتقاقات التي ترتبط بكلمة practice ، وأهم هذه الاشتقاقات هو "practical" والذي اشتق منه ما عرف بعد ذلك بالفلسفة البرجماتية الذرائعية pragmatism التي ذاع صيتها في أمريكا في القرن


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التاسع عشر **(كوركيس ٢٠٠٦)**، وأرجع وليم جيمس الأصل اللغوي للجذر اللغوي، اليوناني pragma هي أصل اشتقاق الكلمة practical وتعني "العمل"، أو "عملي"، أو "صالح لغرض معين"، أو "يؤدي إلى الغرض المطلوب"**(جيمس ٢٠١٤: ٥٣)**، ومنذ دخلت البراجماتية إلى اللغة الإنجليزية في القرن السادس عشر الميلادي، حصر ريموند وليامز مجموعة من المعاني لمصطلح pragmatic؛ هي "مرسوم حكومي" و "وكيل أو وسيط أو رجل أعمال"، ثم استخدمت في القرن السابع عشر للتجارة، ثم توسع المعنى لكل ما هو "عملي ومفيد" و "فضولي ومتطفل" و"واثق" و"متشبث بالرأي وأسلوبه عنيد"، كما أضاف تفسيرا لذلك المصطلح وهو "فلسفة العناية بالحقائق النتائج العملية"، كما تطور مصطلح "عملي ومفيد" ليصبح إضافة إلى معناه بالقرن السابع لمعنى" الدهاء والقابلية للاستعمال والحكمة السياسة"، **(وليامز ٢٠٠٥: ٣٠٤)**، إذا فـ"العملي" هو الجذر الذي اشتق منه أصل المصطلح لما بعده من مفاهيم فلسفية، وهو أول مراحل تشكل مفهوم البراجماتية.

**المرحلة الثانية: البراجماتية طريقة في الفلسفة**

لقد استعمل مصطلح البراجماتية باعتبارها طريقة في الفلسفة (Method) فأصبحت وسيلة لبحث ومعالجة القضايا الفلسفية التي تتناولها النظريات التاريخية المشهورة، قبل أن تكون نظرية فلسفية، وقبل أن تكون هي نفسها قضية، فيجوز لكل أنواع الفلسفة استعمال طريقة البراجماتية دون أن تكون هي نفسها براجماتية **(فام ١٩٣٦: ١٤١)**. فالبراجماتية منهجا علميا، وطريقة للعمل والممارسة، وليست نسقا عقليا مجردا **(محمد ١٩٧٣: ٥٠)**، وفي القرن التاسع عشر استخدم المصطلح بالألمانية للاهتمام بالأسباب والنتائج في الدراسات المنهجية للتاريخ**(وليامز ٢٠٠٥: ٣٠٤)**.

**المرحلة الثالثة: البراجماتية، فكرة فلسفية**

أن أول من أدخلها للفلسفة وعالجها على أنها فكرة فلسفية هو بيرس عام ١٨٧٨م في مقالته" كيف نجعل أفكارنا واضحة"، والتي نشرها في مجلة Popular Science Monthly في عدد يناير ١٨٧٨م، يشير إلى أن معتقداتنا هي في حقيقتها قواعد للعمل**(جيمس ٢٠١٤: ٥٣)**، وأن سبقها إشارات أوروبية على يد الفيلسوف الألماني كانط في كتابة "تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق" الصادر باللغة الألمانية عام ١٧٨٥م، فقد جعل هناك تفاوت في الإلزام في الفعل الإرادي فمنها ما يكون قواعد للبراعة ، وهو ما ينطبق على البراجماتية **(كانط ٢٠٢٠: ٥٦)**، وقد استبعد كانط ما يتعلق بالصالح العام والأوامر الأخلاقية عن قواعد الفن والبراعة بالسلوك، وهذا التفريق من قبل كانط يعدّ إرهاصا لظهور الفلسفة البراجماتية لاحقا على يد بيرس في أمريكا، والذي ألقى بذرتها قائلا: "إن فكرتنا عن أي شيء هي نفس فكرتنا عما سيخلفه الشيء ذاته


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عقلانيا"(**كوركيس ٢٠٠٦**)، ففي بحثه "الذرائعية" عام ١٩٠٥م؛ ذكر بيرس أن المفهوم عنده لا يصبح ذا معنى إلا إذا ترتب عليه نتائج عملية، فلا معنى للأفكار إلا ضمن تجربة واقعية ذات فائدة عملية، وكذلك الكلام لا معنى له إلا ضمن سياق كلامي محدد، تحيط به مجموعة من الظروف تساعد على تحديد المعنى (**ختام ١٠١٦: ٤٩**).

**المرحلة الرابعة: البراجماتية جزء من العلامة**

لقد تنبأ فرديناند دي سوسير بظهور علم العلامة (الإشارة) من خلال تصوره لعلم موضوعة دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزء من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وأطلق عليه علم الإشاراتSemiology(**دي سوسير ١٩٨٥: ٣٤**)، إلا أن بعض الباحثين أيّد رأي بودال في كون بيرس أسبق في حديثة عن السيميولوجيا من دي سوسير(**بوقمرة ٢٠١٤: ١٥٨**)، وإنْ تميَّز بيرس بنصه على أن التداولية جزء من العلامة، فإن دي سوسير ربط العلامات بالمجتمع، في إشارة إلى دور المجتمع تحديد العلامة، وعدم الاكتفاء بالدلالة الأصلية سواء أكانت هذه العلامة لغوية أو غير لغوية، وقد تناول بيرس علاقة العلامة أو الرمز بالمدلول أو بالشيء أو بموضوعات العالم، ورأى أن السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات(**عكاشة ٢٠١٨ : ٨٥**).

فالعلامة هي "وحدة ذات معنى تقوم مقام الشيء الذي تحيل إليه، وهي تكتسب معناها من خلال ما تستعمل له، أو بمعنى آخر تكتسب معناها من خلال التشفير الذي يزودها به المجتمع"(**الحسن ٢٠١٥: ٤٠**)،وهي أعم من اللغة التي هي موضوع التداولية، بل اللغة هي علامة من العلامات، وقد عّد إيكو التداولية أحد أبعاد العلامة الثالثة، وهي البعد الدلالي بالنظر إلى علاقتها بما تدل عليه، والبعد التركيبي حيث تتآلف العلامة مع علامات أخرى وفق قواعد تأليفية معينه، والبعد التداولي، حيث ينظر إلى الطريقة التي يستعمل من خلالها المتلقي هذه العلامة(**إيكو ٢٠٠٧: ٥٦**).

**المرحلة الخامسة: الفلسفة الذرائعية وتحقيق الغاية من الفكرة**

تفتق المذهب البراجماتي الذرائعي العملي على يد سبنسر(ت ١٩٠٣) وبيرس ، وبدأ يتمحور سنة ١٨٩٨م،علي يد وليم جيمس(ت١٩١٠) وجون ديوي (ت ١٩٥٢)، ومن خلال فلسفات أولئك الأربعة تتلخص فلسفة البراجماتية الذرائعية؛ فقد زعم هيربرت سبنسر أن الفكرة التي لا صورة لها في الذهن لا معنى لها في الواقع، ثم أتى تشارلز بيرس ليزعم أن الفكرة التي تقود إلى العمل تكون فكرة صالحة وحقيقية، ثم أتى وليام جيمس فزعم أن العمل الذي تؤدى إليه الفكرة إنما هو برهان قاطع على صحتها، ثم أتى جون ديوي بنظريته ليخرج بأن الأصل في الفكرة أو العقل ليس المعرفة؛ فليس العقل أداة للمعرفة بل أداة للحياة(**فام ١٩٣٦: ١٥٨**).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من هذه المنطلقات الأربعة تشكّل المفهوم الذرائعي للبراجماتية فليست قيمة الفكرة في طبيعتها؛ بل فيما ينتج عنها من أفكار عملية مفيدة، فلا تقاس الحقيقة بمدى تناسقها في العقول كما هي عند المثاليين، ولا بمدى مطابقتها للواقع كما هي عند الواقعيين، بل تقاس بمدى النفع الذي ستعود علينا منها(**محمد ١٩٧٣: ٥٠**)، فالمعنى يتمثل بالتأثير الذي تحدثه الوقائع في نظر الفيلسوف الألماني أوستفالت، إذْ المعنى الذي تحيل إليه أفكارنا وممارستنا في العمل؛ هي مدار البراجماتية الذرائعية،(**جيمس ٢٠١٤: ٥٥**)،إذا تجلت الفلسفة الذرائعية بإن قيمة الفكرة ليست في الصورة الذهنية لها، وليست في تطابقها مع الحقائق الموجودة؛ بل في الأعمال التي تؤدي إليها الفكرة، وفي التغيرات التي تنتجها(**فام ١٩٣٦: ١٥١**).

فبيرس ينظر للفكرة على أنها خطوة تمهيدية للعمل وإحداث نتائج ملموسة، بينما يرى جيمس أن الفكرة ليست مشروعا للعمل فقط، وإنما العمل أو النتائج هي الدليل على صحة الفكرة، فليس رنين الأجراس دليل على تحرك القطار من المحطة -مثلا-؛ بل تحرك القطار هو دليل على حقيقة رنين الأجراس، لأن تحرك القطار هي الحقيقة الواقعية Reality والتي ينبني عليها تغيرات ملموسة (**فام ١٩٣٦: ١٥٠**).

إن الفكرة عند ديوي هي ذريعة للعمل، وقد تميز عن صاحبيه بيرس وجيمس بأنه حاول استخدام منهج العلوم في التفكير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية، تفكيرا قد يؤدي إلى تغييرها، أي اتخاذه من الفكر "ذريعة" للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه (**محمود ١٩٨٢: ١٥٩**)، فالفرق بين فلسفتي جيمس وبيرس هو أن نظرية بيرس نظرية في المعنى ونظرية جيمس نظرية في الصدق، بينما عُرف اتجاه ديوي بالوسيلية أو الأداتية (**علي١٩٩٥: ٤٩**)

لقد اتفق الاتجاه الذرائعي منذ نشأته في مطلع القرن العشرين على يد بيرس وجيمس وديوي على توجيه العقل إلى العمل معتبرة المعرفة أداة للعمل فانصرف التفكير البراجماتي من المبادئ والأولويات إلى النتائج والغايات، وأصبحت صدق الفكرة يعني التحقق من منفعتها، إن معنى الفكرة عند بيرس يكون بالقياس إلى آثارها العملية، واعتبر جيمس الفكرة الصادقة هي التي تؤدي إلى النجاح؛ فالأفكار والمعتقدات هي وسيلة لتحقيق الأغراض، والفكر عند ديوي ما هو إلا وسيلة أو ذريعة لخدمة الحياة(**الطويل ١٩٧٩: ٤٩**)، فأصبح مناط النفع هو الفيصل الذي يحتكم إليه البراجماتيون الذرائعيون.

**المرحلة السادسة: تشكل النظرية التداولية عبر الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة العادية**

في العقد الثاني من القرن العشرين نشأت الفلسفة التحليلية على يد الفيلسوف الإلماني غوتلوب فريجة في كتابه "أسس علم الحساب"، ومن أهم ما جاء به؛ ربطه بين مفهومين تداوليين هامين؛ هما الإحالة والإقتضاء(**صحراوي ٢٠٠٥: ١٨**)، وفضلت


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فلسفة فريجة "المنطوقية" الفلسفة التحليلية على الفلسفة التأليفية، فاصلا بين اللغة العلمية واللغة العادية التي قامت عليها التداولية بعد ذلك،(**بلانشيه ٢٠٠٧: ٣٠**)، فتحَوُل الفلاسفة من اللغة العلمية إلى اللغة العادية هو أهم ما يميز هذه المرحلة، فاللغة العلمية تسجل بدقة، وروابطها منطقية، وبعيدة عن علاقات التفاعل الشخصية، أما العادية؛ فتخضع للتفاعل والرغبة في الإقناع، وإثارة الاهتمام، وتسيرها قوانين البلاغة والانفعال(**أرمينكو ١٩٧٨: ١٨**).

أن اللغة التي تعيش التداولية في أحضانها ليست اللغة العلمية أو المصنوعة بل اللغة العادية الطبيعة، فعبر الفلسفة التحليلية اتجه الفلاسفة نحو اللغة العادية، مما يدفع في استقرار المفهوم التداولي، وأظهر ما يمّز هذه المرحلة هو تحوُل الفيلسوفُ النمساوي لودفيج فيتغنشتاين إلى اللغة العادية جاعلا إياها أساس تحليلية الفلسفي، قائلا: "إنني حين أتكلم عن اللغة، فينبغي أن أتكلم عن لغة الحياة اليومية"(**فيتغنشتاين ١٩٩٠: ١٠٩**)، فاعتبر فيتغنشتاين اللغة أساسا في تحليلاته الفلسفية، ويدور حول مسألة أن الكلام لا بدّ يكون واضحا ليكون له معنى، وأن كل لغة لا نفهم منطقها فلا معنى لها (**ختام، ٢٠١٦: ٤٣**).

لقد أسس فيتغنشتاين اتجاهه الفلسفي الجديد وسماه "فلسفة اللغة العادية" مقتفيا أثر فريجة في التفريق بينها وبين اللغة العلمية، حيث تميزت فلسفته التحليلية في بحثه عن المعنى، وذهب إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا، ومبتعدا عن المعنى المنطقي الصارم(**صحراوي ٢٠٠٥: ٢٠**)، ثم اتجه برتراند رسل(ت ١٩٧٠)إلى صياغة العبارة المصوغة باللغة العادية إلى صياغة منطقية دقيقة، عبر نظريتي "الأنماط" و"الأوصاف" في فلسفته التحليلية، وقد وصل في ذلك إلى أن هناك قضايا جزئية بسيطة يعبر عنها بوقائع جزئية بسيطة، وقضايا مركبة غير مباشرة تدور حول تلك القضايا الجزئية(**ختام، ٢٠١٦: ٣٤**).

ومن خلال هذه المسيرة المفهومية للبراجماتية في هذه المرحلة، وهذا التحول من الفلسفة الكلاسيكية إلى الفلسفة التحليلية، تبلورت عدة قضايا فلسفية متمثلة في أعلام هذه المرحلة فريج وفيتغنشتاين ورسل منها:

- التفريق بين اللغة العلمية واللغة العادية.
- أن اللغة والفكرة يتوالد أحدهما من الآخر ولا يمكن الفصل بينهما.
- أن اللغة نشاط عام، ليس لفرد بعينه، وتتم باتباع القواعد بشكل مراقب من خلال ممارسة التواصل.
- التأكيد على الأهمية البالغة للاستعمال، وأن العلامة لا تملك الحياة إلا بالاستعمال.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لقد تجلت أهم السمات المفهومية للتداولية في هذه المرحلة، لتحط رحالها باتجاه تحليل المعنى المرتبط باستعمال اللغة العادية، متجهة نحو الاستقرار والاستقلال، متجاوزة عباءة الفلسفة إلى مظلة فلسفة اللغة.

**المرحلة السابعة: تجلي النظرية التداولية عند فلاسفة اللغة**

ولدت أفعال الكلام لدى جون أوستين وتلميذه جون سيرل، من رحم فلسفة اللغة العادية حيث بدأ استقرار البراجماتية بمفهومها التداولي اللساني، وهو البحث في علاقة اللغة بمستخدميها سواء على الجانب "القصدي" للمرسل، أو على الجانب "التأويلي" عند المتلقي، لقد نشأت التداولية في الثقافة الغربية بمفهومها اللساني عام ١٩٥٥ عندما ألقى جون أوستن محاضراته(محاضرات وليم جيمس) في جامعة هارفارد، ونشرت هذه المحاضرات سنة ١٩٦٢في كتابه "نظرية أفعال الكلام العامة أو كيف ننجز الأشياء في كلمات"، وتبعه سيرل في كتابه "العقل واللغة والمجتمع "، فلم تكن فلسفة أوستن وسيرل بعيدة في مغزاها عن فلسفة فريج ورسل في السعي لتحديد الحقيقة في التفريق بين اللغة العلمية واللغة العادية؛ التي تركز بشكل أساس على نجاح التواصل(**أرمينكو ١٩٧٨: ١٨**)، فالفلسفة التحليلية هي تحول من الفلسفات القديمة إلى فلسفة اللغة والاهتمام بالمعنى، وهو الذي تأثر به مجموعة من الفلاسفة الذين انطلقوا من أن فهم الإنسان لعالمة يرتكز على اللغة، ومنهم سيرل وأوستن (**صحراوي ٢٠٠٥: ٢١**).

بعد نظرية أفعال الكلام، ظهرت نظرية غرايس سنة ١٩٦٧م في الاستلزام التخاطبي ومبدأ التعاون وقواعد الحوار لتبيّن أن مدار المعني على ما يقصد وليس ما يقال، وأن إدراك المعنى المقصود "الضمني أو غير المباشر" يكون بجهود مبذولة بين أطراف الحوار، الذي يقوم على أربع قواعد، الأولى قاعدة الكم أو القدر، والثانية قاعدة الكيف، والثالثة قاعدة النسبة، أو العلاقة أو المناسبة، والرابعة قاعدة الطريقة أو النوع أو الوضوح(**غرايس ٢٠١٢: ٦١٩**).

ثم جاءت روبن لاكوف، بمبدأ التأدب ، معتمدة على قاعدتين، الأولى"كن واضحا" والثانية" كن مؤدبا"(**ختام، ٢٠١٦: ١٠٧**)، ثم مبدأ التّواجه لبراون وولفسون ثم ظهر مبدأ التطلُّف عند ليتش، وظهر كذلك مبدأ الملائمة أو مبدأ الصلة لولسن وسبربر عام ١٩٨٦م، واعتمد هذا المبدأ على تحقيق أكبر قدر من التأثير الإدراكي أو المعرفي مقابل أقل جهد مبذول للمعالجة، وذلك أننا حين نتواصل فإن ذلك يعني "ضمنا" أن المعلومات التي يتم توصيلها هي ذات صلة، كما يسعى إلى تحقيق الملاءَمة بين مقاصد المتكلم والنتائج السياقية التي يحصل عليها المخاطب وهذا المبدأ كافٍ لتفسير التفاعل بين المعنى اللغوي والعوامل السياقية، أثناء العملية التواصلية بين أطراف الحوار(**سبيربر وولسون، ٢٠١٦: ١٥**).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بهذه المراحل السبع تتبعت الدراسة الحالية التشكّلات المفهومية لمصطلح البراجماتية منذ النشأة في مرحلة الجذر اللغوي قبل تشكّل المصطلح، ثم إلى طريقة فلسفية، ثم تحوره إلى فكرة فلسفية، ثم وهو جزء من العلامة، ثم وهو مذهب ذرائعي يسعى إلى تحقيق الغاية من الفكرة، حتى وصل إلى مفهومة اللساني التداولي متأثرة بتلك المفاهيم السابقة كما ستبينه الدراسة الحالية في الطرح التالي.

**رابعا: علاقة الفلسفات التي تناولت مصطلح البراجماتية بـ" التداولية :**

لقد تجاذبت التداولية في الفلسفة الغربية تيارات ونظريات عدّة، فيرى أرمينكو أنها ولدت بعلامة تعددية، فمن حيث المؤسس لا يمكن القول أنه فيتجنشتاين أو بيرس أو كرناب أو موريس أو غيرهم كما توجد تداولية المناطقة، وتداولية اللسانيين، وتداولية البلاغيين، فنحن أمام وميادين ومناهج، ورؤى وتعريفات متعددة للتداولية، **(إرمينكو ١٩٧٨: ٩٢)**، وقد جاء هذه الجزء من الدراسة ليبيّن العلاقة أو الأثر التي تركته الفلسفات التي سبقت التداولية اللسانية على مفهومها، متمثلا بما يلي:

١- لقد استقر مصطلح البراجماتية لسانيا على المفهوم التداولي الذي يدرس الاتصال اللغوي في السياق، ويبحث عن طرق اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ومعانيه، والتعامل معها من خلال تداولية اللغة الطبيعية، محددا العلاقة بين اللغة ومستعملها، ولم يكن هذا المفهوم منقطع الصلة بتاتا عن غيره من المفاهيم السابقة له؛ فالجذر اللغوي practice وما اشتق منه practical الدّال على العمل أو العملي أو المفيد، يوجهنا إلى أن الغاية من الكلام ليس دلالة التركيب العامة، بل تحقيق التواصل المفيد الذي من أجله أنشئ الكلام.

٢- عدَّ البحث الفلسفي البراجماتية طريقة ومسلكا من مسالكه؛ وتجلى ذلك من خلال تحليلات فلاسفة اللغة العلماء والباحثين؛ فهي وسيلة للبحث ومعالجة القضايا والنظريات الفلسفية، والتي شملت دراسة الرموز الإشارية، ودراسة أفعال اللغة، ومستلزم القول، ومن خلال المقاصد التخاطبية؛ وتجاوز البحث فيها إلى العلامات اللسانية المختلفة، مما جعلنا أمام آفاق واسعة في البحث التداولي.

٣- لقد تمحور مفهوم التداولية لاحقا في كون الكلام لا معنى له ولا فائدة منه دون سياق تواصلي يعين السامع على فهم مقاصد المتكلم؛ متأثرا بمفهوم الفكرة الفلسفية التي ألمح إليها الفيلسوف الألماني كانط البراجماتية وذلك ليفرق في الإلزام في الفعل بين قواعد الأخلاق وبين البراجماتية، ممهدا الطريق لبيرس ليجعل منها فكرا فلسفيا جاعلا المعتقدات قواعد للعمل، أن المعنى الفكرة مرتبط بفائدها العملية.

٤- أما علاقة التداولية بالعلامة فهذا ظاهر، وذلك من كون التداولية جزء من العلامة، فقد قدّم موريس(ت١٩٧٩م) تعريفه للتداولية عام ١٩٣٨م، حيث فعدَّ التداولية جزءاً


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من السيميائية إذْ هي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وهو تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى المجال السيميائي(**أرمينكو١٩٧٨: ٨**)، ولا شك أن هذا التعريف عام وواسع، وتعليل ذلك في رأي الباحث راجع إلى أن التداولية في مشروع موريس متأرجحة بين الفكر الفلسفي والفكر اللغوي، وسبب هذا التأرجح أنها خاضعة لأمزجة مستخدمي اللغة وسلوكهم ومعتقداتهم ومواقفهم(**شنان ٢٠٠٦: ١٢**)، ولهذا السيميائية عند بيرس تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات، ولا تخفى هنا علاقة هذه المرحلة بالتداولية، وإنْ هي تقدّمت نسبيا على مفاهيم سابقة لمرحلة الاستقرار المفهومي للتداولية، إلا أن هذا الربط بين العلامة والتداولية بهذا الشكل المبكر يعطي التداولية بعدا أوسع وذلك لعموم العلامة والتي عرفها **إيكو** بأنها "كل كيان يملك مدلولا"(**إيكو ٢٠٠٧: ٥٩**) وهي ما تختصره لنا العلاقة بين الدال المدلول.

٥- أن تأثير المفهوم الذرائعي على المفهوم التداولية للبراجماتية تجلى من خلال الدراسة الحالية، فبقدر ما أوحى توافق المصطلح بين الذرائعية والتداولية إلى طبيعة العلاقة بين المفهومين، من حيث تأثر المتأخر تاريخا بسلفه؛ فقد أوحى أيضا بنوع من التباس العلاقة بينهما وهوما سعت الدراسة إلى كشفه، فطبيعة العلاقة بين المذهب الفلسفي الذرائعي والتداولية يتحدد في الواقع العملي الذي يجمع بينهما، فإذا كان المذهب الفلسفي الذرائعي ينطلق من أن الفكرة ليست في الصور والأشكال التي تثيرها في الذهن، ولا تطبيقها على حقائق الموجودات، وإنما في الأعمال التي تؤدى إليها هذه الفكرة، وهي بذلك تجاوزت تفسير اللغة في ذاتها إلى تفسيرها حال استعمالها في الواقع العملي (**بَلْبَع ٢٠٠٥: ٣٩**).

٦- إن هذه العلاقة تفسر إلى حدّ كبير تشابه المصطلح بينهما، فأصل التداولية فلسفي، وذلك أن الفلاسفة اهتموا بالتداولية من خلال اهتمامهم بالطرائق التي تعبر بها اللغة الإنسانية عن المعاني، مما يتيح لهم فهم طبيعة الفكر والنطق والتخاطب (**شنان ٢٠٠٦: ١٢**)، فقد تمثل الرابط الفكري الفلسفي عند بلانشيه بين الذرائعية Pragmatisme والتداولية Pragmatique -كما سماها-؛بأن الذرائعية نظرية فلسفية عامة للعقلانية الملاحظة بوصفها متصلة بالمصالح الأساسية للإنسان، حيث قام بيرس بدور أساسي في النشأة المفهومية للمقاربة التداولية، ثم استخلص منها جيمس نظرية في الحقيقة، واستخلص منها جون ديوي نظريةً أداتيةً مفادها أن النفعية فلسفة في العمل تختزل الحقيقة في المنفعة(**بلانشيه ٢٠٠٧: ٢٨**)، وذلك من الأمور التي تتعلق بتحديد المفهوم الاصطلاحي لتلك العلاقة بين التداولية pragmatics والذرائعية Pragmatism، فالتداولية لا تنفصل عن المذهب الفلسفى (الذرائعية) انفصالاً تاماً ، فثم أبعاد تجمع بينهما تتعلق أساساً بالغاية


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والمقاصد الفعلية في الواقع العملي(**بَلْبَع ٢٠٠٥: ٣٨**)، بل أن كوركيس عدَّ الفلسفة الذرائعية رافد أساسي للتداولية(**كوركيس ٢٠٠٦**)، و"الغايات النفعية"؛ كما أشار بيرس تؤكد ذلك الارتباط بينهما، فتصور تقدير المعنى وتنوعه، يمكن أن يتم ببناء استراتيجية تأويلية مرتبطة بالسياقات التي يجيزها القول ويقبل بها(**بنكراد ٢٠٠٨: ٣٤**).

٧- من خلال ذلك بيَّنت الدراسة الحالية كيف كانت علاقة التداولية بالذرائعية، فإذا كان مدار الأمر في الذرائعية على ما تؤديه الفكرة من عمل، فإن مدار الأمر في التداولية على ما يؤديه القول من المعنى، وإنْ جانَب هذا المعنى الدلالة الأصلية للفظ أو التركيب، فالجامع بين التداولية والذرائعية، هو "النفع" أو "العملي"، فلا يكون الكلام نافعا أو عمليا ومؤديا للقصد منه، إذا جُرِّد من معناه الذي يقتضيه الحال "المقام" حين القول، فمغزى الكلام ومقاصده، هو التبليغ كما يريده المتحدث وإن لم يتلفظ به صراحة، فأصبحت الغاية التداولية هو وما تؤديه من "نفع".

٨- أن تحول الفلاسفة عن الفلسفة الكلاسيكية إلى الفلسفة التحليلية، ثم ما تلي ذلك من تحولهم عن اللغة المثالية إلى اللغة العادية مهَّد الطريق لتمحور المصطلح البراجماتي نحو المفهوم التداولي، فقد تمثلت مساهمة الفلسفة التحليلية بنشأة التداولية بكونها قادت إلى فلسفة اللغة العادية والتي ترى أن دراسة مشكلات الفلسفة تحل باللغة، والاهتمام بها أثناء الاستعمال اليومي من قبل المتكلم العادي، كما أن مراعاة الاستعمال العادي للغة، واستخدامها وهو الذي يكسب تعليم اللغة **(صحراوي ٢٠٠٥: ٢٣)**، وهذا هو مجال البحث التداولي.

٩- هكذا بيّنت الدراسة كيف سارت تشكلات مفهوم البراجماتية منذ استخدامه في نشأته اللغوي عند الإغريق واليونان، ثم استعماله كطريقة فلسفية، ودخوله إلى الفلسفة كفكرة فلسفية تأثير مفهوم الذرائعية على مفهوم التداولية لمصطلح البراجماتية ،وأثر الفلسفة التحليلية والتحول إلى اللغة العادية على التداولية التي قادها فلاسفة اللغة، إلى أن وصلنا إلى المرحلة المفهومية الأخيرة حيث استقرت عندها التداولية متمثلة في نظرية أفعال الكلام، ونظرية الاستلزام التخاطبي ومبدأ التعاون وقواعد الحوار، ومبدأ التأدب، ومبدأ التّواجه، ومبدأ التلطُّف، ومبدأ الصّلة والمناسبة.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**خامسا: نتائج الدراسة وتوصياتها ومقترحاتها**

- **نتائج الدراسة :**

من خلال سعي الدراسة الحالية إلى الإجابة على تساؤلاتها توصلت إلى نتائج التالية:

١- أن لمصطلح البراجماتية تشكلات مفهومية تمثلت: بـ "العمل أو العملي أو المفيد"، و"طريقة في الفلسفية"، و"الفكرة الفلسفية"، و"أحد أجزاء العلامة"، و"الفلسفة الذرائعية"، ثم بعد التحول إلى الفلسفية التحليلية وفلسفة اللغة العادية، أصبح مفهوما لـ "التداولية".

٢- أن التشكلات الفلسفية لمفهوم مصطلح البراجماتية كان لها أثر في تشكل المفهوم التداولي.

٣- أن الفلسفة التحليلية وتحول الفلاسفة إلى اللغة العادية قاد إلى الاستعمال العادي للغة الذي هو موضوع التداولية.

٤- أن الفلسفة الذرائعية Pragmatism صبغت التداولية pragmatics، بصبغتها المتمثلة بأن مدار الفكرة بما تقدّمه من نفع، وكذلك فإن فلاسفة اللغة لا ينظرون إلى الدلالة الظاهرة للكلمة أو العبارة بل إلى فائدتها والنظر إلى المقصود منها، وهي الغاية التي قيلت من أجلها وهذا منحى عملي نفعي.

٥- تجلّت البراجماتية بمفهومها التداولي عند فلاسفة اللغة العلماء والباحثين من خلال سعيهم لبناء محددات المعنى التداولي في الأفعال الكلامية، ودلالة الاقتضاء، ومستلزم القول، وقواعد ومبادئ التخاطب.

**ثانيا: التوصيات**

من خلال ما تمخضت عنه الدراسة من نتائج؛ يوصي الباحث بما يلي:

١- دراسة دور الدراسات اللسانية التطبيقية الحديثة في استقرار المفهوم التداولية للبراجماتية، ومدى شمولية المفهوم لمجالات التداولية.

٢- دراسة أثر مفهوم البراجماتية على مستقبل التداولية.

**ثالثا: المقترحات**

يعتبر الدرس التداولي حديث نسبيا، ولايزال المفهوم محل البحث والنظر لدى فلاسفة اللغة والباحثين في مجال اللسانيات التطبيقية، والحاجة ماسة إلى تسديد جوانب القصور في مفاهيم المجالات التداولية المتعددة؛ يقترح الباحث دراسة مصطلحية مفهومية تهدف إلى سدّ الفجوة المفهومية لجميع المجالات والقضايا التي تتناولها التداولية.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المراجع:**


١- أرمينكو، فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، ط١، مركز الإنماء القومي، بيروت،١٩٧٨م.

٢- إيكو، إمبرتو (٢٠٠٧): العلامة، تحليل المفهوم وتاريخة، ترجمة: سعيد بن كيران، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء و دار كلمة، أبو ظبي، الطبعة الأولى.

٣- بغورة، الزواوي: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٤- بلانشيه، فيليب: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار، اللاذقية ٢٠٠٧م.

٥- بَلْبَع، عيد: التداولية: البعد الثالث في سيموطيقيا موريس، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد٦٦ ربيع٢٠٠٥م، الصفحات٣٦-٥٥.

٦- بنكراد، سعيد: التأويل بين إكراهات التناظر- وإنفتاح التدلال، مجلة علامات٢٩سنة ٢٠٠٨،الصفحات٢٥-٣٩،مسترجع من https://alamat.saidbengrad.net/?p=7167

٧- بوقمرة، عمر: البحث التداولي من الإرهاصات التأويلية إلى الأفعال الكلامية، مجلة الممارسات اللغوية، السنة٢٠١٤، العدد٣٠،الصفحات١٥٧-١٧٤، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي أوزو، الجزائر، رابط وعاء النشر: https://revue.ummto.dz/index.php/pla/article/view/1123

٨- جيمس، وليم: البرجماتية، ترجمة وليد شحاته، ط١، دار الفرقد، دمشق،٢٠١٤م.

٩- الحسن، عبد الله بن عبدالعزيز(٢٠١٥): سيميائية الصورة في كتب تعليم العربية للناطقين بغيرها دراسة تحليلية تقويمية(رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم علم اللغة التطبيقي، معهد تعليم اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١٠- الحسن، عبد الله عبد العزيز(٢٠١٩م): أثر استعمال المدخل التداولي في تنمية مهارات الاتصال الشفوي لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم علم اللغة التطبيقي، معهد تعليم اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

١١- ختام، جواد: التداولية أصولها واتجاهاتها، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان،٢٠١٦م.

١٢- دي سوسير، فيردينان: علم اللغة العام، ترجمة يوئيل يوسف عزيز،(ط.د)، دار آفاق عربية، بغداد،١٩٨٥م.

١٣- زيادة، معن "محرر" (١٩٨٦): الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول

١٤- زيدان، محمود فهمي (١٩٨٥): في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت.




ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٥- سبيربر، دان وولسون ديدري(٢٠١٦): نظرية الصلة أو المناسبة في التواصل والإدراك، ترجمة: هشام الخليفة، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.
١٦- شنان، قويدر: التداولية في الفكر الإنجلوسكسوني المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، مجلة اللغة والأدب، المجلد١١، 2006م، العدد ١، الصفحات١١-٣٦.
١٧- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت،٢٠٠٤م.
١٨- صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط١، دار الطليعة، بيروت،٢٠٠٥م.
١٩- صويلح، هشام: فلسفة اللغة مبحث فلسفي لغوي حديث، دراسة في النشأة والمفهوم الإشكالات، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، المجلد٣، عام٢٠٢٠، العدد ٢، الصفحات١٧١–١٩٢.
٢٠- الطويل، توفيق: أسس الفلسفة، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٧٩م.
٢١- عكاشة، محمود أبو المعاطي: الابعاد الفلسفية في البراجماتية "التداولية" وأفعال الكلام، نقد المفهوم والتطبيق، المجلة العربية(مداد)، يناير- أبريل٢٠١٨م، العدد٢، الصفحات ٧٨ – ١٣١.
٢٢- علي، سعيد إسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة ١٩٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو١٩٩٥م.
٢٣- غرايس، بول: المنطق والمحادثة(١٩٧٥)، ترجمة الشيباني ودغفوس، ضمن اصدار: اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، تحرير: عزالدين محجوب، ج٢، ط١، المجمع التونسي للعلوم والآداب الفنون، تونس،٢٠١٢م، الصفحات٦١١-٦٣٦.
٢٤- فام، يعقوب: البراجماتيزم أو مذهب الذرائع، (ط.د)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٣٦م.
٢٥- فيتغنشتاين، ليدفيج (١٩٩٠): بحوث فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، (ط.د)، مطبوعات جامعة الكويت.
٢٦- كانط، إيمانويل: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، (ط.د)، مؤسسة هنداوي، ويندسور، المملكة المتحدة،٢٠٢٠م.
٢٧- كوركيس، دنحا، البراغماتية والفائداتية "مقالة"،الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب٢٠٠٦،مسترجع من الرابط:
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?2106
٢٨- محمد، سماح رافع:المذاهب الفلسفية المعاصرة، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة،١٩٧٣م.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٢٩- محمود، زكي نجيب(١٩٨٢): حياة الفكر في العالم الجديد، ط٢، دار الشروق، القاهرة.
٣٠- وليامز، ريموند: الكلمات المفاتيح، معجم ثقافي ومجتمعي، ترجمة: نعيمان عثمان، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٥م.

**Translation of references:**

1- Armenko, Françoise: The Deliberative Approach, translated by Saeed Alloush, 1st edition, National Development Center, Beirut, 1978 AD.
2- Eco, Umberto (2007): The sign, concept analysis and history, translated by: Saeed bin Kiran, Arab Cultural Center, Casablanca and Dar Kalima, Abu Dhabi, first edition.
3- Baghoura, Al-Zawawi: Philosophy and Language: Criticism of the Linguistic Turn in Contemporary Philosophy, 1st edition, Dar Al-Tali'ah, Beirut, 2005 AD.
4- Blanchet, Philippe: Pragmatics from Austin to Goffman, translated by: Saber Al-Habasha, 1st edition, Dar Al-Hiwar, Lattakia 2007 AD.
5- Balbaa, Eid: Pragmatics: The Third Dimension in Morris's Semiotics, Fosul Magazine, Egyptian General Book Authority, Cairo, Issue 66, Spring 2005, pages 36-55.
6- Benkarad, Said: Interpretation between the compulsions of symmetry and the openness of meaning, Alamat Magazine 29, 2008, pages 25-39,
retrieved from https://alamat.saidbengrad.net/?p=7167
7- Bouqamra, Omar: Pragmatic research from interpretive implications to speech acts, Journal of Linguistic Practices, year 2014, issue 30, pages 157-174, Linguistic Practices Laboratory, Mouloud Mammeri University, Tizi Ouzou, Algeria, link to the publication container:
https://revue. ummto.dz/index.php/pla/article/view/1123


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

8- James, William: Pragmatism, translated by Walid Shehata, 1st edition, Dar Al-Farqad, Damascus, 2014 AD.
9- Al-Hassan, Abdullah bin Abdulaziz (2015): The semiotics of images in books teaching Arabic to non-native speakers, an evaluative analytical study (unpublished master's thesis), Department of Applied Linguistics, Institute for Teaching the Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh.
10- Al-Hassan, Abdullah Abdul Aziz (2019 AD): The effect of using the pragmatic approach in developing oral communication skills among learners of Arabic as a second language, doctoral dissertation (unpublished), Department of Applied Linguistics, Institute for Teaching the Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud University Islamic, Riyadh.
11- Khitam, Jawad: Pragmatics, its origins and trends, 1st edition, Dar Kunooz al-Ma'rifa, Amman, 2016 AD.
12- De Saussure, Ferdinand: General Linguistics, translated by Yoel Youssef Aziz, (ed.), Arab Horizons House, Baghdad, 1985 AD.
13- Ziadeh, Maan "editor" (1986): The Arab Philosophical Encyclopedia, Arab Development Institute, Volume One.
14- Zidane, Mahmoud Fahmy (1985): On the Philosophy of Language, Dar Al-Nahda Al-Arabi, Beirut.
15- Sperber, Dan Wilson Deidre (2016): The Theory of Relevance or Appropriation in Communication and Cognition, Translated by: Hisham Al-Khalifa, 1st edition, United New Book House, Beirut.
16- Shanan, Qwaider:Pragmatics in Anglo-Saxon thought, philosophical origin and linguistic outcome, Journal of Language and Literature, Volume 11, 2006 AD, Issue 1, pages 11-36.
17- Al-Shehri, Abdul Hadi bin Dhafer: Discourse strategies, a pragmatic linguistic approach, 1st edition, New Book House, Beirut, 2004 AD.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

18- Sahrawi, Masoud: Pragmatics according to Arab scholars, a pragmatic study of the phenomenon of speech acts in the Arab linguistic heritage, 1st edition, Dar Al-Tali'ah, Beirut, 2005 AD.
19- Sweileh, Hisham: Philosophy of language, a modern linguistic philosophical study, a study in the origins and concept of problems, Al-Muqri Journal for Theoretical and Applied Linguistic Studies, Volume 3, year 2020, Issue 2, pages 171–192.
20- Al-Tawil, Tawfiq: Foundations of Philosophy, 3rd edition, Egyptian Nahda Library, Cairo, 1979 AD.
21- Okasha, Mahmoud Abu Al-Maati: Philosophical dimensions in "pragmatics" and speech acts, criticism of the concept and application, Arab Journal (Medad), January-April 2018, Issue 2, pages 78-131.
22- Ali, Saeed Ismail: Contemporary Educational Philosophies, World of Knowledge 198, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, June 1995.
23- Grice, Paul: Logic and Conversation (1975), translated by Al-Shaybani and Dagfus, within the edition: Overviews of Linguistic and Semantic Theories in the Second Half of the Twentieth Century, edited by: Ezzedine Mahjoub, vol. 2, 1st edition, Tunisian Academy of Sciences, Arts and Letters, Tunisia, 2012 AD, Pages 611-636.
24- Fam, Yacoub: Pragmatism or the Doctrine of Instruments, (ed.), Authorship, Translation and Publishing Committee, Cairo, 1936 AD.
25- Wittgenstein, Ledwig (1990): Philosophical Research, translated by Azmi Islam, (ed.), Kuwait University Press.
26- Kant, Immanuel: Establishing the Metaphysics of Morals, translated by: Abdel Ghaffar Makkawi, (ed.), Hindawi Foundation, Windsor, United Kingdom, 2020 AD.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

27- Korkis, Denha, Pragmatism and Utilitarianism "Article", International Society of Arab Translators and Linguists 2006, retrieved from the link:
http://www.wata.cc/forums/showthread.php?2106
28- Muhammad, Samah Rafi': Contemporary Philosophical Doctrines, 1st edition, Madbouly Library, Cairo, 1973 AD.
29- Mahmoud, Zaki Naguib (1982): The Life of Thought in the New World, 2nd edition, Dar Al-Shorouk, Cairo.
30- Williams, Raymond: Keywords, a cultural and societal dictionary, translated by: Naiman Othman, 1st edition, Supreme Council of Culture, Cairo, 2005 AD.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

# الإحكام النصي في النقد الحديث

**Textual precision in modern criticism**


## إعداد

**د. خلود نافع الحربي**

**Dr. Kholoud Nafea Al-Harbi**



***Doi: 10.21608/mdad.2023.322129***

**استلام البحث** ٢٠٢٣/٨/٩

**قبول النشر** ٢٠٢٣/٨/٢٦

الحربي، خلود نافع (٢٠٢٣). الإحكام النصي في النقد الحديث. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ٧١- ٩٢.

***http://mdad.journals.ekb.eg***

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

## الإحكام النصي في النقد الحديث

**المستخلص:**

يتناول هذا البحث إجراءً أسلوبيًا من أهم الإجراءات النصية في النقد الحديث، والذي ارتبط بعلم لغة النص أو لسانيات النص. الذي يعد من أحدث الدراسات التي ارتبطت باللغة. يقوم هذا المنهج النقدي بدراسة بنية النص وكيفية اشتغاله، وإحكام بنائه. وعندما تقصينا في النقد الحديث وجدنا اهتماما كبيرا من قبل النقد بالإحكام النصي. لذا تهدف هذه الدراسة إلى إبراز تنظير الدراسات النقدية الحديثة ومدى عنايتها بالنص من جهة تماسكه وترابطه.

**الكلمات المفتاحية:** النقد الحديث – النص- الإحكام – الدلالة

**Abstract:**

This research addresses a stylistic approach that is one of the most important textual procedures in modern criticism, which is associated with the science of text linguistics or text linguistics. Which is one of the latest studies associated with language. This critical approach studies the structure of the text and how it operates, and the precision of its construction. When we examined modern criticism, we found a great interest from criticism in textual precision. Therefore, this study aims to highlight the theorization of modern critical studies and the extent of their concern for the text in terms of its cohesion and coherence.

**Keywords:** modern criticism - text - precision – significance.

تقديم :

حاولت النظرة النقدية الحديثة أن تضبط مفهوم النص ففرضت عليه بعض الشروط والمقاييس، متى ما توفرت في النص أُطلق عليه مصطلح النص، إذا نظر للنص ككتلة مترابطة، فالنص" ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، بل وحدة لغوية نوعية ميزتها الأساسية الاتساق والانسجام "[1]، وهو ما يحيل إلى أن الأساس لتحقيق دينامية النص وسيرورته الدلالية والمنطقية والجمالية هو " مبدأ الانسجام الذي إذا وجد يمكن أن يحدد

(1) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص (٥٩).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مفهوم النص، ويمكن إعطاؤه شكل النص "[٢]. فالنص بموجب هذه الرؤية يمثل شكلًا نقديًا جديدًا لا يحتكم إلى قاعدة الجملة "التي انصبت الممارسات النقدية في التراث عليها، أو على الجملة أكثر من النص"[٣]، بل أصبح يحتكم إلى النص كوحدة مكتملة بذاتها بوجود علاقات ترابط واتساق بين كل أجزائها المكونة للنص؛ لأن تجاوز النص حدود الجملة من التحليل يسمح بطرح إمكانات متعددة للفهم وفضاءات أرحب للتفسير[٤]، وهذا ما يؤول بالتحليل النقدي إلى البحث في كيفية إحكام النص بين وحداته، وذلك عن طريق الكشف عن الظواهر التي تشتغل اشتغالًا متفاعلًا وتسمح بصياغة أنموذج كلي محكم، كالوسائل اللغوية والتركيبية والأسلوبية.

لعل في توجه الدراسات النصية الحديثة إلى النص محاولة لتجاوز حدود الجملة، وهي عملية منهجية تراكمية؛ ففي طبيعة الأمر أن النص قائم على الجملة، ولا يمكن الفصل بينهما، ذلك أن الوصول إلى وحدة القصيدة وترتيبها لتكون محكمة النسج متآلفة يجعل حركة الإبداع تسير بشكل لغوي من نمط متمثل بتركيب الجملة إلى نمط أعلى متمثل بتركيب النص، "فلا يُنظر إلى الجملة باعتبارها جزءًا مستقلًا مفيدًا يُمكن عزله عن بقية الأجزاء المكونة لكلية النص، بل هي جزء مكمل، غير أن الأجزاء الأخرى تشترك في فهمه على نحو أكثر معقولية"[٥]. فترابط الجزء لا يعني إلغاء الكل.

في النقد الحديث أخذ الإحكام النصي طابعًا ممنهجًا مع لسانيات النص، بحيث يتجه الحديث من الجملة إلى النص، ومن الجزء إلى الكل، وربما هذا ما جعل النظرة النقدية أكثر تكاملية -إلى حد كبير- كونها نظرت إلى النص بوصفه خطابًا كليًا.

ولا يقتصر الأمر على النظرة الكلية للنص والانتقال من الجملة إلى النص فحسب، بل ربما شملت كل العلاقات التي تربط النص، وتحاول أن تقرأه وفق المستويات كافة، إذ " تتمثل مهمة علم النص -بناء على ذلك- في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة..."[٦]، فتصبح العملية النقدية ذات منظور أوسع، فلا تقتصر

---

(٢) نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص (٥٠-٥١).

(٣) المرجع نفسه، ص (٣٢٥).

(٤) من أشكال الربط في القرآن الكريم، سعيد بحيري، مركز اللغة العربية، كلية الآداب القاهرة، ١٩٩٤م، ص (١٤٢).

(٥) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مكتبة لبنان، بيروت - الشركة المصرية العالمية (لونجمان)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م، ص (١٣-١٢)، ص (٢١٩).

(٦) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢ ص (٢٢٩).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

على جانب دون جانب آخر، وعلى ذلك يمكن أن تُفهم لسانيات النص على أنها "نظرية وتطبيق في مجال إعادة التكوين العلمي للنص"[٧]، وأن موضوع علم النص هو "الدلالة الكلية للنص، وهي تنجم عنه بوصفه بنية كبرى شاملة"[٨]، بمعنى أن لسانيات النص اشتغال على المستويات الكلية وليس على أجزائه، كما كانت النظرة التقليدية، ويمكن الحديث عن إحكام النص في إطار النقد الغربي الحديث والنقد العربي كما الآتي:

**أولًا: إحكام النص في النقد الغربي الحديث**

أخذ النص حقه من محاولة المفهمة الثقافية، بحيث أعطى العديد من النقاد رؤية جيدة حول مفهوم النص، مما يجعل محاولة تتبع هذا المفهوم في النقد الحديث يشي بصعوبة بالغة، وعند الاطلاع على أبرز من تحدث عنه نلاحظ وجود حديث واسع بين العديد من النقاد حول النص وتماسكه وعناصره المكونة له، فإذا ما نظرنا إلى مفهوم النص في السياق الغربي فسنجد أن بعض النقاد يقاربونه من لفظة "النسج"، ذلك أن النص في شكل من أشكاله نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وهذه الخيوط الكلامية -إذا صح الوصف- تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل خطاب واحد، وهو ما نطلق عليه مصطلح النص[٩]

أشار رولان بارت إلى لفظة النسيج في بعض آرائه النقدية، حيث إنّ النسيج يوصف بأنّه ذلك النتاج أو الستار الذي يختفي وراءه المعنى، أو يحجب المعنى الظاهر المباشر، مشبهًا نسيج النص بنسيج العنكبوت، لمدى براعة النسج والتماسك؛ بحيث تتماسك أو تتعالق خيوطه بعضها ببعض، وهنا تبرز الخصيصة الأساسية وهي الترابط بين مكونات النص وتشابكها على نحو يمكن لها أن تشكل وحدته الكلية[١٠].

هذا التشابك النصي -أو بمصطلح بارت: (النسيج)- يمكن أن يفتح النص على تعدد في المستويات، وأن تكون تلك المستويات في علاقة متماسكة، لأنّ النص " أشبه بالنسيج الشبكي الذي تتلاحم أجزاؤه بعضها ببعض لتشكل النص الشعري الكلي، بل تتضح مدى أهمية أصغر وحدة دلالية في كشف جوانب المعنى، إذ إن غيابها سيحدث ثقبًا في هيكل

---

(٧) مسألة النص، ميخائيل باختين، ترجمة محمد علي مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، القاهرة، ع(٣٣)، ١٩٨٨م، ص(٤١).

(٨) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص (١٠٧).

(٩) انظر: نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصًّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص (١٢).

(١٠) انظر: لذة النص، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا، وحسين سبحان، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، ص (٦٢_٦٣).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النسيج الشبكي للنص"[١١].

يلاحظ من ذلك أنَّ فكرة النسيج هي ذاتها فكرة الإحكام النصي بكل ما يمتلك من مقومات التماسك بين أنسجة النص، فهي تحيل على ذات المعنى. وإذا ما حاولنا استقراء التصورات النقدية لدى عدد من النقاد الغربيين لمفهوم النص فسنجد أنّ فكرة الترابط حاضرة في تصوراتهم، يقول هاريس إنّ "اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة؛ بل في نص متماسك، بدءًا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشر، بدءًا من المونولوج وانتهاء بمناظرة جماعية"[١٢]. معنى هذا أن اللغة في ذاتها نص، وأن الكلام يأخذ معناه بوصفه نصًّا لغويًّا يحمل كل مقومات النصية.

وسنرى أيضًا أن النص لدى الناقد برينكر:" تتابع مترابط من الجمل "[١٣]، وقريب من هذا التصور يطرح ايزنبرج تصوره عن النص بوصفه "متوالية متماسكة من الجمل، كما نجدها مستعملة في الاتصال اللغوي"[١٤] . يفتح هذا التصور فرصة لمدى ترابط تلك المتتابعات وتماسكها بين الجمل وعلاقاتها الخطابية الاتصالية المتداخلة لدى الناقدين على حد سواء؛ إذ يفرض هذا الترابط أن يكون ذا صلة وثيقة بالنص ليكون واحدًا من مكوناته الرئيسة، وأي خلل في ذلك التتابع والترابط هو خلل في كلّية النص ذاته.

ذات الأمر نراه لدى هارفج الذي يشير إلى أنّ النص -من وجهة نظره- هو ذلك الترابط المستمر للاستبدال اللغوي، وعلاقات الدلالات التي غالبًا ما تظهر مستوى من مستويات الترابط النحوي التركيبي في النص [١٥].

يحيل الناقد فاينريش النص لديه إلى التكوين الذي يحدد النص فيه بعضه البعض، بحيث يستلزم فهم البعض فهمًا للكل؛ فالنص في ذلك ربط للأجزاء من جهة تحديد عناصرها واستلزام انسجامها، والفصلُ بين الأجزاء يؤدي إلى ارتباك النص وعدم وضوحه، وربما يؤدي في حال إسقاط عنصر من عناصره إلى عدم تحقق الفهم الكلي للنص، وهو الأمر الذي يذهب إلى أهمية تحقيق الوضوح، من خلال وحدة النص الكلية وتماسكه الدلالي [١٦]. هذه الكلية النصية تجعل النص في حالة من حالات الرؤية التعبيرية الكاملة عن النص، إذ يفضي التعاضد بين العناصر اللغوية أو أجزاء النص إلى

---

([١١]) من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص (١١٥).

([١٢]) مدخل إلى علم اللغة النصي، فوفاجانج هاينه وورديتر فيهفيجر، ترجمة فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٨م، ص (٢١).

([١٣]) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص (١٠٣).

([١٤]) مدخل إلى علم اللغة النصي، فوفاجانج هاينه، و وديتر فيهفيجر، ص (٢٥).

([١٥]) انظر: المرجع السابق، ص (١٠٣).

([١٦]) انظر: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص (١٠٨).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ذلك البعد الكلي الذي يمكن أو يجب أن يكون عليه النص.

يحدد الناقد يوري لوتمان النّصَّ، من خلال ثلاثة خصائص للتعبير: الجانب اللغوي وما يتعلق به من علاقات بين التراكيب، والتحديد: ويقصد من ذلك أن النص يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة، كالقصة أو الوثيقة أو القصيدة، التي تعني كليتها تحقق وظيفة ثقافية محددة، والثالثة: الخصيصة البنيوية التي تعني أن النص لا يمثل مجرد متوالية من مجموعة علامات، إنما يستلزم تنظيمًا داخليًّا يحيله إلى مستوى أفقي موحّد لازم للنص(١٧).

يرى إريك انكفيست أن بناء النص المحكم لابد أن يعتمد على ثلاثة عناصر، هي:

- الاعتماد على البناء النحوي السليم للجملة، فالنص المكون من جمل غير سليمة نصّ غير سليم البناء بطبيعة الحال.
- الاعتماد على نمط تنسجم فيه الجمل، وترتبط ببعضها ارتباطًا وثيقًا من أجل أن يتألف النص.
- الاعتماد على السياق الذي يسير في طرائقه للنص (١٨).

في نفس الإطار في رؤية النص يرى هاليداي ورقية حسن- بأن يمكن أن تشكل المتتاليات من الجمل نصًّا بشريطة أن تكون بينها عناصر أو علاقات مترابطة، تتم من خلال الجملة السابقة أو اللاحقة، مشيرًا في معرض حديثه عن حرص هذين الباحثين لأهمية تسمية تعلق العنصر بما سبقه بالعلاقة القبلية، وتعلق العنصر بما يلحقه علاقة بعدية، مؤكدًا على وحدة النص الدلالية، معتبرًا أن الجمل ليست إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، وهو ما يميز النص عن غيره (١٩).

والحرص على تحديد النص من اللا نص هو الذي جعل بعض النقاد يفكرون في ذلك البعد الذي يعطي المتواليات رابطًا وثيقًا أو محكمًا، بحيث تتحدد من خلاله إمكانية النصية من عدمها؛ لأنه لا يمكن أن يكون النص نصًّا مالم تتوفر فيه شروطه. "وهي التي تجعل المتكلم قادرًا على بناء النصوص، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد لما تقدمه له من وسائل الربط، وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه، وهي التي تجعل السامع أو القارئ يميز نصًّا من مجموعة عشوائية من الجمل"(٢٠).

---

(١٧) انظر: المرجع السابق، ص (١١٦).

(١٨) الأسلوبية اللسانية، نيلس أريك انكفيست، ترجمة أحمد مؤمن، معهد اللغات الأجنبية، مطبوعات منتوري قسنطنية، ٢٠٠١م، ص (١١٣).

(١٩) لسانيات النص، محمد خطابي، ص (١٣).

(٢٠) علم اللغة النظامي، محمود أحمد نحلة، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص (٥٣).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يضع بعض النقاد من أمثال دي بوجراند بعض المعايير التي يمكن لها أن تحدد نصيّة النص من لا نصيته، بحيث يمكن أن تنهدم حالة إحكام النص ما لم تتوفر تلك المعايير، وعددها سبعة تأتي على الترتيب التالي:

١- السبك: حيث الإجراءات التي تبرز فيها العناصر على صورة متواليات متلاحقة يتحقق فيها شرط الترابط، مشتملة على الأساليب النحوية والأسلوبية، كالتكرار والإحالة.
٢- الالتحام الذي يتطلب تماسك الجمل والعناصر لإيجاد الترابط الدلالي واسترجاعه، كالعناصر المنطقية، من سببية أو عموم أو خصوص.
٣- القصد الذي يعمل عليه منشئ النص ويتقصده ليتمتع نصه بنوع من السبك، والالتحام السابق الذكر.
٤- القبول الذي يتضمنه متلقي النص، واستعداده لتقبل الدلالات اللغوية، والصور البلاغية.
٥- رعاية الموقف الذي يتضمن تلك العوامل المرجعية التي يمكن للنص العودة إليها، أي الموقف الذي يمكن استرجاعه.
٦- التناص: ويتضمن فكرة تداخل النصوص فيما بينها.
٧- الإعلامية: العامل المؤثر لعدم الجزم في الحكم على النص، أو تلك الوقائع التي يمكن معها إعطاء بدائل نصية [٢١].

بغض النظر عن مدى تحقق هذه المعايير في النص أو لا؛ إلا أنها أو بعضًا منها يمكن أن تكون أشبه بذلك الطريق الذي يقود إلى نصيّة النص. في هذا السياق يرى الناقد محمد الشاوش أن تلك المعايير أشبه بـ" محطات يمرُّ عليها الباحث النصي بالنص كي يتأكد من نصيته، ولا يشترط تحققها جميعًا في نصٍّ ما حتى يكون النص نصًّا، ويمثل بعضها مقتضيات تكميلية ليكون النص صيغة لغوية منجزة تامة الإنجاز، من تعيين للهدف والفائدة، والحلول في السياق المقامي" [٢٢].

يشير باحثون آخرون إلى إحكام النص وأنه في أساسه عملية إجرائية تهدف إلى أن ظاهر النص يأخذ وضعه النحوي الماثل أمام النظر النقدي أو التلقي، بحيث تكون جمله ذات ترابط معيّن، مفضيًا إلى البعد الدلالي من وراء تلك النحوية التي يسير وفقها. ففي رأي هاليدي ورقية حسن فإن النص يشير غالبًا إلى مقاطعه المنطوقة أو المكتوبة ومدى تشكيلها لكلية النص، فالترابط في أساسه قوام النص، وعلى الأقل شرط أوليّ له لكي

---

([٢١]) انظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص (١٠٣- ١٠٥).

([٢٢]) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ص (١٠٦).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يمكن وصفه بالنصية، وهذا –بالطبع- يقتضي إجراءات محددة، مثل الترابط، والتماسك النحوي والدلالي، وهو ما يجعل ظاهر النص نصيًا مبنيًا بعضه على بعض، على المستوى النحوي والدلالي، بحيث يمكن وصفه بأنه نص مسبوك أو محبوك، أو أنه يتوفر فيه خاصيتا: السبك والحبك [٢٣].

وفي إطار أهمية حضور البعد النحوي في النص فإن الناقد سعد مصلوح ينقل عن دي بوجراند ودريسلر أن الاعتماد النحوي "يأتي في مستويات صوتية وصرفية وتركيبية ومعجمية ودلالية، كما يتخذ أشكالًا من التكرار الخالص، والتكرار الجزئي، وشبه التكرار، وتوازي المباني، وتوازي التعبيرين والإسقاط، والاستبدال، وعلاقات الزمن، وأدوات الربط بأنواعها المختلفة" [٢٤].

من جهة أخرى يحاول الناقد فان دايك إعطاء رؤية أكثر عن ذلك من خلال طرح فكرتَي: البنيتين الصغرى والكبرى للنص بوصفهما نظامين متماسكين، على اعتبار أن البنية الصغرى إنما هي متواليات الجمل التي تسوق باتجاه البنية الكبرى، وهي النص أو الخطاب، أي أنه البنية العليا التي يمكن الوصول إليها، من خلال أساليب الحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب، والبناء [٢٥]. ويمكن جمع ذلك كله في كون التماسك النص -لدى فان دايك- يعتمد على رصد أوجه الربط والترابط، والانسجام والتفاعل بين الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى [٢٦] ، وعلى كل حال، فإن فكرة الترابط والتماسك أو الحبك من صميم لسانيات النص، وهي من أهم الأمور التي تدور في إطار إحكام النص.

**ثانيًا: إحكام النص في النقد العربي الحديث**

من المهم -بعد أن رأينا رأي النقاد الغربيين حول الإحكام النصي- أن نحدد تلك الرؤى النقدية التي قالها النقاد العرب حوله، وأوّل مظاهر الرؤية المبكرة لدى النقد العربي في العصر الحديث في إحكام النص كإجراء أسلوبي حاضرًا في السياق النقدي

---

([٢٣]) علم النص، أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، جميل عبدالمجيد حسين مجله عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٣م، مجلد (٣٢)، ع (٢) ص (١٥)، وانظر جيليان بروان وجورج يول : تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م، ص(٢٢٨_٢٢٩).

([٢٤]) نحو آجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول مجلد (١٠)، ع (٢،١)، ١٩٩١م، ص (١٥٧).

([٢٥]) انظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص (٤٦)، وبلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص (٢٥٥_٢٥٩).

([٢٦]) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص (١٣١).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الحديث، الرؤية العربية للوحدة الموضوعية للقصيدة الحديثة التي يمكن عدّها أحد تجليات الوعي النقد، وعلى ذلك يكون الوعي بأهمية الرؤية الكليّة في النص الحديث رؤية تأخذ انسجامها النقدي بشكل أكثر تماسكًا من الرؤية العربية القديمة، ومدى تدفق هذه المشارب للفكر النقدي العربي المعاصر، وهذا ما يشير إليه بدوي طبانة في كتابه قضايا النقد العربي، من أنّ قياس الأدب بالوحدة العضوية جاء بتطور الأفكار، وتأثير الثقافات، وإحياء أجزاء من التراث النقدي العربي ومحاولة بعثها في هذا العصر الذي يحفل بالكثير من المعارف والعلوم الإنسانية، وفتح مجال النقد ليتسع إلى رؤى جديدة؛ لذلك سعى النقد العربي الحديث إلى تطبيق فكرة الوحدة على النص الشعري، مع تأكيده على أن فكرة وحدة القصيدة إنما هي رؤية ليست من بنات أفكار النقد الحديث، بل لها أصولها النقدية الضاربة في القدم [٢٧] ، وأوّل من أكّد على فكرة وحدة القصيدة الرومنسيون، فقد نبهوا إلى الوحدة العضوية في النص وأهميتها.

من هذا المبدأ يمكن النظر إلى أن مفهوم الوحدة العضوية في النص تلزم الشاعر بضرورة أن تكون القصيدة معبرة عن مشاعره وتجربته، بحيث تكون متسقةً ومنسجمة في أفكارها وصورها ومعانيها، وأن تكون إبداعًا فنيّا متماسكًا، بحيث تكون انعكاسًا شعوريّا لصاحبها، ومعبرة عن أفكاره الجزئية بشكل كلّي؛ لذلك يحاول ميخائيل نعيمة - في كتابه الغربال- التعبير عن الذات تعبيرًا كليًّا، وأن يفضي ذلك إلى "الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية: من رجاء ويأس، وفوز وإخفاق، وإيمان وشك، وحب وكره، ولذة وألم، وحزن وفرح، وخوف وطمأنينة، وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من التأثيرات والانفعالات"[٢٨] .

نرى لدى العقاد وميخائيل نعيمة ذلك الشعور بأهمية فكرة الوحدة في القصيدة على أسس ومقاييس القيم الإنسانية التي تعلو على المكان والزمان، وصدق التجربة الشعورية، وتلاحم الأشكال. فروح الشعر صدق الشعور، والتعبير عن تجربة شعورية يعيشها الشاعر ويترجمها لقارئه؛ فالشاعر يعكس كل ما يعتمل في نفسه من مشاعر وأحاسيس، ولن يكون ذلك من وجهة نظر المدرسة الرومنسية إلا في تلاحم النص، وكلّيته، ووحدته الموضوعية.

وإذا كان نظر النقاد والأدباء الرومنسيين يذهب في تأكيد وحدة النص الشعري فإن هذا التأكيد يمكن اعتباره أولى علامات الاهتمام النقدي لدى الناقد العربي الحديث بإحكام

---

(٢٧) انظر: قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، دار المريخ، الرياض الطبعة الأولى، ١٩٨٤م. ص (١١٣).

(٢٨) الغربال، ميخائيل نعيمة، دار نوفل للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م، ص (٧٠).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النص، والنظر له نظرة كلية.

حينما نخطو إلى الرؤية النقدية الحديثة نجد أن إحكام النص يأتي قريبًا مما ذكره النقاد الغربيون، ويكاد بعض الباحثين العرب يعيدون ذات الأفكار التي ذكرها الغربيون، على اعتبار الاستفادة من النقد الحديث في سياقه الغربي. فنرى –مثلًا- الناقد محمد خطابي يتطرق إلى الإحكام من خلال حديثه عن الاتساق والانسجام؛ فيرى أن اتساق النص وانسجامه يحتلَّ موقعًا مركزيًّا في الدراسات التي تدور في مجالات تحليل الخطاب، أو لسانيات النص، وعن النص، وعلم النص. وهو بذلك يتقاطع مع العديد من الدراسات الغربية التي غالبًا ما تشير إلى هذين المصطلحين أو مصطلحات مقاربة، كالترابط النصي، ويقصد خطابي بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين أجزاء نص أو أي خطاب آخر يهتم بالمسائل اللغوية، وشكلها العام الذي من خلاله تتصل العناصر والأجزاء فيما بينها لتشكل خطابًا ما [٢٩].

أما الانسجام لديه فأعم من الاتساق، وأكثر عمقًا، إذ يتطلب الانسجام في حالة المتلقي النظر ليس إلى المستويين المعجمي والدلالي، وإنما إلى تلك العلاقات الخفية القائمة داخل النص، ومدى ترابط مفاهيمه وتماسك علاقاته الدلالية [٣٠] كذلك وهذا يفضي إلى أن النص يفترض فيه ذلك التماسك بين أجزائه حتى لا ينهار على المستوى الشكلي، ومستوى المعنى الذي يُراد الحديث حوله، وهذا ما صرّح به في موضع آخر، حيث إن "النص الشعري إما محكم، بناء موثق، أو مموه، بناء يُخشى عليه التقوض"[٣١].

وعلى هذا النحو يجب، من خلال رأيه، أن يكون النص أكثر تماسكًا وترابطًا وانسجامًا.

ويحاول صلاح فضل في معرض حديثه حول علم النص أن يجمع بين المقاربات النقدية التي ربما تكشف عن طريقة التعامل مع الأنساق اللسانية في حال الوضع الأولي وحالة الاستعمال، على اعتبار أن التماسك النصي يتوقف على التلقي، وتجارب الآخرين واختلافهم المعرفي. فالنص في نظره ظاهرة بنيوية تأويلية تتدخل فيها المعارف والتجارب لتجعل أجزاء النص متوحدةً في شبكة مترابطة من العلاقات [٣٢]، بحيث يُقرأ النص بوصفه كلًّا واحدًا، وهذا ما يذهب إليه أيضًا الناقد الأزهر الزناد، حيث "يتكون النص من شبكة من العلاقات الرابطة بين جميع العناصر المكونة له والذاهبة في كل اتجاه"[٣٣].

---

(٢٩) انظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص (٥).
(٣٠) المرجع نفسه، ص (٥) وما بعدها.
(٣١) المرجع نفسه، (١٤٦).
(٣٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص (٢٤٣).
(٣٣) نسيج النص، الأزهر الزناد، ص (١٧١)


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

نجد هذه الرؤية برمّتها لدى صبحي الفقي الذي يقول: " قد أصبح للتماسك حضور واجب في أي نص، وإذا خلا النص من الأدوات الشكلية أو الدلالية فإنه يصبح جملًا متراصة لا يربط بينها رابط، ويصبح النص -إذا عددنا حينئذٍ نصًّا- جسدًا بلا روح ...فالتماسك يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"[٣٤]. فهو يؤكد –كسابقيه- على الترابط والانسجام، وكلها تدور في إطارإحكام النص.

أما سعد مصلوح فإنه أكثر وضوحًا في مسألة اتصاله بالنقد الغربي، ذلك أنه يعود إلى النقد الغربي ويركز أكثر على الجانب الاجرائي، باختيار بعض المفاهيم اللسانية التي قال بها نقاد الغرب -المشار إليهم سابقًا- كالاتساق والانسجام في إثبات تماسك النصي واتصاله بسياقاته التداولية، معتمدًا على تعريف دي بوجراند ودريسلار لمفهوم النص باعتبار أنه: حدث لغوي يجب أن تتوافر له المعايير السبعة سابقة الذكر: (السبك، الحبك، القصد، الإعلام، القبول، المقامية، والتناص) التي ترتبط لدى النص، خاصة في معيارَي: السبك والحبك، أما ما يتصل بمسألة النص من ناحية الإنتاج والتلقي فإنه يحدد معيارَي: القصد والقبول، والسياق المادي والثقافي فيحدده في الإعلام والمقامية والتناص، مع تركيزه أكثر تحديدًا على ما يتعلق بإحكام النص نفسه وارتباطه وانسجامه من خلال السبك والحبك، حيث إنه يعتبر الأول مختصًّا بوسائل الاستمرارية في ظاهر النص التي هي الأحداث اللغوية التي ننطقها وتعاقبها الزمني ومكوناته وعناصره وعلاقاته، في حين يختص الحبك بمسألة الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم وعلاقاتها الرابطة بينها[٣٥].

على الرغم من هذا الاهتمام الكبير بموضوع لسانيات النص لدى النقاد العرب فإن أول ما يمكن ملاحظته عدم الاتفاق العربي حول مصطلحية واحدة لعلم النص، خاصة فيما يتعلق بلسانيات النص، إذ "مازالت اللسانيات العربية إلى اليوم غير متمكنة من الإحاطة الشاملة بلسانيات النص، رغم تعدد الجهود وتنوعها، ويعود هذا إلى الإرباك المصطلحي الذي عطّل الدرس اللساني العربي وجعل التشتت سمته البارزة"[٣٦]، وربما ذلك الارتباك مصدره الترجمات ومرجعياتها المتعددة لدى الدارسين العرب المحدثين، وبالرغم من ذلك فإنه يمكن إيجاد رابط عام حول ماهية هذا النص، والنظر إليه من خلال

---

(٣٤) علم اللغة النصية بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠م، ج (١)، ص (٩٦).

(٣٥) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد مصلوح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣م، ص (٢٢٥_٢٢٨) .

(٣٦) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م، ص (١٩٨).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

علاقته بالجملة، وعلى أنه نسق ونظام عام مستقل عن نظام الجملة الخاص. فالنص عند الميساوي "يمثل وحدة متكاملة وليس مجرد تجميع للقضايا المستقلة وتركيبها متجاورة ومتضامنة، ومعناه لا يتحدد بدراسة معاني الجمل، وإنما يتجاوزها إلى المعنى الكلي العميق" [٣٧].

من الوهلة الأولى نجد الدرس النقدي العربي حاول أن يتثاقف مع المنجز النقدي الغربي، حيث إن أغلب الآراء السابقة تعيد ترتيب أو البناء على ما قاله نقاد الغرب، كجان ميشال آدم الذي يورد رأيه في استقلال نظام النص عن نظام الجملة؛ لأن "هذه العلاقة بين الكلي والجزئي نظرية في ربط الوحدات النصية التي لا ينبغي أن تكون مكوّنة من الأسفل إلى الأعلى، أو من الصغيرة إلى الكبيرة، لكنها عملية جدلية تتكوّن من العلاقات المعقدة من المحلي إلى الشامل"[٣٨]. ولم يضف النقاد العرب -في المجمل- إلا بعض الأشياء الطفيفة، كون "هذه العلاقات الجدلية المعقدة تربط الوحدات النصية الصغرى ببنيتها الكبرى، فتكوّن معناها الشامل، فيرتبط الجزئي بالكلي ارتباطًا عضويًّا وحيويًّا يجعل التكامل والتواصل بين هذه الوحدات عملية مشروعة وممكنة" [٣٩].

بالعودة إلى صلاح فضل –مثلًا- نرى أنه نظر إلى علم النص من حيث مهمته، وهي وصف العلاقات الداخلية والخارجية للبنى النصية على مختلف مستوياتها، وقراءة الظواهر النصية لأشكال التواصل اللغوي والاستخدامات اللغوية في العلوم المتنوعة [٤٠] . يبدو من ذلك أن مهمة النظرية النصية تشتغل على المستوى النصي في الخطابات كافة، والاستعمال اللغوي الإنساني، ومحاولة تحليلها في إطار متكامل ومتداخل مع علوم عدة، بحيث يشمل الأبنية النحوية كافة، والتراكيب اللغوية والدلالات، والأساليب البلاغية، والتواصلية اللغوية بين الناس.

ويبدو أن النصية العربية الحديثة تشتغل على معيارية محددة يجب توافرها في النص، بحيث يخرج النص الذي لا يحققها عن محدداته النصية، منها: السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلام، المقامية، والتناص [٤١]، حيث تعتمد على مجموعة من المعايير التي يجب توفرها لتؤهلها إلى أن يكون النص نصًّا، وهي ذات المعايير التي قال بها يوجراند من قبل، لكن من خلال التأكيد على علاقات الاتساق داخل النص، إذ إنه من

---

(٣٧) المرجع نفسه: ص (١٨٤).
(٣٨) المرجع نفسه، ص (١٨٤)
(٣٩) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، ص (١٨٤).
(٤٠) انظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص (٢٢٩)
(٤١) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، جدارا للكتاب العالمي، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص (١٤٢).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الواجب على كل نص لكي تتحقق نصيته أن ينبني على تلك المعايير التي تجعل منه قابلًا لعملية التحليل النصي، بحيث تسهم الوسائل العديدة في وحدة النص وشموليته [٤٢]، وتحقق فيه بذلك فكرة النصّية التي يحاول النقاد الغربيون والعرب -على حد سواء- التأكيد عليها باستمرار.

في حين أن علم النص علم حديث إلا أنه لم يكن حدثًا خارجًا عن السياق النقدي، إذ إن بعض النقاد العرب حاول أن يوضع علم النص على أرضية عربية سابقة، من خلال بعض الجذور التراثية في النقد العربي القديم، من خلال مستويات عناصر السبك، كالمستوى الصوتي أو المعجمي أو النحوي، كالحديث حول (السبك) الصوتي في التجنيس والسجع مثلًا، أما (الحبك) فهو في التماسك والمؤاخاة بين المعاني، في حين أن القصدية مذكورة في معنى النية و(القصد) والغرض والمراد، وتلمس(الإعلام) في البيان والإفهام والإبلاغ، أما (التقبلية) فكانت في تلقي الخطاب، و(المقامية )جاءت في مراعاة المقام، و(التناصية) في السرقات الأدبية[٤٣].

عالجت النظرية النصية في النقد العربي الحديث هذه الأمور مجتمعة، لأنها تعتبر النص مجموعة من الأبنية الكبرى التي ترتبط في أساسها بالموضوع الكلي للنص نفسه، كما أنها تتسم بالنسبية من جهة تعدد مستويات تلك الأبنية وعلاقتها ببعضها، وعلاقتها كلها بما قبلها وبما بعدها، بحيث تحقق التماسك الكلي؛ لأنها تتعلق بمستوى الدلالات ومستوى علاقات الأشياء والتصورات فيما بينها، أي ما تحيل إليه الدلالات من متواليات نصية متماسكة دلاليًا تفسر كل واحدة منها مفهومًا ما، أو قضية عامة من خلالها [٤٤].

رغم انتقال علم النص من إطار الجملة إلى البنية الدلالية الكبرى للنص فإن نحو النص لا يقر للجملة بالاستقرار لأنه – برأيهم - غير كافٍ لوصف المتواليات أو المتتابعات الكبرى المتجاوزة للجملة؛ فالظاهرة النصية لديهم تتعلق ببنية النص ككل، ولابد أن يشتمل على نحو الجملة إلى ما هو أوسع ليكون كافيًا للوصف والتحليل على مقولات نحوية عن ترابط النص، وبالتالي إعادة تفسير تلك البنى الكبرى في إطار كلية النص أو وحدته [٤٥].

أيًا يكن الأمر فإن التراكم النقدي القديم من جهة جذوره النقدية، والحديث بتفصيلاته المتشعبة، أعطى فرصة إلى أن يتبلور هذا العلم تنظيريًا وإجرائيًا، والتحول من نحو الجملة إلى نحو النص أفضى إلى القراءة الموسعة للنصوص والخطابات اللغوية المختلفة

---

(٤٢) انظر: جذور علم النص في الموروث العربي، حسن منديل حسن، وأميرة عبد الواحد فليح، مجلة كلية التربية، بغداد، مجلد (٢٦)، ع (٤)، ٢٠١٥ م، ص (١١٤٨).

(٤٣) انظر: المرجع نفسه، ص (١١٥٠ _ ١١٥٢).

(٤٤) انظر: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص (١٢٧).

(٤٥) انظر: المرجع نفسه، ص (١٥٤).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

-كما قيل أعلاه- والأهم هو الوقوف على المعاني والدلالات التي يمكن الوصول إليها وفق القراءات النصية المتعددة.

وبطبيعة الحال فإن تعدد مستويات النص تقود إلى تعدد مستويات القراءة؛ لأن لغة النص لغة تفاعلية لا خاملة أو ضيقة الأفق؛ فهي لا تكف عن التجدد والحركة في بعض الأحيان كي تستوعب دلالات عديدة أو مضامين جديدة، وأبنية أخرى تحتاج إلى عملية متواصلة من القراءة، وتحاول أن تواكب قدرة النص على التجدد، من خلال التوصيف والتحليل والقراءات التي يمكن أن تنفتح على أفق جديدة.

يبدو أن نوعية هذه القراءات تحتاج إلى الاهتمام بعملية القراءة نفسها، وإيضاح تعدديتها، إذ يمكن أن يفتح النص أفقًا للتوقعات -كما يقول الناقد التأويلي غادامير[٤٦]- إذ إن المعاني التي يمكن أن تُفضي بها النصوص معانٍ تنتج من جميع الأطراف النصية أو غير النصية، الأدبية أو غير الأدبية، والسياقات المختلفة التي تفتح التجربة النصية إلى احتمالات عديدة[٤٧].

بالعودة إلى الحديث عن الإحكام النصي فإن النص المحكم لا يمكن قراءته إلا وفق الوحدة الكلية للنص، أي وفق القراءة المنتجة للنص، ولا يُقصد بالمنتجة إعادة تركيب النص لغويًّا بقدر ماهي إعادة فهم سياقاته النصية وأفق معانيه التي يمكن أن تبرز من خلال تعددية القراءة نفسها.

إنّ النظرة إلى النص عند النقاد العرب المحدثين تأتي من خلال النظرة الكلية لبنائه، بحيث تؤدي إلى فعل التواصل مع المتلقين برؤية جديدة، إن أمكن ذلك، ومع ذلك يجب التنبيه إلى أن القراءة الكلية للنص لا يجب أن تلغي جزئياته أو ما يسمى نحو الجملة، لأن النص في الأصل مجموعة متوالية من الجمل -كما ذكر سابقًا- تشكل كُلًّا نصيًّا، بمعنى أنه يذهب باتجاه تشكيل البنى الكبرى؛ لذلك يمكن إيجاد المعاني الكبرى من خلال المعاني الجزئية للنص، ويمكن أن يقود إلى كلية النص. هذا ما لاحظه بعض النقاد في أهمية الاستفادة من نحو الجملة، إذ يرى سعيد بحيري إمكانية نقل مصطلحات الجملة إلى النص، فكل بحث لغوي بحث في النص، مع أهمية عدم الوقوف عند الجملة، بل يجب تخطيها إلى النص لأن مرتكز نظرية النص أساسًا تتجاوز حد الجملة الجزئي إلى الكشف

---

(٤٦) أو "أفق الانتظار" -حسب ترجمة الدكتور حسن ناظم- انظر: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، غادامير، ترجمة، حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص (٣٨٢) .
ويعني "أفق الانتظار" قاعدة من قواعد التأويل التي تطبع فهم كل متلقّ، فكل متلقّ للنص له فكرة مسبقة يسلطها على النص، وهو ما يجعل عملية التلقي حركة ذهنية ذاتية تجاه النص.

(٤٧) انظر: دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، وسعد البازعي، ص (٢٨٥).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عن الروابط الداخلية في النص والروابط الخارجية كذلك [٤٨]، وهذا يجعل إمكانية قراءة الجملة التي تفضي إلى فهم النص ككل مع بقية الجمل الأخرى أمرًا متحققًا.

إن هناك من يرى إمكانية جعل الجملة الواحدة نصًّا مكتملًا متى تحققت فكرة الإيصال أو التأثير في المتلقين، ويُقصد أن فكرة النص ككل يمكن أن تكون في جملة واحدة؛ جملة بمواصفات نص، أو لنقل: نص من جملة واحدة، لأن "النص وحدة دلالية"[٤٩]، وربما تكون مكتملة البناء والسياق والدلالة أحيانًا، ويذهب الناقد دي بوجراند إلى أن النص يكون نصًّا إذا وجدت فيه خصيصة الاتصال سواء كان جملة أو عددًا من الجمل، فيقول: " لا نستطيع أن نتناول النصوص من خلال وصفها أنها وحدات أكبر من الجمل، أو أنها جمل في سياق؛ ذلك أن الخاصية الأولى للنصوص أنها ترد -من باب أولى- في الاتصال، ولربما يأتي أحد النصوص على صورة كلمة واحدة أو جملة واحدة، أو مجموعة من الأجزاء"[٥٠] ، إذ ليس شرطًا -بهذا الفهم- أن يكون النص مجموعة متوالية من الجمل، فلا حجم محدد لما يمكن أن يُقال عنه نص، سواء جاء على شكل جملة واحدة أو قصيدة، أو خطاب، أو غيرها.

مهما يكن حجم الخلاف هنا فالأمر عائد إلى أهمية الدلالات التي يمكن أن يُفضي بها النص، بصرف النظر عن حجمه، والقراءة الواعية هي التي يمكن لها أن تكشف عن تلك الدلالات والسياقات، أو الأفكار أو المعاني التي أنتجها هذا النص أو ذاك، والأهم أن أجزاء النص تعمل على تماسكها، من خلال آليات محددة تقود إلى الوحدة النصية.

ويمكن القول إنّ عملية إحكام النص أشبه بعملية لوحة الفسيفساء التي لن تكتمل إلا باكتمال أجزائها الصغيرة التي تشكل كلًّا مكتملًا لتلك اللوحة، وسقوط جزئية منها يخل بالعمل الفني. فعملية إحكام النص عملية تذهب باتجاه قراءة الجزئي من النص إلى الكلي أو الوحدة الكبرى؛ فقراءة الجملة بنية أولى لقراءة بقية الجمل، وتواليها لفهم معطيات النص وعلاقاته المختلفة للوصول إلى فهم كامل العمل الأدبي، لكن الأهم كلية النص أو قراءته كوحدة كاملة، بحيث إنه لن يتم الوقوف عند الجزئيات دون الوصول إلى دلالات النص الكبرى؛ لأن المعوّل هو فهم إحكامية النص ككل، وليس فقط إحكامية الجملة.

الخاتمة:

يتخذ النص موضعه المركزي في الدراسات النقدية الحديثة باعتباره الفضاء اللغوي

---

(٤٨) علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، ص( ١٠٤ -١٠٥).

(٤٩) نحو النص ذي الجملة الواحدة، محمود قدوم، دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض، الطبعة الأولى،٢٠١٥م ص (٧٨).

(٥٠) المرجع نفسه، ص (٨٠).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الذي يدور حوله النقد في إطاره النقدي الحديث، وقد تتعدد المشارب النقدية في تناول النص، لكن تبقى فكرة إجادته واحدة من أهم تلك المحاور التي هي في صلب فكرة إحكام النص، كما ركزت عليه هذه الدراسة

ولقد خرجت الرسالة بعدد من النتائج يمكن ترتيبها فيما يأتي:

١- تكثّف التناول النقدي في العصر الحديث الذي ركّز على علم النص أو لسانيات النص مستفيدة من التجارب كافة أو المدراس النقدية التي أفرزتها اللسانيات الحديثة من قبيل الأسلوبية والبنيوية وغيرها، الأمر الذي جعل النص يصبح مدار العملية النقدية أكثر من أيّ وقت مضى، وقد تجاوز نقاد العصر الحديث ما يسمى نقد الجملة إلى نقد النص، مما جعل فكرة الكلّية تأخذ حيزًا كبيرًا في الدراسات النصية الحديثة.
٢- اهتم النقاد الغربيون بمحددات النص ومعاييره، فكان أغلب تلك المعايير تدور في إطار مفاهيم عديدة من قبيل الحبك والسبك والقصدية والموقف والتناص والإعلامية وغيرها، إضافة إلى تناول توالي الجملة أو العناصر ومدى ترابط الدلالات النصية، مفرقين من خلال ذلك بين مدى نصّية النص ذاته وعدم نصّيته، ما يجعل من إحكام النص حاضرًا في السياق الغربي، ويظهر من خلال تناول النقاد تلك المفاهيم التي هي من صميم الأحكام بشكل ضمني وفق المعايير التي حددها علم النص الحديث.
٣- لم يبتعد النقاد العرب في العصر الحديث عن تلك المساحات التي اشتغل عليها النقد الغربي، بل يمكن القول أحيانًا إن عددًا منهم تناول ذات الاشتغالات النقدية التي تناولها نقاد الغرب بذات المصطلحات، بما فيها فكرة الوحدة العضوية التي جاءت بها المدرسة الرومنسية في العالم العربي، إذ نراها صدى للحديث عن مسألة كلّية النص الغربية، لكن هذا لا يعني عدم الاستقلالية الفكرية لدى النقد العربي.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المصادر والمراجع:**


١. الأسلوبية اللسانية، نيلس أريك انكفيست، ترجمة: أحمد مؤمن، معهد اللغات الأجنبية، مطبوعات منتوري قسنطنية، ٢٠٠١م.
٢. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٣. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
٥. جذور علم النص في الموروث العربي. حسن منديل حسن و أميرة عبدالواحد فليح، مجلة كلية التربية، بغداد، مجلد (٢٦)،ع(٤)، ٢٠١٥م .
٦. جيليان بروان وجورج يول: تحليل الخطاب، ترجمة : محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.
٧. الحقيقة والمنهج لغادامير، انظر: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، غادامير، ترجمة، حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٨. دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا، ميجان الرويلي وسعد البازعي. المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠١٧م.
٩. علم اللغة النصية بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠م.
١٠. علم اللغة النظامي، محمود أحمد نحلة، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
١١. علم النص، أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، جميل عبد المجيد حسين مجله عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٣م، مجلد (٣٢)، ع(٢)
١٢. علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد بحيري، مكتبة لبنان، بيروت - الشركة المصرية العالمية (لونجمان)، القاهرة، الطبعة الأولى ،١٩٩٧ م .
١٣. الغربال، ميخائيل نعيمة، دار نوفل للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.
١٤. في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، سعد مصلوح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣م.
١٥. قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، دار المريخ، الرياض الطبعة الأولى، ١٩٨٤م



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٦.لذة النص، رولان بارت، ترجمة فؤاد صفا وحسين سبحان، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م.
١٧.لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية ،٢٠٠٦م.
١٨.مدخل إلى علم اللغة النصي، فوفاجانج هاينه و وديتر فيهفيجر، ترجمة فالح شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٨م.
١٩.مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٠.مسألة النص، ميخائيل باختين، ترجمة محمد علي مقلد، مجلة الفكر العربي المعاصر، القاهرة، ع(٣٣)، ١٩٨٨م .
٢١.المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، خليفة الميساوي، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م.
٢٢.المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، جدارا للكتاب العالمي، عمّان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٢٣.من أشكال الربط في القرآن الكريم، سعيد بحيري، مركز اللغة العربية، كلية الآداب القاهرة، ١٩٩٤م .
٢٤.من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
٢٥.نحو آجرومية للنص الشعري: دراسة في قصيدة جاهلية، سعد مصلوح، مجلة فصول مجلد (١٠)، ع (٢،١)، ١٩٩١م.
٢٦.نحو النص ذي الجملة الواحدة، دراسة تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني، محمود قدوم، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، لرياض، الطبعة الأولى،٢٠١٥م.
٢٧.نسيج النص، بحث ما يكون به الملفوظ نصًا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٢٨.النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٩.نظرية النص، من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، حسين خمري، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**Translation of sources and references:**


1. Linguistic Stylistics, Nils Erik Enqvist, translated by: Ahmed Momen, Institute of Foreign Languages, Mentouri Publications of Constantine, 2001 AD.
2. The origins of discourse analysis in Arabic grammatical theory: Foundations of Text Grammar, Muhammad Al-Shawish, Arab Distribution Foundation, Beirut, first edition, 2001 AD.
3. Rhetoric of Discourse and Text Science, Salah Fadl, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, 1992 AD.
4. Rhetoric of Discourse and Textual Science, Salah Fadl, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, 1992 AD.
5. The roots of textual science in the Arab heritage. Hassan Mandil Hassan and Amira Abdel Wahed Falih, Journal of the College of Education, Baghdad, Volume (26), No. (4), 2015 AD.
6. Gillian Brown and George Yule: Discourse Analysis, translated by: Muhammad Lutfi Al-Zulaiti and Munir Al-Triki, Scientific Publishing and Press, King Saud University, Riyadh, 1997 AD.
7. Truth and Method by Gadamer, see: Truth and Method, Basic Lines of Philosophical Interpretation, Gadamer, translated by Hassan Nazim and Ali Hakim Saleh, Dar Oya, Tripoli, first edition, 2007 AD.
8. The Literary Critic's Guide, illuminating more than seventy contemporary critical trends and terms, Megan Al-Ruwaili and Saad Al-Bazai. Arab Cultural Center, Beirut, sixth edition, 2017.
9. Textual linguistics between theory and practice (an applied study on the Meccan surahs) Subhi Ibrahim al-Faqi, Qubaa Printing and Publishing House, Cairo, 200 AD.
10. Systematic Linguistics, Mahmoud Ahmed Nahla, Introduction to Halliday's Linguistic Theory, Alexandria, Dar Al-Wafa for the World of Printing and Publishing, first edition, 2008 AD.
11. Text science, its cognitive foundations and its critical manifestations, Jamil Abdel Majeed Hussein, Alam Al-Fikr magazine, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait 2003 AD, Volume (32), p. (2(
12. Text Linguistics, Concepts and Trends, Saeed Behairy, Lebanon




ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Library, Beirut - Egyptian International Company (Longman), Cairo, first edition, 1997 AD.
13. Al-Gharbal, Mikhail Naima, Dar Nofal for Printing and Publishing, Beirut, fifth edition, 1999 AD.
14. New Horizons in Arabic Rhetoric and Linguistic Stylistics, Saad Maslouh, Scientific Publishing Council, Kuwait, 2003 AD.
15. Issues of Literary Criticism, Badawi Tabana, Dar Al-Marikh, Riyadh, first edition, 1984 AD.
16. The Pleasure of the Text, Roland Barthes, translated by Fouad Safa and Hussein Subhan, Toubkal Publishing House, Morocco, second edition, 2001 AD.
17. Text Linguistics, An Introduction to Discourse Harmony, Muhammad Khattabi, Arab Cultural Center, Morocco, second edition, 2006 AD.
18. Introduction to Textual Linguistics, by Wofagang Heine and Dieter Wehweger, translated by Faleh Shabib Al-Ajmi, King Saud University, Riyadh, 1998 AD.
19. An Introduction to Text Science and Its Application Fields, Muhammad Al-Akhdar Al-Subaihi, Arab House of Sciences, Al-Khilaaf Publications, Beirut, first edition, 2008 AD.
20. The Question of the Text, Mikhail Bakhtin, translated by Muhammad Ali Muqallad, Journal of Contemporary Arab Thought, Cairo, No. (33), 1988 AD.
21. Linguistic terminology and the establishment of the concept, Khalifa Al-Misawy, Difaf and Difference Publications, Rabat, first edition, 2013 AD.
22. Basic terms in text linguistics and discourse analysis, a lexical study, Noman Bougherra, Jadara World Book, Amman, first edition, 2009 AD.
23. Of the forms of linking in the Holy Qur'an, Saeed Beheiry, Arabic Language Center, Cairo College of Arts, 1994 AD.
24. From Voice to Text, Towards a Systematic System for Studying Poetic Text, Dar Al-Wafa Alexandria, first edition, 2002 AD.
25. A juristic grammar of the poetic text: A study in a pre-Islamic poem, Saad Maslouh, Fusul magazine, volume (10), issue (1, 2), 1991 AD.
26. Grammar of the one-sentence text, an applied study in Majma' Al-



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Athlam by Al-Maydani, Mahmoud Qaddum, King Abdullah bin Abdulaziz International Centre, Riyadh, first edition, 2015 AD.
27. The Texture of the Text, a study of what is expressed as a text, Al-Azhar Al-Zanad, Arab Cultural Center, Beirut, first edition, 1992 AD.
28. Text, Discourse, and Procedure, de Beaugrande, translated by Tamam Hassan, Alam al-Kutub, Cairo, first edition, 1998 AD.
29. Text theory, from the structure of meaning to the semiotics of the signifier, Hussein Khomri, Arab House of Sciences, Difference Publications, Beirut, first edition, 2007 AD.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

# التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس"

# The psychological manifestations of the narrator in the novel "La Anam" By the author "Ehsan Abdel Quddous."


## إعداد

**سارة محمود حسن علي**

**Sara Mahmoud Hassan Aly**



***Doi: 10.21608/mdad.2023.322130***

**استلام البحث** ٢٠٢٣/٨/٢٧

**قبول النشر** ٢٠٢٣/٩/١٧

علي، سارة محمود حسن (٢٠٢٣). التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس". ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ٩٣-١٣٠.

***http://mdad.journals.ekb.eg***

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

## التجليات السيكولوجية للراوي في رواية "لا أنام" للكاتب "إحسان عبد القدوس"

**المستخلص:**

هدف هذه الدراسة هو استجلاء بعض الظواهر النفسية التي يظهرها الراوي في رواية لا أنام للكاتب إحسان عبد القدوس. ويركز البحث على تدقيق التعريفات النفسية لمثل هذه الظواهر، بما في ذلك عقدة إليكترا والتشتيت والسلوك السادي وعقاب النفس.. إلى غيرها من الظواهر. فمن المستحيل أن نجد عملا سرديا بدون الراوي سواء أكان متكلمًا أو مخاطبًا أو غائبًا، فالراوي هو الذي يقوم بسرد الأحداث، وقد يجعله الكاتب في صورة شاهد مشارك أو غير مشارك في الأحداث التي تتم روايتها من خلاله.

ولأن ما يعنينا هو تتبع البعد السيكولوجي، فإن تصنيف (جان بويون) لطبيعة الراوي، يضحى خير ما يتكئ عليه البحث، نظرًا لاعتماده على البعد المعرفي للراوي في توخيه الكشف عن دواخل الشخصيات، وعن دخيلة نفسه كما يظهر في رواية لا أنام لإحسان عبد القدوس، التي بدا فيها الراوي متحدثا بلسان الشخصية المحورية أو البطلة. ويعتبر تقسيم بويون الأشمل من ناحية الحدود المعرفية للشخصية، ويتسم بكونه أكثر التقسيمات التي توضح بصورة بيّنة علاقة الراوي بالشخصيات الأخرى في الرواية.

**الكلمات المفتاحية:** الراوي- إحسان عبد القدوس-عقاب النفس- عقدة إليكترا- السادية السلوكية- المقاومة النفسية - الشعور اللاوعي بالذنب.

**Abstract:**

The aim of this study is to clarify some of the psychological phenomena shown by the narrator in the novel I Do Not Sleep by the writer Ihsan Abdel Quddus. The research focuses on examining the psychological definitions of such phenomena, including the Electra complex,distraction, sadistic behavior, and self-punishment, among other phenomena. It is impossible to find a narrative work without a narrator, whether he is the speaker, addressed, or absent. The narrator is the one who narrates the events, and the writer may make him in the form of a participating or non-participating witness in the events that are narrated through him.

Because what concerns us is tracing the psychological dimension,Jean Bouillon's classification of the nature of the narrator becomes the best thing on which the research can rely, given its reliance on the cognitive dimension of the narrator in his desire to reveal the insides of the characters and his inner self, as



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

appears in the novel (I Don't Sleep) by Ihsan Abdul Quddus. In which the narrator seemed to speak for the central character or heroine. Boyon's division is considered the most comprehensive in terms of the character's cognitive boundaries, and is characterized by being the division that most clearly explains the narrator's relationship with the other characters in the novel.

**Keywords:** narrator - Ihsan Abdel Quddus - self-punishment - Electra complex - behavioral sadism - psychological resistance - subconscious feeling of guilt.

**مقدمة:**

يُعد عنصر الراوي من أهم العناصر الفنية في القصة والرواية؛ وأكثرها خصوصية وتشعبًا؛ لأنه يرتبط بكل فعاليات الخطاب الداخلية، إذ يقف المؤلف والمتلقي بوصفهما قطبين رئيسين في العملية الإبداعية، يتوسطهما الراوي وبقية العناصر الفنية.

وقد يكون الراوي مختفيا في النص القصصي، وقد يكون شخصية من شخصيات الرواية"[١]، فإذا ما كان من شخصيات عمله الأدبي فإنه يستعمل ضمير المتكلم في القص. أما إذا وجد خارج العمل الأدبي فإنه يستخدم ضمير الغائب[٢]. فالراوي: هو المرسل، الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي لهم. وهو آلية يستخدمها الروائي(المؤلف) ليكشف بها عن عالم روايته، وحسب هذا المفهوم، فالراوي يختلف عن الروائي، الذي هو شخصية واقعية، لأن الروائي (المؤلف)، هو خالق العالم التخيلي، الذي تتكون منه روايته، فالمؤلف هو الذي اختار تقنية الراوي كما اختار الأحداث والشخصيات الروائية والبدايات والنهايات. والروائي لا يظهر ظهورًا مباشر في بنية الرواية، فهو لا يجب أن يظهر وإنما يستتر خلف قناع الراوي، يعبر من خلاله عن مواقفه ورؤيته السردية المختلفة التي يريد أن يبرزها للقاري[٣]. فمن المستحيل أن نجد أي عمل سردي بدون الراوي وإن كان نوع الراوي متكلمًا أو مخاطبًا أو غائبًا، فالراوي هو الذي يقوم بسرد الأحداث، وقد يجعله الكاتب في صورة شاهد مشارك أو غير مشارك في الأحداث التي

---

[1] د/ سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص١٣١.

[2] محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية، ص٣٠.

[3] د/ أمنة يوسف، تقنيات السرد القصصي، ص٤١،٤٠.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يرويها، فالذي يظهر في النص السردي هو الراوي ويقوم بتشكيل عناصر السرد بأكملها، إذن فالراوي جزء لا يتجزأ من النص الأدبي فهو السارد الذي يسرد الحكاية وبدونه لا يكتمل النص الأدبي لنا، فهو من أهم مكونات النص السردي الأدبي، فليس هناك حكي وقص شفهي أو كتابي دون راوٍ.

والتعريف الشامل الذي يلخص مفهوم الراوي وعمله هو الذي ينظر إليه على أنه "الصوت غير المسموع الذي يقوم بتوصيل مادة الرواية إلى المتلقي، وربما يكون الشخص الموصوف مظهرًا مخبرًا داخل النص، ممن يتولى مهمة الإدلاء بكامل تفاصيل عالم الرواية، فهو يملك قدرة أن يقدم الشخصيات وسماتها وملامحها الفكرية وعلاقاتها وتناقضاتها، كما أن من مهامه تقديم الوقائع المتعاقبة أو المتداخلة أو المتوازنة، التي تؤلف كيان الحدث في الرواية، ويقوم فضلا عن هذا بتقديم الخلفية الزمانية والمكانية للشخصيات والأحداث ويسبك هذه العناصر ويقدمها للقارئ"[٤].

ولأن ما يعنينا هو تتبع البعد السيكولوجي، فإن تصنيف (جان بويون) لطبيعة الراوي، يضحى خير ما يتكئ عليه البحث، نظرًا لاعتماده على البعد المعرفي للراوي في توخيه الكشف عن دواخل الشخصيات، وعن دخيلة نفسه كما يظهر في رواية لا أنام لإحسان عبد القدوس، التي بدا فيها الراوي متحدثا بلسان الشخصية المحورية أو البطلة. ويعتبر تقسيم بويون الأشمل من ناحية الحدود المعرفية للشخصية، ويتسم بكونه أكثر التقسيمات التي توضح بصورة بيّنة علاقة الراوي بالشخصيات الأخرى في الرواية.

لم يُعنى"جان بويون" في العمل الروائي بالتقنية بقدر توجهه صوب السيكولوجيا، وإنطلاقا من هذا التوجه منح الروائي دورًا إضافيًّا، فإذا كان العالم النفساني يعرفنا بأنفسنا، فإن الروائي يعرفنا بالآخرين. ويبدو هذا الدور جليّا عندما يكون الراوي هو البطل، أي يحكي عن ذاته، ويحلل داخليته وخلجات نفسه، فمن خلال هذه الصلة تبدو العلاقة الوثيقة بين الرواية وعلم النفس[٥].

فإذا نظرنا لتقسيم بويون من حيث (المعرفة)، معرفة الشخصيات ودواخلهم النفسية سنجد أنه استخدم في رواية (لا أنام)، **الراوي مساوٍ في معرفته للشخصية**، حيث يكون شخصية من شخصيات العمل يتحدث عن نفسه وعن الآخرين نحن نعرف الشخصيات والأحداث من خلال شخصية الراوي فما يريد قوله بقوله وما يريد أن يخفيه

---

[4] عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠، ص١١٥.

[5] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص ٢٨٨



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عنك أي إنك تسمع بأذنه وتنظر بعينه ففي هذه الرؤية تتكافأ معرفة الراوي مع معرفة الشخصية القصصية أي ما يعلمه الراوي تعلمه الشخصية، وما لا يعلمه الراوي لا تعلمه الشخصية أيضًا، فالنسبة متوازية بين الطرفين لأنهما على قدرٍ مساوٍ من المعرفة بمجريات الأحداث[٦].

**ملخص رواية لا أنام:**

هي من الروايات التي تحولت إلى فيلم سينمائي وأبدعت هذه الرواية في تحليل الصراع الأبدي بين الخير والشر المتمثل في شخصية "نادية"، والذي تجلى بوضوح من خلال شخصية البطلة حيث تعيش حياة مليئة بالصراعات الداخلية والمعاناة، بدءًا من علاقتها المعقدة مع والديها. فبينما كانت تعيش مع والدها بعد انفصال والديها، تجد نفسها في بداية محاطة بالرعاية والحب، لكن هذا الاهتمام يتلاشى تدريجيًا، ثم فجأة تنتزع منها زوجة أبيها العرش وتجردها من ذاتها التي بنتها عبر تلك السنين في بيتها، مما يؤدي إلى تصاعد صراعها الداخلي، وتظهر شخصية "نادية" عدائية في الخفاء مع من حولها حيث تتلذذ بآلام الآخرين وأذيتهم، وتعاني من صراعات نفسية نتيجة الشعور بالذنب المتمثل في "عقاب النفس"، وبعد كثرة تأنيب الضمير أصيبت بحالة تبلد المشاعر حتى أصبحت لا تشعر بالذنب مما جعلها في حالة غير قادرة على النوم، وهذا يتجلى في عنوان الرواية نفسه، "لا أنام". تبدأ الرواية كرسالة من "نادية" إلى الكاتب "إحسان عبد القدوس" حيث تشاركه حياتها وصراعاتها الداخلية، وتصوّر لنا ما عاشته من أحزان ومأساة وصراعات نفسية وهي تتخيل أباها مع زوجته الجديدة مما يستيقظ في نادية وعيها الأنثوي، وتحاول أن تكبت تلك الرغبة، حتى لجأت إلى مصطفى ويُختزل وعي نادية في مصطفى، وتجد في مصطفى منفذًا لأوجاعها ورغباتها المكبوتة، تنغرس في علاقتها به، لكن بمرور الوقت تتساءل عما إذا كان حبه حقيقيًا، ليبدأ وعيها في التمحور مرة أخرى، ونتيجة الصراع الداخلي لديها وشعورها بالنار طالت هذه النار أقرب شخص لها وهو أبيها الذي دفعته بأساليبها الثعبانية للتفريق بينه وبين زوجته وأججت النار بين عمها وأبيها بنار الشك داخل أبيها فهي دائمًا ما تصنع الشك بداخل من حولها، لم تشتبك "نادية" مع المجتمع بما يكفي حتى يمكن لها أن تكوّن وعيًا مكتملاً بل بقيت دومًا داخل الأسرة حتى في اختلاطها بالناس عبر الحفلات، كانت تذهب بوصفها ابنة أحمد لطفي بيه لا بوصفها فرد له كيان مستقل.

**الراوي في الرواية:**

والراوي المستخدم في هذه الرواية هو راو مشارك، ظاهر في العمل الأدبي من داخل الرواية ووفق تقسيم بويون تكون حدود معرفته بالأحداث مساوية لمعرفة

[6] المرجع السابق، ص٥٨


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الشخصية الرئيسة بها، وهو المتكلم بصيغة الضمير (أنا)، أو ضمير السرد الذاتي، ويظهر هذا النوع عندما يكون السرد ذا طابع سيري والراوي داخليا ويتحدث عن نفسه، وهو الذي تتساوى فيه معرفة الراوي بمعرفة الشخصية ومستخدما في روايته آلية التداعي الحر ولكنه بشكل كتابي أي ( بطريقة غير مباشرة)، فالراوي من حيث الجندر: إمرآة تعاني مصطدمة من عقبات الحياة التي تواجهها، لم تجد من يأخذ بيديها، وناشئة في تفكك أسري لاسيما أنه أثر على التشكيل النفسي لها.

وفي هذه الرواية سنجد منذ الوهلة الأولى أنها سيرة ذاتية قائمة على **الصراع النفسي** للبطلة نادية حيث إن الكاتب اختار أن يكون الراوي أنثى وهي بطلة الرواية نادية تروى الأحداث بضمير المتكلم لتكشف عما في طيات نفسها كأنها تطلع إلى مذكراتها وتتحدث للكاتب نفسه بضمير المخاطب الذي بدوره أخرج لنا هذه الرواية فيما بعد، وضمير المتكلم كان أكثر ملائمة للراوية لأنها الشخصية المحورية التي تتحدث عن نفسها شاعرة بتأنيب الضمير مما فعلته في حياتها. أخذت هذه الرواية شكل السيرة الذاتية تكشف عن هوية التأزم النفسي والشعور بالضياع والحزن المرير وغيرها من الاحاسيس النفسية المضطربة والهواجس الذهنية القلقة التي تشهدها الشخصية المحورية والراوية في ذات الوقت، ونجد الراوي المتمثل في الأنا المشارك المتكلم وتكون الشخصية المحورية، التي تتساوى حدود معرفتها بمعرفة الشخصية المحورية لأنها ذاتها فيعرف ما يدور في دواخلها النفسية وتعبر عنه بمذكرة كتابية، تكتب للكاتب لتنسى للتخلص من هذا العذاب.

ونجد أن السرد بضمير المتكلم المفرد " أنا، أنِّي " حضر بشكل مهيمن في كل صفحات الرواية فالكاتب اختار هذا السرد عن طريق الأنا، وهذا ما جعل في الرواية جمالية والتحامًا بين النص السردي والقارئ، فضمير المتكلم "أنا" يلغي المؤلف ويجعل منه شخصية تقوم برواية الأحداث والمشاركة في صناعتها أيضًا، وهو الضمير الذي تروي من خلاله الشخصية الروائية الواقعة في الزمن الحاضر، الذي هو زمن السرد، عن أحداث وشخصيات، تقع في الزمن الماضي، الذي هو زمن الحكاية، مما يوهم القارئ أنها نوع من السيرة الذاتية[٧]، "إن ضمير المتكلم يذيب النص السردي فيجعل القارئ ينسى المؤلف وهكذا يستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية فيعريها بصدق ويكشف نواياها ويقدمها للقارئ كما هي لا كما يجب"[٨] فمنذ السطور الأولى من الرواية يظل ضمير الأنا، الذي يجئ على لسان الراوية المهيمن على النص السردي في هذه الرواية نجد ضمير المتكلم "أنا " ولكن في بعض اللحظات نستوقف لنجد أن الراوية تتحدث مع شخص واحدًا فقط وهو المعني بالخطاب التي أرسلت له هذا الخطاب، لتكتب

7 د. آمنة يوسف، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، ص٥٤

8 عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ص٩٥.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في بداية الرواية (عزيزي إحسان)، إنه بالفعل خطاب للكاتب إحسان، أو سيرة ذاتية مكتوبة لهذا الشخص إحسان، الكاتب المشهور المعروف المؤلف للكثير من الروايات عن الفتيات وخاصة الفتيات المراهقات، وتعرّف نفسها أنا نادية لطفي لتبدأ الرواية فيما بعد بضمير المتكلم " أنا" وتسرد لنا أو بمعنى أصح تسرد للكاتب إحسان كل ما مرَّت به من أحداث وأفعال.

كانت تروي وتحكي لإحسان كيف فعلت هذا بصديقتها كوثر، وكيف شعرت حينها عندما تكمل خطتها لتنهي على سعادة كوثر، حيث تقول:**" بت ليلتي على فراش من الجمر.. أحاول أن أهرب من نفسي فلا أستطيع، وأحاول أن أتنصل من جرمي فيزداد التصاقًا بي كأن رأسي يلتهب وضميري يصرخ ويكاد صراخه يمزق جسدي**، ثم أكملت حديثها لتقول الراوية: **" لقد تعذبت ليلتها يا إحسان.. تعذبت كثيرًا"** [9]

ليستوقف القارئ فجأة مما يجعله يشعر أنه ليس المقصود بقراءة هذه الرواية، ولكنه مشاهد من الخارج. تتحدث البطلة الراوية للكاتب دون الشعور بالمتلقي كأنها تسرد لشخص واحد فقط عن كل آلامها وكل ما تشعر به تنتظر منه سبل النجاة للتخلص من عذابها بالتأنيب الذي يلاحقها ويحول دون نومها، كما ورد في عنوان الرواية "لا أنام"، وهكذا، فضمير الأنا، الأكثر التصاقًا بالشخصية الروائية من شأنه أن يوظف لعبة الإيهام الفني بشكل يوحي بواقعية ما يجري، وأيضًا يُقنع القارئ كي يتعاطف مع مرارة التجربة التي مرت بها نادية تجربتها الشخصية أو سيرتها.

**الظواهر النفسية للراوية (نادية):**

وإذا نظرنا للراوية وظواهرها النفسية سنجدها منحصرة في التشكيك والأذى المخفي بغريزة تدمير الغير عن طريق تحطيم القلوب وتأنيب الضمير أو بمعنى أصح **عقاب النفس** الذي يختلف من الوجهة السلبية عن تأنيب الضمير الذي بوسعه أن يمنع الفرد من ارتكاب الخطأ لا التلذذ من هذا التحطيم، و**عقدة إليكترا**، نجد أن ما عند نادية هي العدوانية السلبية بشكل غير مباشر تجاه الآخرين وهو نوع من أنواع **السادية النفسية** والتلذذ بآلام الأخرين، وبالرغم من أنها كانت تقوم بأذية من حولها حتى وإن كان أبيها إلا أنها كانت ضحية لعنصر التفكك الأسري، فهي أيضًا كانت تتألم لم تشعر بالراحة مما تفعله لم تكن تنام من كل ما تفعله كان لديها عقاب النفس الذي كان يجلد ذاتها، فقد كانت ضحية للألم النفسي التي سببته لنفسها ولمن حولها، وهي تقول: **"إنّي ضحية نفسي.. نفسي التي لا ذنب لي فيها.. نفسي التي غلبتني دائمًا، ودفعتني دائمًا إلى الشر.. إلى الخطيئة .... نعم يا عزيزي إحسان إنّي شريرة.. إنّي مدمنة شر!!"** [10].

---

[9] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٧.

[10] المصدر السابق، ص١٢.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**التحليل والصراع النفسي في الرواية:**

والراوية من الصفحة الأولى نجدها تسأل متشككة في وجود الله، وهي تعي أنه سؤال سخيف رغم إيمانها بالله العلي العظيم، كما تقول: **" كان كل ما أهويه أن أسألك سؤالا واحدا: "هل الله موجود"**[11]

نعم.. إنّي مقتنعة بوجود الله مقتنعة إلى الحد الذي يجعل القلم يرتعش في يدي الآن، ثم تستطرد في الكلام لتقول، **ربما أردت أن أسألك: ما هو الله؟**[12] لتجاوب على هذه التساؤلات وتقول: **" أنه الحق، وهو الفضيلة، وهو الخير.. فلا يستطيع نبي أن يدعونا إلى عبادة الضلال أو الخطيئة، أو الشر. وهو القادر.. فلا يمكن لأهل الأرض أن يجتمعوا على عبادة إله ضعيف لا حول له ولا قوة"**[13].. لتكمل العديد من تساؤلاتها **"اذن لماذا يتركنا الحق القادر، للضلال الضعيف؟!**

**لماذا تتخلى عنا الفضيلة للخطيئة؟!**

**لماذا ينتصر الشر فينا على الخير؟! وتستطرد في الإجابات عن هذه التساؤلات متعجبة من خلق الخير والشر، ولماذا نفسها يوجد بها هذا الحد من الشر، واصفة نفسها أنها جميلة ووجها كوجه طفلة ومليئة بالبراءة التي لم تتحذر منها، وتستطرد بضمير المتكلم وتقول بعد وصفها لنفسها وبجمالها، "أنا لا أخاف إلا من نفسي، ولا أطلب الحماية ألا من نفسي"..**

ونجد أن هذه التساؤلات ما هي إلا لتتهرب بضميرها مما فعلته وتحمله للوجود واللاوجود، أي أنها ليست مخيرة، على جرائمها التي لم تنص عليها قانون إلا قانون السماء، ولم تعرض على محاكم إلا محكمة الضمير..

ومن هذه التساؤلات وهذه السطور نستطيع أن نفهم عدة أمور عن الشخصية وهي دائمًا ما تستخدم جلد الذات لأي فعل تقوم به، بالرغم من الجُرم التي تقوم به لمن حولها، ونفسها التي غُلبت عليها لأن تقوم به إلا أنها لم ترتاح، بسبب جلد الذات، دائمًا ما تستخدم التشكيك بالرغم من معرفتها الحقيقة إلا أنها في سلاح ذو حدين التشكيك والشك، وهذا هو جُرمها الوحيد دائمًا ما تحاول أن تزرع الشك فيمن حولها لتخرب حياة من حولها، تأذيهم في أنفسهم لا في أجسادهم، فهي تعلم بوجود الله، ولنقل بشكل أوضح وهذا ما يدفع أي إنسان إلى التساؤلات في هذه الجزئية وهي التشكيك في القدرة الإلهية وهي لحظة اليأس، يتساءل كل شخص فيها لماذا لم ينفك عني الأذى حتى الآن؟ ولماذا بداخلي كل هذا الشر؟ ولماذا الإنسان يمشي في ذاك الطريق؟ ولماذا يغلبنا هذا الأمر، مع إن لا أريد لحياتي هكذا؟ لماذا تدفعنا أنفسنا لهذا الفعل الشنيع؟ ولماذا نشعر بكل هذا الألم؟ هل

---

[11] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٩.

[12] المصدر السابق، ص١٠،٩.

[13] المصدر السابق، ص١٠.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أنا بالفعل مُسيّر أم مُخيَّر؟ كل هذه التساؤلات تكون ناتجة عن لحظات اليأس التي عانى منها الإنسان بسبب الظلم الذي يعيشه، سواء كان الظلم من النفس ذاتها أو ممن ما حولهم، ولنقول أننا بالفعل يجب أن نفكر في الكثير من التساؤلات ولكن لتحديد مسار اتجاهنا في الحياة، لنتفادى منه ما يُؤلمنا، وتبقى أنفسنا في سلام، ولنصحح به مسارات حياتنا ونقوم بتحليل المواقف التي تعرضنا لها، حتى لا تغلب عليه أنفسنا ونكون في مأزق مع ذاتنا، فنادية كانت في لحظة اليأس من الأذى الذي تعرضت له، أو الأذى الذي تعيشه، حتى وإن كانت تحمل الجُرم لمن حولها فهي تحمله لنفسها أيضًا، حيث تُلَوِّس هذه النفس والروح التي في داخلها، فكانت دائمًا متشككة في نفسها ووجودها.

وبعد أن أفاضت بالحديث عن الوجودية وعن نفسها ووصفها استرجعت بالذكريات لتحكي عن جريمة من جرائمها بصيغة الماضي، وتقول وهي كانت صغيرة في العمر، **" كنت في الثانية عشرة من عمري، وكنت أعود من المدرسة ..... ولاحظت فتى يقف على جانب الطريق، إني مازلت أذكره حتى اليوم.... كان في حوالي السادسة عشر من عمره طويلا عريض الكتفين"** واصفة له إنه دائم الوقوف ينظر لها **"ودائمًا ينظر إليَّ فاغرا فاه كالمصعوق"** [١٤] وينتظر موعد عودتها وهي آتية من المدرسة، بدأت تفهم هذه النظرات وتشعر بجمالها، لكن لم تشعر بجمالها لتتباهى به وحسب، بل تأذي به، عندما بدأت التفكير به اتجه تفكيرها للتدمير والتحطيم واشباع غريزتها، وأرادت أن تنفذ خطة خبيثة، وتقول:

**ولكن تفكيري بدأ يتخذ – دون تعمد مني- اتجاها خبيثًا.. كنت كالطفلة التي تفكر في تحطيم دميتها لسبب لا تدريه إلا الرغبة في التحطيم.. كنت أريد أن أراه محطما دون ذنب جناه.. (وانسفت انسياقا لا شعوريا في تنفيذ الخطة الخبيثة)** [١٥]

لقد خذلت هذا الفتى بعد أن أعطته شعورًا يوحي أنها تريده مثلما يريدها، لم يكن شعورًا ملموس ولكن بالابتسام والتباطؤ في المشي لتعطيه فرصة اللحاق بها، لم تكن تريده ولكن أرادت فقط الرغبة في التحطيم، تحطيم القلب، تحطيم النفس، وفي تنفيذ خطتها كان شعورها يتخابث أكثر دون تأنيب ضمير أو الإرجاع عن ما تفعله، بل كانت لا تشعر إلا بالتلذذ، فقد ارتبطت غريزة اللذة لديها بغريزة التدمير، كلما انتصرت في خطتها ودمرت ضحيتها، كلما أشبعت شعورها بالتلذذ من ضحيتها واصفة شعورها وهي تقول: **"وفي صدري شعور خبيث جارف لا أدري كنهه.. شعور فيه خوف، وفيه لذة، وفيه رهبة، وفيه تردد.. كشعور المقامر وهو يقامر بكل ما يملك"، " الشعور الخبيث اللذيذ يشتد في صدري، وتشتد معه ضربات قلبي"**، وما أن انتهت من تدمير

---

[14] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص.١٤

[15] المصدر السابق، ص١٤.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ضحيتها وانتصارها لم تنفك عن الراحة، بل ابتدأت الحيل الدفاعية في استخدامها لاعتدال هذه النفس واللوم عما بدر منها، لتشعر بحجم الخطأ الذي ارتكبته دون داعي من الضحية لتصف الراوية الشعور الذي كان بداخلها وعما حدث بعد انتصارها لترينا كم العذاب الذي تعيشه الشخصية بالرغم أنها لم تكن الضحية **" وانكفأت إلى الفراش وأخذت أبكي.. بكيث كثيرا.. ورغم ذلك فلم تستطع الدموع أن تريحني ولا أن تغسل جريمتي"، ولم أنم ليلتها، وقضيت عدة ليال لا أنام.. ظل قلبي منقبضًا حتى يكاد في انقباضه يحبس الدم عن عروقي، وظللت كلما تذكرت فعلتي هذه أحس بالخجل من نفسي، خجل ممر كأن سكينًا يشق صدري"**[١٦]

تدخل الأنا العليا من خلال عقاب النفس وجلد ذاتها وليس تأنيب الضمير كما يقول بعض النقاد في هذه الرواية، فالأنا العليا، وهي الرقيب على النفس تنشق في اتجاهين، اتجاه إيجابي وهو الذي يعدل فيه الفرد عن فكرته ورغبته عن الأذى والجُرم، وإن لم يعمل هذا الاتجاه، لا يتجه إلا الاتجاه الآخر وهو اتجاها سلبيا ويبدأ بمعاقبة النفس من خلال إصدار بعض الدفاعات التي تعدل النفس عنها، وهذا ما جعلها تبكي وتشعر بالتعب النفسي بالرغم من عدم العدول عن خطتها، بل والأكثر من ذلك هو التلذذ وقت تنفيذ الخطة ونجد أن هذا النوع من التلذذ بآلام الاخرين ما هو إلا نوعًا من أنواع السادية لدى الذات.

وتحكي الراوية أيضًا بصيغة ضمير المتكلم المهيمنة على الرواية أكثر من جريمة تفعلها ويكون الشعور ما قبل تنفيذ خطتها واحدا، ولكنه يتضاعف مع كبر الجريمة أو إن كان التحطيم أقوى لتصف لنا شعورها عند تحطيمها قلوب كوثر وابن خالها مدحت عندما لاحظت أن كلا منهما نشأ بينهما حب، تقول: **"وبدأ الشعور الخبيث يزحف على صدري... بدأت أحس بالرغبة البشعة في تحطيم الدمية.. وكانت أمامي دميتان لأحطمهما"**[١٧]

وتكمل حديثها للكاتب **"وأقسم إني قاومت هذا الشعور وهذه الرغبة بعنف بكل إرادتي وبكل أعصابي"**[١٨]وفي هذه المقاومة لم تنجح كثيرًا، فبالأخير سيطر عليها الدافع الغريزي للتدمير والتحطيم لتشعر بالتلذذ وكأن روحها تستمد غذاءها من الشر، مدمنة على المقامرة، لا تستطيع أن تنفك عنها- ولكن هذه المقامرة من نوع آخر لا يوجد فيها خسران أي أموال، بل الخسارة في القلوب التي تحطمها وهي تقامر على نجاح خطتها، لتنجح في الآخر وتنتصر بخطتها على تحطيم القلوب والنفوس، لتقول:**" ونجحت في**

---

16 إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص١٥، ١٦، ١٧.

17 المصدر السابق، ص٢٠

18 المصدر السابق، ص٢٠



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**التغلب على شعوري الخبيث طوال فترة الصيف"**[١٩]، وعند سماعها لأحاديث الحب بين كوثر ومدحت ابن خالها، لم تحتمل هذا الشعور وبدأت نيران الغيرة والحقد تشتعل في داخلها، فهي لا تحب أحد سعيد، لأنها لم تكن سعيدة، لتقول: **"انما بدأت الأحاديث تذكى الشعور الخبيث في صدري، وبدأت الرغبة في التحطيم تستبد بي، وأصبحت كلما لجأت إلى فراشي لا أنام.. إنما أفكر.. وأفكر.. إلى أن وضعت خطة.. وبدأت تنفيذها.. وبدأت أتلذذ بشعوري، أتلذذ بالخوف والرهبة، والتردد.. لذة امتحان الذكاء.. لذة النشوة بالأمل المرتقب.. لذة المقامر وهو يقامر بكل ماله!!**[٢٠]**،" وأخيرًا اقتنعت بأني حطمت الدمية"،" إلا أني كنت أحس بالضيق، وبصراخ ضميري كلما رأيت كوثر.."، "وكنت دائمًا أحاول أن أقنع نفسي بأن ليس لي يد فيما ألم بها، وإني لم أفعل إلا "مقلبا" صغيرًا.. ولكني لم اقتنع.. وبدأت لا أنام.."**[٢١] وتحاول النفس أن تستخدم أي آلية للدفاع عن ارتكاب تدمير القلوب لعل يخرج هذا الشعور المهيمن بالذنب، ولكنه يرفض لإدراكه بالشعور الحقيقي، وأنها حقًا مذنبة فيبدأ يتخذ شكل آخر بمعاقبة النفس في شكل صور لها، الشعور بالضيق، ألم في الصدر، عدم التحمل النفس وعذابها، التوتر والخوف والترقب، هل من اتهام لي، هل أحد سيشير لي أصابع الاتهام؟، والقلق الزائد مع قلة النوم، فقد النوم من الإرهاق ليرتاح الجسد قليلا، وتبقى النفس متيقظة، وتبدأ محاسبة نفسها ثمة رجوع عن أمر خطتها، ولكن بالرغم من كل هذا الشعور الذي يصاحبها، إلا أنها لا تهدأ حتى تُكمل خطتها بنجاح وتنتصر، وتصف الراوية هذه اللحظات التي تعيشها، وتقول: **" فقد كنت فعلا شاردة مرتبكة تمزقني الحيرة بين نفسي الشريرة الجبانة، وضميري الصاحي الذي لا ينام.. كان ضميري يتغلب أحيانًا فأكاد أتقدم إلى كوثر لأعترف لها...، ولكن نفسي الشريرة لا تلبث أن تغلبه فأعود...."**[٢٢]

وتكمل الراوية واصفة كل ما يحيط شخصيتها من الداخل والخارج، وكأن إحسان الكاتب أمامها جالس لم ينفك عنها، بل لنشعر أن تُحدثه وهو أمامها مستمع لما تقوله بكل إنصات واهتمام، معبرة لإحسان أن الأذى لم يقف عند تحطيم كوثر وابن خالها، بل أصبحت هذه الغريزة، غريزة التدمير، تظهر عليها عندما تنجح خطتها لتقول **" وأقسم لك أن ما حل بمدحت وكوثر حل بي منذ ذلك اليوم، فلم أعد اكل ولا أضحك ولا أنام ولا أتذوق الحياة.. كنت أحس كأن مسام جسدي كلها تتفصد بجريمتي.. وكنت أحس كأن ضربات رئتي قرعات فوق طبل أجوف في موكب جنائزي.. وكنت أحس بنبضات قلبي**

---

19 إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢١،٢٠.
20 المصدر السابق، ص٢١.
21 المصدر السابق، ٢٩،٢٨.
22 المصدر السابق، ص٣١


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**كأنها قبضة يد فوق عنقي تنطبق وتنفرج.."**[٢٣]

لتصف الراوية حجم معاناتها بجرمها عندما حطمتهما **" فقد ظلت هذه الجريمة كالبقعة السوداء في ثوبي الداخلي.. أراها كل مساء وأنا أخلع ثيابي عن نفسي، وأتذكرها كلما التقيت بمدحت"**[٢٤]

وتقول في موضع آخر من الأذية وغلبتها على النفس: **"وبدأت لا أنام.. بدأت أقاوم نفسي حتى لا أرتكب اثما في حق مرفت الطيبة السهلة البريئة.. ولكني لم أستطع"**[٢٥]

**الشعور بالندم: " تعذبت لأني ندمت"..**[٢٦]

**" ندمت على جريمة ارتكبتها في حق صديقة بريئة/ جريمة لم أكن في حاجة إليها، وبدأت أعاني انقباض صدري حتى يكاد في انقباضه يحبس الدم في عروقي.. وأعاني من الخجل من نفسي.. خجل مر جارح كأن سكينا يشق صدري.. وبدأت افتعل أزمات في البيت، فأتشاجر خلالها مع الخدم، أو أكسر شيئًا، أو أضرب كلبي حتى أداري لهذا الخجل.. خجلي من نفسي!!**

**ومضت أسابيع وأنا.. لا أنام!!**

وهو ذات الشعور الذي يحدث معها قبل وقوع جريمتها وتدمير بيتها، حتى أن بيتها وأبيها، وأهلها لم يسلموا من شرها،**" وبدأت أفكر تفكيرا هادئا خبيثا.. كأن حية رقطاء قد انطلقت من رأسي وبدأت تزحف على بطنها وسمها في أنيابها.. وتملكني نفس الشعور الذي تعودته كلما أقدمت على ارتكاب شر.. شعور المقامر الذي وضع كل ما يملك فوق المائدة وانبهرت أنفاسه في انفاسه في انتظار أن تقف عجلة الحظ.. كنت ساعتها أبحث عن الخطة.. الخطة التي سأهدم بها زوجة أبي!!"**[٢٧]

وعندما نفذت أول معلم لها من معالم جريمتها الكبرى وحطمت أبيها، كانت تُعذب مرتين مرة لنفسها، ومرة لعذاب أبيها الذي يحتمله عندما قرأ خطابها المسموم الوهمي، عذاب الرجل المطعون في شرفه وكبريائه، وفي هذه الجريمة بدأ جسدها يُعاقبها هي الأخرى لم يكتف ضميرها بعذابها، بل أصبح جسدها يؤلمها لتصف لنا الراوية، **" وأحسست إني أختنق.. أحسست أن أمعائي تزحف صاعدة في داخل جسمي حتى تلتف حول حلقي وتضغط عليه، وكنت أتقزز من نفسي... وكنت أتعذب.... تعذبت كثيرا"**[٢٨]

و لقد قصدت الراوية في حديثها للكاتب عبر مذكراتها إلى توضيح لغتها باستفاضة

---

[23] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٣٢

[24] المصدر السابق، ص٣٢.

[25] المصدر السابق، ص٤٩.

[26] المصدر السابق، ص٥٠

[27] المصدر السابق، ص٢٠١

[28] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٣٦



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

حيث توضح له مدى الألم والوجع الذي يشوبها وصراع الآهات الداخلية المنبثقة من نفسها، حيث أخذت جريمتها تطورا في شكل آخر، فانقلبت على جسدها لتشعر بعقاب النفس التي أحست كأن سكينا ينغرز في جنبها، وسياطا حادة تنهال عليها وتمزق جسدها ووجها، وكلما كانت الجريمة أكبر يبدأ الجسد في معاقبتها أكثر، **"وأحسست بظلام داكن يحيط بي ويقترب مني شيئًا فشيئًا، حتى لم أعد أرى شيئا.. وأحسست أني سقطت على الأرض.. الظلام أحاط بي مرة ثانية ورأيت جدران الغرفة تدور بي كأني دوامة قد ابتلعتني.. وسقطت مرة ثانية مغشيا عليَّ.. ولكن اغمائي حقيقيا، لم يكن فيه افتعال ولا تمثيل.. كانت جريمتي قد تجسمت بشاعتها في نفسي.... وكان شعوري بالجرم قد أصبح أكبر مما تحتمله أعصابي إلى حد إني فقدت الشعور.. وحاولت أن أقوم من رقدتي ولكني لم أستطع.. شعرت بضعف لم أشعر به من قبل، بقيت في فراشي.. متهافتة.. ضعيفة.. غاية في الضعف.. وكأني فقدت السيطرة على جسدي، أو كأن دمائي تتخلى عني وتنزف من مسامي.. وانهمرت دموعي صامتة حزينة كأنها تفسح فوق وجنتي طريقا لموكب العذاب... ثم بدأ هذا الضعف يصحبه نوع من الألم.. كان ألما خفيفا.. ثم بدأ يشتد شيئا فشيئا.. ألم في جنبي ثم يطوف بجسدي إلى أن ينطلق من بين أصابعي.. ورحبت بالألم.. وجدت فيه السلوى.. وبقيت مستسلمة للضعف والألم، وأحسست بدمائي تتجمد، وتتحرك ثقيلة في عروقي كأنها حبات الرمل.. أحسست بأطرافي كلها تنثلج وكأنها شلت.. ولكني فجأة صرخت صرخة حادة.. وانكفأت على وجهي قد تقلصت كل عضلة في، وتقلصت أصابعي فوق الوسادة.. وصرخت صرخة أخرى.. ثم عضضت الوسادة بأسناني حتى لا أصرخ.. كنت قد شعرت كأن سيخا محمي في النار قد انغرز في جنبي.. ألم.. لم أستطع أن أستسلم له.. لم أستطع أن أطيقه.. فصرخت!"**[٢٩]

وكانت تشعر أن ما حدث لها هو ذنب جريمتها البشعة التي جعلت أبيها يطلق على زوجته بأنها خائنة، فعندما سألها أبيها ما بها؟! لم تقل إلا كلمة واحدة من وحي اللاوعي المسيطر على ذهنها بالحقيقة المُرة التي لم تخرج من أمام أعينها " ده ذنب طنط صفية"، وكأن الألم كان يغسلها من جُرمها، وكأن الألم الجسدي كانت تشعر به أنه يطهرها ويطهر روحها من عذاب الآخرين، لقد عاقبت كل آليات الدفاع لديها غريزتها، ولم تستع التحكم فيها، فأصبح المخ يعطي إشارات بعدم تحمل هذا العذاب فأصبح يعاقب الجسد بشكل موضعي، فقد أصيبت بحالة "مغص كلوي" حاد.

ونجد الرواية تستحضر عبر مروى البطلة الشخصية التي تعاني (نادية) تقنيات الوعي بأسلوب استبطاني استرجاعي نفسي قوامه: التذكر، للكشف عن داخلية الشخصية

[29] المصدر السابق، ص٣٠٥:٢٩٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العالقة في هذا الألم من تأنيب الضمير، ففي باطن هذه الشخصية نجدها أنها **سادية**، وما أن تحقق هذا الشعور يصحب معها شعور اللذة، وذلك من خلال معاملتها للخدم كما وضحت لنا الراوية نادية" **"فبدأت أتعمد إلقاء الأوامر إلى الخدم، وأتلذذ وهم يهرعون إلى تلبيتها.. وأتعمد افتعال الأسباب للومهم وأحيانًا لطردهم من البيت، وأتلذذ وهم يقفون أمامي صاغرين أو يخرجون من البيت أذلاء"**[٣٠]

وترى في محاولتها لسرد قصتها لإحسان أن الوقت قد فات، ولكنها تسترجعها، تسترجع ذكرياتها، ذكريات الألم والعذاب والندم، محاولة لنفسها الاستشفاء لعلها تنام، ومن بعد حجم الجُرم الذي فعلته بحياتها وأن الكاتب (المؤلف) من خلال الراوية نفسها وهي تتحدث عن نفسها، أوضح لنا في نهاية الرواية أن الجزاء من جنس العمل وتحطم قلبها هي الأخرى، فنجد أنها بهذه الطريقة طريقة السرد لشخص ما وإن كان المؤلف فهي مستخدمة بالفعل طريقة التداعي الحر ولكن عن طريق الكتابة، إذا نظرنا للرواية من منظور آخر سنجد أن البطلة مستخدمة "التداعي الحر" ولكن بطريقة غير مباشرة، لتخاطب الكاتب بخطاب تريد أن تحكي ما بداخلها، أي دون تعمد منها، وها هنا أول طريق للشقاء كما يقول سيغموند فرويد لتحكي لنا الراوية من خلال خطابها لإحسان، عن كل ما تشعر به من اضطرابات ومقاومات قبل حدوثها للشر، وصراعات لتبدأ عدم تحكمها في الغرائز لديها من التدمير، وزرع الشك، لتتحطم القلوب حولها، كأنها متلذذة بذاك الشعور الذي يصاحبها بكل ما تحمله النفس أثناء تنفيذ جرائمها، ويتضح لنا من خلال وصف الراوية، والتحدث عن نفسها: **من أين أبدأ قصتي؟ إني حائرة.. فكل يوم من أيامي هو بداية للقصة، وكل يوم نهاية لها... ولكني أذكر يووما بالذات لا أستطيع أن أنساه.. يوما أحسست فيه أن حياتي بدأت تتحرك بعنف.. أحسست أن الأحداث تدفعني بعد أن كنت أنا التي تدفع الأحداث، وإني لم أعد أملك الدنيا، ولكن الدنيا أصبحت تملكني.."**[٣١]

ودائمًا نجدها تستخدم لا شعوريًا التعنيف النفسي، عما تفعله فيمن حولها الذي يجلدها كل ليلة ولم يجعلها لا تنام، لقد دخلت لها معاناتها النفسية لأعراض جسدية من خلال مرضها بالكلي وشحوب وجهها من خلال التفكير كل ليلة عما فعلته بزوجة أبيها، وهو ما يسمى بالتجسيد Somatization هي تحويل المعاناة النفسية لأعراض جسدية كالألم والتعب، ودائمًا لا توجد أية صعوبة في شرح الإحساس الشعوري السوي بالذنب(الضمير)، فهو يرجع إلى التوتر بين الأنا والأنا الأعلى، حيث يكون عبارة عن حكم بإدانة الأنا ويصدر عن وظيفة الأنا النقدية، فرغباتها المكبوتة في تحطيم من حولها تسبب لها الإحساس بالذنب عندما تُحطم الدمية، ولكن عند اشتداد هذه الإحساس

[30] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٣٣٤
[31] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص ٣٤.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللاشعوري بالذنب قد يجعل الناس مجرمين، فمن الممكن أن نكتشف عند كثير من المجرمين، إحساسًا قويًا بالذنب كان موجودًا قبل الجريمة، فهو ليس ناتج عنها، إنما كان الدافع لها، ونجد الكثير من الأشخاص يجدون شيئًا من الراحة إذا تمكنوا من ربط هذا الإحساس اللاشعوري بالذنب بشيء واقعي مباشر، حيث يقوم الأنا الأعلى في جميع هذه الحالات بإظهار استقلاله عن الأنا اللاشعوري، وبإظهار دقة صلاته بـ الهو اللاشعوري، وبما إن الإحساس بالذنب هو عبارة عن حدوث إدراك حسي في الأنا، والأنا الأعلى يتكون من الإدراكات الحسية السمعية، شأنه في ذلك شأن الأنا' فهو جزء من الأنا، أي يظل قادرًا على النفاذ إلى الشعور بسهولة عن طريق المفاهيم والأفكار، أي تنشأ عن مصادر موجودة عن الهو[٣٢]، وقد أصبحت غريزة الهدم هي السائدة لنادية المستحكمة في الأنا العليا لديها وأخذت تتجه ضد الأنا، لتخرج وتكبر غزيرة الهدم مع مرورها وكبرها لم تنتهي ولم تقتصر على التحطيم بالخذلان، ولكن وصل الأمر بتفريق الأحبة بزرع الشك حتى وصل الأمر لتحطيم الأب بين سلاح ذو شقين بلذة الانتصار على دميتها والعذاب والألم لذاتها التي لم يبرح عنها يومًا. ويقول سيغموند فرويد إن أكبر عقبة تعترض جهودنا في العلاج هو عقاب النفس، أي إذا كان المريض يحاول الشفاء من جميع أمراضه النفسية، فلا يمكن بسهولة الشفاء من هذا المرض وهو عقاب النفس، فهذا المرض يتشبث بالمريض تشبثا مكينًا، فالحاجة اللاشعورية إلى عقاب النفس تتصرف كما لو كانت جزءًا من الضمير، كما لو كانت امتدادا للضمير في اللاشعور، بل أنها بمثابة قطعة من العدوان يبطنها الفرد ويستحوذ عليها الأنا الأعلى، وهذا العدوان النفسي لعقاب النفس هو الذي استحوذ من جهة أخرى على الأنا الاعلى، ويستخدم ضد الأنا، يقوم بنشاطه الصامت داخل النفس في الأنا والهو كأنه غريزة هدم طليقة[٣٣].

ويوازن فرويد بين الحاجة اللاواعية للعقاب المعبر عنها في أنماط مختلفة من عذاب الذات وتخريب الذات مع الشعور اللاواعي بالذنب. ولكن هناك أسباب نظرية وسريرية مقنعة للتمييز بين الذنب الحقيقي والحاجة اللاواعية للعقاب والتي تعمل كبديل للشعور بالذنب وتتمثل وظيفتها على وجه التحديد في درء الشعور بالذنب الذي لا يطاق. في حين أن الشعور بالذنب يجسد القلق الاكتئابي والقدرة على الاهتمام بالآخر الذي يميز الموقف الاكتئابي والذي يحفز الرغبة في التعويض، فإن الحاجة اللاواعية للعقاب تعكس

---

[32] ينظر سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة وإشراف الدكتور/ محمد عثمان نجاتي، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٢، ص٨٥،٨٤.

[33] ينظر سيغموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، ترجمة: عزت راجح، مراجعة: محمد فتحي مكتبة مصر، ص٩٨، ٩٩.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الديناميكيات النرجسية[٣٤]، وقد يكون ذلك من عمل الأنا العليا العقابية اللاواعية، ويقول فرويد إلا يصدقنا المرضى بسهولة عندما نخبرهم عن الشعور اللاواعي بالذنب. إنهم يعرفون جيدًا بما يكفي من العذاب - آلام الضمير - الشعور الواعي بالذنب، والوعي بالذنب، الذي يعبر عن نفسه، وبالتالي لا يمكنهم الاعتراف بأن بإمكانهم تحمل دوافع مماثلة تمامًا في أنفسهم دون أن يكونوا على أقل تقدير. لذلك أعتقد أننا إذا تخلينا عن مصطلح الإحساس اللاواعي بالذنب قد نتمكن من مواجهة اعتراضهم إلى حد ما، وربما يكون غير صحيح من الناحية النفسية، وتحدثنا بدلاً من "الحاجة إلى العقاب".

إن المساواة بين ضرورة العقوبة والشعور بالذنب تحجب الوظيفة الدفاعية الأساسية: التهرب من الذنب، ويشعر الشخص دون وعي بالذنب. دون الشعور بالذنب، غالبًا ما يحكم الأنا العليا اللاواعية للموضوع على أنه مذنب. في كثير من الأحيان، بدلاً من الشعور بالذنب، ويسعى الموضوع في كثير من الأحيان إلى العقاب دون وعي. ويمكن أن نرى مثل هذا العقاب الذاتي وكأنه دفاع ضد عملية إدراك الذنب والشعور بالذنب. وقد يصاحب الشعور بالذنب حالة الوجود أو الحكم عليه بأن الذنب غائب لأن الشعور بالذنب لا يطاق. وبذلك، فإن تطورها يكون قصير المدى من خلال آليات عذاب الذات، والتي يكون الألم جرائها أفضل بطريقة ما من الشعور بالذنب الذي لا يطاق.

لذلك أقترح أن نحتفظ بمصطلح الذنب لأوجاع الضمير التي تؤدي إلى الجبر، بخلاف الآلام التي تحل محل الجبر، وأن نتوقف عن الخلط بينه وبين الأنماط اللاشعورية لعذاب الذات والتخريب الذاتي التي وصفها فرويد. وبالرغم من عدم اتحادهم مع ارتباط فرويد لمثل هذه السلوكيات بالذنب اللاواعي، إلا أن ريسينبيرج مالكولم Reisenberg-Malcolm(١٩٨٠)،ومؤخرًا سيفين جرارد Safan-Gerar (١٩٩٨)، أظهرا ِانطلاقا من تخصصهما ِ كيف أن العقاب الذاتي اللاواعي، الذي يشير إليه الأخير بـ "الكفارة"، يخدم للتهرب والدفاع ضد تجربة الذنب والقلق.

إن معادلة فرويد للحاجة اللاواعية للعقاب بالذنب اللاواعي قد حجبت الوظيفة الدفاعية لعذاب الذات اللاواعي ودورها في التهرب المزمن من المعاناة العقلية والقلق الاكتئابي والشعور بالذنب والندم التي يجب مواجهتها واحتوائها في العمل من خلال موقف الاكتئاب. في كثير من الأحيان، عندما يحكم الأنا العليا اللاواعية علينا بالذنب، فإننا نتجنب الشعور بالذنب من خلال الذهاب مباشرة إلى معاقبة الذات. ولسوء الحظ فإن

---

34 Donald.L.Carved,Ph.D. The Unconscious Need for Punishment Expression orEvasion of the Sense of Guilt http://www.yorku.ca/dcarveth/guilt.html



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التهرب من الشعور بالذنب بهذه الطريقة يحول دون التقييم العقلاني لمثل هذا الذنب الذي من شأنه أن يمكّننا من اتخاذ قرار بشأن قبوله والتعويض عنه، أو رفضه باعتباره غير عقلاني ولا أساس له.

وقد يتم قمع القلق الحقيقي أو الشعور بالذنب مؤقتًا، ولكن إذا تم قمعه مطلقًا فإنه يتوقف عن الشعور بالذنب مطلقًا، أي أن قمعه يمثل بداية الانحدار الذي يلجأ فيه الأنا الأعلى إلى الذات.

- العقوبة بديلا عن الذنب ودفاعا عنه. والعقوبة هنا مع الراوية نادية هي ليست عقاب النفس وآلام الضمير، بل تفاقم الأمر ليصبح العقوبة للجسد الذي يحمله هذا الضمير، وهذه الغريزة، وهذه الأفكار.

عندما يشير فرويد إلى "العذاب - آلام الضمير" التي يعبر بها "الشعور الواعي بالذنب، عن نفسه"، يتساءل المرء عما إذا كانت هذه الآلام تمثل ذنبًا حقيقيًا أم عذاب الذات الذي كثيرًا ما يدافع عنه. إن المعاناة من آلام الضمير إما أن تبدأ جهودًا تعويضية تميل إلى تقليل عذاب الذات من خلال استعادة بعض الثقة الإيجابية بالنفس، أو تؤدي إلى عقاب ذاتي مزمن أو واعي أو غير واعي. في رأيي، لا يعني تحمل الذنب المعاناة من آلام دائمة، ولكن الاعتراف والسعي قدر الإمكان لإصلاح الضرر الذي حدث، وبهذه الطريقة استعادة الأشياء الجيدة واحترام الذات، مع عيش وعي الشر الذي يصاحب حتما الخير. ويمكن أن تؤدي آلام الضمير المؤلمة إما إلى نشاط تعويضي بناء أو بديل عنه. وفي الحالة الأخيرة، يحل عذاب الذات محل الشعور بالذنب. ويمكن أن نعرف الذنب من حيث عواقبه.. فإذا أدى إلى جبر الضرر تجاه الشيء، فهو الذنب. إذا أدى إلى عذاب الذات فهو ليس كذلك. وعدم القدرة على أن تكون سيئًا وفي نفس الوقت أن تكون جيدًا، لذلك أن تكون جيدا هو البديل الوحيد لكونك سيئًا.

إن النوم يجعل تكوين الحلم أمرا ممكنا لأنه ينقص قوة الرقابة النفسية الباطنة،[٣٥] وإذا كانت نادية لا تنام ـ بسبب الشعور اللاوعي بالذنب ـ ولم تكن الرغبات اللاشعورية تتحقق في عقلها الباطن في هيئة صور وأحلام في منامها، بحيث يدل اللاشعور على وجود عمليات نفسية لا شعورية، وإن الإحساس لا يصبح شعوريًا إلا إن بلغ درجة معينة من الشدة[٣٦]، بالتالي يحاول أن يخرج اللاشعور كل المكبوتات، وبما أنها لم تخرج في الأحلام، فقد أصبحت تخرج في الواقع الحقيقي دون أن تسيطر عليها، فهي لم تستطع السيطرة على النفسية المحملة لديها بالتدمير للغير، لذلك أصبح الشر يخرج من أعماق قلبها، ينتاب نادية الشخصية المحورية في الرواية (عقاب النفس). حتى من عنوان

[٣٥] سيغموند فرويد، تفسير الأحلام، ص٥٢٠.
[٣٦] سيغموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ص١٣٩


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الرواية "لا أنام" ونجد أن عدم النوم كان ناتجا عن الإحساس اللاشعوري بالذنب الشديد من كثرة الشر الذي كان يلاحق نفسها وتخرجه على الآخرين عندما كانت لا تستطيع التحمل من الغيرة والحقد الناشئين بداخلها، فهي كما قالت: إنها الخير والشر. ولعل في كل ما يحمل تصرفاتها الباطنة بأكملها شر بالرغم من وجها البريء الذي يوحي بالخير، فهي كانت دائمًا في صراع نفسي مع ذاتها، خاصة عند ظهور منافس لها في حب أبيها الذي كان لها كل شيء، فالصراع النفسي بدأ يشتد بين حبها لأبيها وحقدها الذي كان يملأ صدرها كلما رأت السعادة تحوم حولهما، بين أبيها وزوجته، ولكن في النهاية انتصر هذا الشر الذي كان بداخلها لتبدأ "نادية" توهم الأب بخيانة زوجته "طنط صافي" مع عمها "عزيز" حتى يُطلقها الأب ويطردها من منزله، وبذلك تستطيع أن تكون سيدة المنزل مرة أخر، وتسترد حب أبيها، قبل زواجه من " طنط" صافي"، ومن بعد نجاح الخطة وإزاحة صافي من أمام طريق أبيها، وفي ظل تنفيذ الخطة يبدأ الإحساس اللاشعوري بالذنب يأخذ مجراه على النفس المهلكة لصاحبها وللغير، وتبدأ تشعر بالندم الشديد وتأنيب الضمير، وتقوم في محاولات منها للاعتراف لأبيها بخطتها لعلها ترتاح من هذا العذاب المتمثل في ضميرها، وتصلح ما أفسدته لكن يكون قد فات الأوان، وتجد أن أبيها طلق زوجته "طنط صافي" وطردها من البيت، وظلت "نادية" لا تستطيع النوم؛ فهل كان حرمانها من النوم متأتيا من قبل الأنا الأعلى؟

يقول مصطفى محمود عن إيذاء الآخرين، إن من يعيش في سلام مع نفسه فهو يعيش دائمًا في سلام مع الآخرين، إنه لا يستطيع الكره، وإنما تولد هذه الكراهية للآخرين حينما تولد الكراهية للنفس، فالمجرم هو دائمًا إنسان ينزف من الداخل، إن الإنسان يشعر بالزهر يبتسم، حينما يرى ابتسامته الداخلية منعكسه عليه، أي عندما يرى الدنيا حلوة، فهو يرى نفسه حلوة، أي الإنسان يرى نظرة من حوله من خلال نظرته لنفسه، فهو يرة صورة نفسه كما تعكسها له الدنيا، ذلك الإحساس يأتي من مكان ما ليغمر روحه بالسعادة وإيمانه العميق، أما الإنسان الحقود فهو الإنسان المعتقل من الداخل، سجين قفصه الصدري، لا يستطيع أن يمد يديه إلى أحد، لأن يديه مغلولتان، وشرايينه مسدودة، وقلبه يطفح بالغل، وحقيقة ما يفعله الإنسان يدل على شعوره الداخلي بنفسه ومن ثم بالآخرين، فنحن أعداء أنفسنا قبل أن نكون أعداء ممن حولنا، فالمحبة تبدأ بتلك الحالة من السكينة الداخلية التي يبلغها الإنسان، واللقاء مع النفس ليس بالأمر الهين ولكنه شاق، والوفاق مع النفس أشق وأصعب.[٣٧] وحقيقة نادية نجدها أنها تنزف من الداخل لا ترتاح أبدًا، لا ترتاح في وقت خطتها الخبيثة لتنفيذ أي جُرم تقوم به، ولا ترتاح عندما تنتهي منها ولكن نجدها تلوم نفسها على ما تفعله أنها بالفعل لديها نفس لا تتحملها، ولا تحبها، ولا تلوم هذه النفس المليئة بالشر دائمًا.

[٣٧] ينظر، د. مصطفى محمود، الشيطان يحكم، دار المعارف، الطبعة السادسة، ص٣٠:٢٧



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فكانت نادية تحطم ضحاياها وتصل لمبتغاها بوسيلة إثارة الشك في داخلهم وأنفسهم وتدمر قلوبهم، دون رحمة وبتلذذ في داخلها، وعندما وصل الأمر لأبيها الذي تحبه كثيرًا اعتقدت أن أبيها ملكًا لها بمفردها وتشاركه فيها زوجة أبيها التي هي بمثابة الأم، فقررت إثارة الشكوك مستخدمة في خطتها عمها دون أن يعلم فكان بالأخير ضحية لها، وأصبحت الأسرة بأكملها ضحية لشرها، بغرض إزاحة زوجة أبيها من أمامها معتقدة في ذلك أن سيصبح البيت مرة أخرى لها، وأبيها وعمها، فهي لم تقتلها مباشرة، ولكن هذا دائمًا ما نجده في الجنس الأنثوي، فهو لا يحارب مباشرة ولكن يستخدم حيله ليقع بفريسته، وهذا ما حدث مع الشخصية الأصلية في إليكترا. ونجد بداية بوادر لهذه الشخصية: **" لم يكن في حياتي إنسان إلا أبي.. ولم يكن في قلبي إلا أبي"...** [٣٨]

**"فإن حبي العظيم لأبي هذا الحب الذي كان كل حياتي، لم يستطع أن يملأ فراغا كبيرا تركته وحدتي معه.. كنت أحبه إلى حد أني لا أستطيع أن أشكو له.. كنت أعتبر نفسي مسئولة عن سعادته إلى حد أني لم أكن أجرؤ على أن أعكر هذه السعادة بشكواي.."** [٣٩]

وعقدة أوديب الأنثوية أو "ظاهرة إليكترا" ليست أسطورة، فالإنسان يعيش تزامن الأحداث في حياته، وهي في الوقت ليست واقعًا، لأننا لم نر حتى الآن أحداثًا، تكرس هذا الواقع؛ بل هي قدر، لا بد أن يصيب كل من يصبح إنسانًا. العقدة الأوديبية الذكورية والأنثوية هي مسيرة لا واعية (لاشعورية) تصيب الإنسان على غير علم منه. هي إذا مسيرة تكون تنظيمًا لمسيرة الرغبة التي تتحرك في منحاها القدري، يمر بها، ويطوي صفحتها لكي يولد آخر يختلف تمامًا عما كان عليه في المرحلة الأوديبية، لها بدايتها ونهايتها. أهمية التحليل النفسي ترجع إلى أنه كشف عن وجود هذه العقدة في اللاوعي (اللاشعور)، فأي خلل يطالها في تطورها لا بد أن يترك أثرًا دائمًا كالعصاب أو الانحراف. والتحليل كان يهدف منذ نشوئه إلى إعادة تصحيح هذا الخلل عبر عملية التحليل النفسي، وهذا كان محور اكتشافات فرويد في المرحلة الأولى[٤٠]

عقدة أوديب هي مجموعة من الرغبات والمشاعر والأفكار اللاشعورية التي تقوم على أساس الرغبة في امتلاك الوالد أو الوالدة من الجنس المقابل كالأم (بالنسبة للولد الذكر) أو الأب (بالنسبة للبنت الأنثى) وفي نفس الوقت إزالة الوالد أو الوالدة من نفس الجنس، ويتم حل هذه العقد كلية بعد ذلك عندما تتم الوالد الجنس المقابل من خلال علاقة

---

[٣٨] إحسان عبد القدوس، رواية لا انام، ص٤٦.

[٣٩] المصدر السابق، ص٥١.

[٤٠] البروفسور، عدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة المرجع السابق، ص١٧.والأنوثة من فرويد إلى لاكان، بإشراف المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية، ص١٢٦


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

جنسية ناضجة مع شخص راشد من الجنس المقابل[٤١]

وجاءت فكرة تلك العقدة أساسًا من فرويد الذي استوحاها من عقدة أوديب ثم وسّع أفكاره وطوّرها. ومع أنّ فرويد جاء بفكرة العقدة، إلّا أنّ الذي أطلق عليها هذه التسمية هو كارل يونغ عام ١٩١٣. رفض فرويد في واقع الأمر التسمية التي أطلقها يونغ صراحةً، لأنّها - على حدِ تعبيره - " تسعى لتوطيد فكرة التشابه بين سلوك كلا الجنسين". لذلك، كان فرويد يستخدم في جميع كتاباته تعبير "عقدة أوديب الأنثوية" وهو يقابل عقدة أوديب لدى الذكر ".. وعلى الرغم من أن فرويد استوحى النظرية من الأسطورة اليونانية التي تدعى إليكترا إلا أنه كان رافض أن تسمى العقدة إليكترا ولكن كان يفضل تسميتها عقدة أوديب الأنثوية المقابلة لعقدة أوديب الذكر لأن السلوك واحد بين الذكر والأنثى كلًا منهما متعلق بالطرف الآخر (المُحرَّم) لقد كانت عقدة أوديب الذكر خاصة بالتعلق اللاوعي بالأم ويغير عليها من الأب وهذه العقدة مستوحاة اسمها من أسطورة أوديب.

دحض فرويد مفهوم يونج عن مجمع إليكترا في عام ١٩١٣، واستبدله بمصطلح خاص به، وهو مجمع أوديب الأنثوي. ويشير مجمع إليكترا في أبسط مستوياته إلى أن هذه الظاهرة تحدث للفتيات، وتتبدى في انجذاب الفتاة الصغيرة إلى والدها وعدائها تجاه والدتها، التي تعتبرها الآن منافسة لها. وأيضًا ذهب البعض في رغبة الفتاة في امتلاك والدها مرتبطة برغبتها في امتلاك القضيب، وغالبًا ما يوصف مجمع إليكترا بأنه حسد القضيب[٤٢].

**"وأحسست – لأول مرة – إن أبي لا يريدني بجانبه..وأنه يريد أن يتخلص مني ويزيحني من أمامه..**

**وأحسست كأن شيئا في صدري يبكي ويمزق نفسه، وأن قشعريرة باردة تدب في أعصابي، وإن جلدي "ينكرمش" فوق عظامي، وكنت اريد أن أثور.. أن أحطم شيئًا.. أن أهجم على أبي وأهزه من كتفيه لينتبه إلى وجودي.. ليذكرني.. إني كل شيء في حياته"**[٤٣]

**كأن هاتفا في نفسي كان يحاول أن يحميني من مجهول سيدخل إلى أثناء نومي، ويشدني في فراشي، ويلقى بي في النار.. نار الحقد ونار الإحساس بالتفاهة..** [٤٤]

لنجد أن التعلق بأبيها بدأ يأخذ الشكل المرضي لها: **"وعيناي معلقتان بأبي كأنه**

---

[٤١] د. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي ( في القصة القصيرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢، ص ٥٠

[42] **Electra After Freud: Myth and Culture By Jill Scott. Page (8) /**

[٤٣] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، مصدر سابق، ص٦٩.

[٤٤] المصدر السابق، ص٧٠



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**رجلي الوحيد... لا أريد أن يأخذني منه أحد، أو يأخذه مني أحد!!**[٤٥]

وقد ناقش إحسان قضية نمط علاقة الوالدين بالأبناء والخلل الذي يصاحب الابنة في ذلك وخطورة الموقف بأن نجد شذوذا لدى الابنة عما يثور بداخلها تجاه أبيها " سنجد بالفعل أن علاقة الأب والابنة علاقة قوية، ولكن اتجهت لمدلول آخر من جانب الفتاة من خلال ذلك:**" وقد وهب أبي حياته كلها لي.. كان يشرف على كل دقيقة من عمري.. كان يراقب بنفسه مواعيد تناولي الطعام ثم يجلس معي إلى أن أفرغ منه، وكان يدخل بي إلى الحمام ويغسلني بيديه، وكان يشتري لي ثيابي، ويقيم الليل بجانب فراشي إذا مرضت، ويقرأ دائمًا كتب الأطفال ليروي لي منها القصص، ويقرأ كتب التربية والطب ليتعلم كيف يربيني وكيف يعتني بي، ولم يكن يكتفي أبدًا بالمربيات الأجنبيات اللاتي يستأجرن بل كانت كل منهن لا تحتمل ولا تطيق شدة اهتمامه بي فتهجر**، وقد تعكس نص هذه الروايات أن البطلة لم تتجاوز عقدة إليكترا، ما أشار إليه فرويد في التحليل النفسي، فنجد (نادية) في رواية (لا أنام) البنت المراهقة المتعلقة بأبيها، والتي تعاني من عقدة إليكترا كما يسمّيها كارل يونغ، أو عقدة أوديب الأنثوية كما يسمّيها فرويد، يتضح ذلك من الرواية " **فهي كانت تخاطب نفسها أصبحت كأني على موعد معهما .. بل أصبحت أضيق وأتململ كلما تأخرا في دخول غرفتهما وأكاد أهم بأن استحثهما على خلوتهما لأقول بلا وعي لهما: (مش حتقوموا تناموا بأه؟!؟!..)**، وهي مدركة تمامًا، ما تفعله سائلة نفسها هل هذا شذوذ عندما أقف على باب الشرفة وأطلق أذنيّ إلى الغرفة المجاورة لأسترق السمع.. فلا أسمع شيئًا.. إلا أنفاسًا منتظمة لاثنين غارقين في نوم هادئ عميق.. فكنت أصاب بخيبة أمل كنت أحس كأن حبيبي قد أخلف موعده.. أحس كأني سأنام جائعة بلا عشاء!! فرغبة امتلاك الأب عند "نادية" ناتجة عن حبها الشديد لأبيها، ولكن تطور هذا الحب ودخل في إطار الحب الأوديبي الأنثوي، ما يعرف بعقدة إليكترا Complex Electra وهي رغبتها في إقامة علاقة شبقية/ جسدية مع أبيها، وهو ما يتضح في تخيل نادية لعلاقة جسدية بينها وبين أبيها، لتقول **"لقد حدث ما هو أكثر شذوذ.. فإن خيالي الذي يثيره هذا الهمس المنبعث في غرفة نوم أبي وزوجته، بدأ يتطور حتى أصبح ينهك جسمي العف الطاهر.. وأصبحت أتصور نفسي في كل مساء في أحضان رجل! هذا الرجل.. هو أبي!!**[٤٦]

لتأكد لنا الراوية عن شعورها تجاه أبيها وهي تقول: **" نعم.. كنت أتصور نفسي في أحضان أبي.. ذراعاه حول جسدي، وأنفاسه تصهر وجهي، وأسمع منه نفس الهمسات**

[٤٥] المصدر السابق، ص٧٩.

[٤٦] إحسان عبد القدوس – رواية لا أنام ص ٨٣



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**التي يهمس بها لزوجته.. وأهمس في أذنه نفس الكلمات التي تهمس بها"**[٤٧]. وفي ظل هذه الأحداث جعلها تبحث عن بديل يريحها من هذا العذاب النفسي حيث تحاول توجيه الدوافع الجنسية لها من أبيها، لشخص آخر ليكون أكثر أمانا وأقل تهديدا، حيث يكون الدافع الجنسي لها لشخص ما وليس الأب ليكون مقبولا، ليكون حب نادية لشخص آخر ما هو إلا إزاحة من أبيها، وتسامي لشخص آخر وهو مصطفى. أي أبدلت هذا التصور بوسيلة آلية من آليات الدفاع لدى رغباتها حتى تُحقق رغباتها بآلية مقبولة اجتماعيًا، حيث إن أبدلتها بعلاقتها بمصطفى وأصبحت تتخيله بدلًا من أبيها لتشبع رغبتها الجسدية التي تظل مدفونة بداخلها. حيث أقامت علاقة عاطفية لإشباع متعتها الجسدية؛ وإذا وجدنا مصطفى سنجد أنه لم يكن شاب قريب من سنها، ولكن عندما حاولت أن تتجه لعلاقة أخرى اتجهت لشخص قريب من سن والدها، لتعوض هذا الجانب الناقص في حياتها من اتجاه أبيها، التي تراه مع زوجته ولم تستطع هي أن تكون مكانها، بل كانت تقارن نفسها بينها وبين زوجة أبيها فهي لم تكن تحمل في داخلها إلا الحسد والحقد والشر، وتقول في داخلها من مقارنتها عن زوجة أبيها عندما قابلت مصطفى التي قررت أن تبدله مكان أبيها ليكون الأمر مقبولا وطبيعيًا.

**" أحسست أننا أصبحنا متساويتين.. هي لها رجل، وأنا لي رجل"**[٤٨]

ونجد هنا المونولوج الداخلي للراوية وهي تتحدث مع نفسها لتقنع نفسها بالذهاب إلى شقة مصطفى ومقارنتها بزوجة أبيها: **" لقد أصبح لكِ رجل.. كما أن لزوجة أبيك رجلا"**[٤٩]، لقد حل مصطفى البديل عن غريزة التدمير لديها، بل عن العالم لها كان مثل المسكن المؤقت لها من أفعالها الشريرة: لتوضح لنا الراوية هذا وهي تقول **" كان حبي لمصطفى هو دوائي من شري وحقدي.. " وكان حبي لمصطفى يعينني على كل ذلك.. كنت أقول لنفسي دائمًا**: لتتحدث مع نفسها دائمًا كالمونولوج الداخلي، لتثبت لنفسها أنها لم تكن لوحدها بعد أن دخلت زوجة أبيها التي شعرت منذ ذلك الحين أنها بمفردها وأن العين على زوجة أبيها وأنها أفضل منها، بل أخذت منها كل شيء أمور البيت والأب الذي كان لها العالم بأكمله، واهتمام العم، لقد أصبحت تشاركها كل شيء، وحاولت أن تبحث عن البديل شيئًا فشيئًا حتى وجدت مصطفى تكتفي به عن العالم **" لقد أصبح لي رجل يغنيني عن أبي وعمي، وأصبح لي بيت غير هذا البيت.. رجل هو مصطفى.. وبيت هو البيت الذي ألتقي فيه مصطفى.."، وما أن لبثت نادية في استقرارها من**

---

[٤٧] المصدر السابق، ص٨٦.
[٤٨] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص١١٥
[٤٩] المصدر السابق، ص١٢٠.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**الغش والحقد تجاه زوجة أبيها،**[٥٠] حتى ذات يوم قابل مصطفى عائلة نادية، وتحدث مع زوجة أبيها، ليندلع إليها الشر مرة أخرى، وتصف لنا الراوية إحساسها، عندما كان مصطفى يتحدث مع زوجة أبيها: **"وأحسست بالنار تندلع في دمي.. احسست كأني أريد ان أهجم عليها- على زوجة أبي- وأشدها من شعرها وألقى بها على الأرض"**[٥١].

ومنذ ذلك الحفل الذي جمع مصطفى بعائلتها ورأت مصطفى وهو مع زوجة أبيها وشعرت بالنار في داخلها تلتهما وبضعف شخصيتها أمامها، عند ذهابها للبيت ودخولها غرفتها حدث ما حوّل حياتها إلى عذاب وتخطيط للجريمة **"ونزعت ثيابي دون أن أغسل وجهي كعادتي كل مساء.. ولم أنم.. وبدأ الشر يرتفع من قلبي ويزحف إلى رأسي لينسج خيوط جريمة"..**

**"كنت قد تملكني رغبة طاغية في الهدم.. هدم كل شيء.. هدم زوجة أبي، وهدم أبي، وهدم مصطفى، وهدم نفسي.. كنت أفكر كالمجنونة، أحاول أن أحطم بيدي كل من حولي بلا سبب معقول إلا التفريج عن إحساسي بالنقص وإحساسي بشخصيتي الضعيفة التي عجزت عن اجتذاب مصطفى من زوجة أبي خلال الحفل"** [٥٢].

**وحاولت كثيرًا أن أطرد من رأسي هذه الأفكار السوداء، حاولت أن أمنع الجريمة قبل وقوعها** ولكن أثناء تنفيذ أي جريمة لها يبدأ العذاب **وهذا العذاب لا يمكن أن ينتهي إلى شئ.. لا يمكن أن يدفعني إلى العدول عن جريمتي أو التفكير بها"** ثم أن حدث موقف ما يشعل هذه النيران لقد حاولت نادية أن تلعب مع زوجة أبيها لتخبرها أنها على علاقة حب بشخص، ولكن سرعان ما هربت من أمامها ولم تعطيها الاهتمام الذي اعتقدت أنها من الممكن أن تحتويها، ومن هذا بدأت نيران شرها وحقدها تلتهم خيال نادية لتخرج بالجرائم، مع شعورها بالانتصار دون رجعة فيها مهما حاولت من مقاومات لردع تدمير ضحيتها، ولكن هذا دون رجعة ولنجد بالمونولوج غير المباشر لها، وهي تتحدث مع نفسها، **وسمعت الشيطان يسكب في صدري سما، يردد:" احذري، احذريها.. أنها تستطيع أن تأخذ منك مصطفى كما أخذت منك أباك.. إنها إمرأة قادرة.. فيها كل ما يغري الرجال.. ثم إنها امرأة.. امرأة.. أما أنت يا مسكينة فعذراء.. مجرد عذراء"!!**[٥٣]

أصبح مصطفى لا يملأ رغبة نادية عندما دافع عنها أمام نادية ومدح فيها وقال إنها: "ست محترمة واللي يعرفها لازم يحترمها" وبدأت نادية تخطط لجريمتها التي هدمت بها كل شئ، وكانت هذه العلاقة مؤقتة لم تبث الهدوء والاستقرار في نفسها القلقة،

---

[٥٠] المصدر السابق، ص١٧٣.
[٥١] المصدر السابق، ص١٨
[٥٢] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص١٩٠.
[٥٣] المصدر السابق، ص١٩٢


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وانصرفت هذه العلاقة عنها دون أي شعور بالندم، ولكنها كانت تأخذ من هذه العلاقة كل ما تحتاجه النفس لتسكن وتغرب عنها الأفكار والوساوس المليئة بالشر، لتنسى كل ما يحيط بها لتنسى الأهل والشر والحقد ولتستمتع بنفسها وبأنوثتها بدلا من استمتاعها بالشر الذي في صدرها وبتدمير من حولها، لتحاول أن تستغيث من شرها بأنوثتها مع شخص آخر تحبه، وتعطي لنفسها جرعة أكثر، ويتضح ذلك من خلال الراوية وهي تقول: **"أن أقدم على مغامرة طائشة تنسيني نفسي"**[٥٤].

وهذه المغامرة بالنسبة لها ما كانت إلا التجأها لمصطفى، فقد غامرت بكل ما فيها بجسدها وقلبها لعل عقلها يريح من تدبير المؤامرات الخبيثة والتخطيط والتدمير، ولكن هذا كان مؤقتًا، أي مسكنًا، حتى اشتعلت بداخلها نيران الحقد في أوج وهجتها، ولم تندلع هذه النيران أمام نفسها وأمام من تحبهم وأكثرهم أبيها، فقد التهمت هذه النيران الجميع بداية من نفسها، وأصبحت تعاقب جسدها، وراحتها، وعقلها، وقلبها.

سنجد نادية في هذا الوقت تحاول أن تعيش بخيالها الأحداث وتقنع نفسها بهذا الخيال حتى تخرج منه بالحقيقة التي تريدها لتقنع من حولها وتنفذ خطتها، كانت تتخيل وتعيش الخيال كأنه واقع رغم أنه ليس له أساس من الصحة، كان هذا الوقت يغلب عليها شرها وحقدها وتثور في أهدابها ثورة من الحقد على الشخصية عندما تشعر بقوة شخصية زوجة أبيها، بدأت الخطة التي هدمت بها طنط صافي عندما قابلت حبيبها في الحفلة مع أهلها، وظل يتحدثان بالرغم أنها كانت محادثة عادية وأمام الجميع، إلا أن نادية أحست بعدم الثقة وشخصيتها ضعيفة أمام شخصية زوجة أبيها، وبدأت مقارنتها بنفسها وكم هي قوية الشخصية، سرعان ما لبثت نار الغيرة والحقد منها، وشعرت أنها أخذت منها كل شيء بل لم تهدأ تريد أن تأخذ حبيبها منها لقد عوضت نفسها من قبل عن أبيها بهذا الرجل، وبدأت تنفيذ الخطة، من نار الحقد التي بداخلها واشتعلت هذه النيران عندما سمعت من مصطفى وهو يمدح فيها، لم تفكر في شيء إلا في تدميرها، وكانت تشبع فكرها بهذه الخطة، فالخطة لم تكن سهلة، وكما وضحت الراوية أنها **"خطة طويلة الأجل"**، وبدأت تعيش في خيال هذه الخطة وتقنع نفسها، وتصف الراوية في مذكرتها لإحسان، كيف تعيش هذه الخطة، وتقول: **" وكان يجب أن أقنع نفسي بهذا الخيال حتى أنسج منه حقيقة بالجرأة على ارتكاب جريمتي.. كانت تعامل كل الرجال في مستوى واحد.. كلهم تجذبهم بشخصيتها القوية الحلوة، وكلهم يلتفون حولها أينما ذهبت..."**[٥٥]

فكانت دائمًا ترى أن شخصية صافي قوية وتحسدها على ذلك أو تحقد عليها، فأصبحت تخطف منها تلك الشخصية القوية ثقتها في نفسها بطريق غير مباشر، بأثر جريمتها التي لا يعلم عنها أحد وكانت ضحيتها أبيها وزوجته وعمها فالكل دفع الثمن،

[٥٤] المصدر السابق، ص٢٤٩.
[٥٥] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢١٦


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أصبحوا أجسادا روحهم تتألم، كانوا ضحايا لطفلة مراهقة لم تتعدى من عمرها العشرين، زرعت الشك في أبيها بكل سهولة وأصبح يرسم تصرفات زوجته وأخيه التلقائية إلى خيط من خيانتهما له، لتوصف لنا الراوية عن حال زوجة أبيها بعد أن أصبح زوجها يعاملها بطريقة على غير العادة بل أصبح عصبي، ولا تعلم السبب: **"كانت تبتسم ابتسامة ضعيفة كأنها تحاول أن تدافع بها عن سعادتها، وكانت في عينيها حيرة وتردد كأنها لا تدري ماذا تفعل أو ماذا تقول.. لقد بدأت الشخصية القوية الجذابة تنهار.. وتنهار أمامي، وأمام جريمتي"**[٥٦]

فشخصية نادية لم تكن تدبر الخطط هوجائيًا، وإن كانت خطة طفولية ساذجة صدقها الأب، لأن نظر لابنته نظرة صدق، وتعاطف مع معانتها التي تحملها بين صدرها ويصعب عليها هذا الرجل الذي يعيش الخيانة من أقرب الناس له، لقد بحثت عن النقص في شخصية أبيها، لتكمله بشخصية تجعل الضحية مقتنعة إلى الحد التي تصدقها، وتعطي مبررا للزوجة بالخيانة، وتقول لنا الراوية، وهي تتحدث مع نفسها: **" إن شخصيته تكمل نقصا كبيرا في شخصية أبين فلماذا لا تجمع بينهما حنتي يكتمل لها من كليهما كل ما تحبه المرأة في الرجال.. الجد والمرح، والنظام " والهرجلة"، والاستقرار والقلق.. إلى آخر الصفات المتناقضة!**[٥٧]

**" وكان على بعد ذلك أن أقنع أبي بما اقتنعت به نفسي.. كان على أن أقنعه بأن زوجته تخونه مع أخيه!!**

**كانت هذه خطتي.. ولم أكن أتصور لهذه الجريمة من نتائج.. إلا نتيجة واحدة، هي أن تخرج طنط صفية من البيت.. أن يطلقها أبي.. أن يعزلها عن العرش، وأعود أنا أتربع عليه.. على عرش البيت وعرش مصطفى وعرش قلوب كل أقاربنا وأصدقائنا.. ولكن كيف أقنع أبي؟"**[٥٨]

كان طيب القلب، ولا يدع الشك يثور في نفسه، قوي الأخلاق لا يسئ لأحد، ولا يغار، ولا يسئ الظن أبدًا.

ودائمًا نجدها في وقت تنفيذ أي خطة تحاول أن تعدل عن فكرة التدمير التي أشبعت بها روحها وكيانها موضحة في هذا:" **وبدأت أفكر في أعدل عن كل هذا وأستريح.. أن أعود إلى غرفة المكتب وأمزق الورقة التي كتبه، ثم ألقى بنفسي فوق فراشي لعل قلبي يهدأ، ولعل الشيطان المجنون يكف عن ضرباته فوق صدري، ولعل أنفاسي تنتظم،**

---

[٥٦] المصدر السابق، ص٢٤٨.

[٥٧] ا إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢١٦

[٥٨] المصدر السابق، ٢٢٠،٢٢١.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**ولعلني بعد ذبلك.. أنام!!**[٥٩]

**أحسست أن أريد أن أهرع إليه، وألقي بنفسي تحت أقدامه، وأعترف له.. وأتوسل غليه ألا يصدقني، وألا يصدق هذا الخطاب الذي قرأه، وان يعود كما كان...**

**لم تستطع كل هذه الأحاسيس التي كنت أحس بها فعلا أن تنقذني من جريمتي، أو تدفعني إلى إنقاذ أبي وزوجة أبي، وإنقاذ البيت كله..**

**"كنت كأني أحمل في ذاتي شخصين.. شخصًا يحس ويتعذب تحت سياط الضمير.. وشخصًا آخر لا يحس.. ولا يتعذب، إنما هو مجرم عاق يقف باردا.. جامدا.."**[٦٠]

**"كنت ساعتها أعاني صراعا عنيفا بيت الشخصيتين اللتين تعيشان بين جنبي.. شخصية الإنسانة التي تحس الجريمة وتتعذب لها حتى يكاد العذاب يمزقها.. وشخصية الإنسانة الأخرى التي ترتكب الجريمة في هدوء وبرود وأعصاب ثابتة دون أن تتأثر أو يهتز لها رمش.. هذا الصراع الذي عانيته.. وكنت ضحيته طول حياتي.."**[٦١] **"كانت الروح الشريرة مسيطرة على وتتحكم في كل تصرفاتي. الروح التي تسكن جسدي، وتعذبني وتعذب كل من يقترب مني او يلمسني.."**[٦٢].

عندما شعرت أن الخطة بدأت تنجح أحست بفرحة خبيثة أن أبيها عاد لها وحدها، بالرغم أنه عاد محطمًا، رأته متهالكا من أثر الصدمة التي ظن فيها أن زوجته تخونه، فكانت بكل عقلها تحاول أن تنقذ خطتها، حتى لا ينكشف أمرها، وعندما قرر الأب السفر فجأة للعزبة أرادت أن تنقل له الوساوس وتلحق بالشك في زوجته " **وبدأ ذهني ينشط.. بدأت أشعر أن في رأسي شيئًا أسود يتحرك ويزحف كالحية السامة عندما تشعر بالدفء"**[٦٣]، وأصبح ما بداخلها بداخل الجميع، بل أصبح البيت مثل قلبها مفعم بالغيرة والتوتر والحقد والكراهية، لقد زرعت أصحاب البيت بالشك، لتحصد ما تزرعه وتظهر نتائجه على البيت بأكمله لتوضح لنا الراوية عما أصاب البيت بعدما شعلت البيت بجريمة تحملها سواد قلبها، فلم يكن وصفها واقفًا عند نفسها، بل دائمًا ما قد تصف الراوية الأحداث التي تدور من حولها، وكأنها تُراقب نتيجة جريمتها، وتصف البيت التي تعيش فيه، وتقول الراوية "نادية": **"وامتلأ البيت كله بالشك الأسود، والغيرة الصفراء، والحقد والكراهية، والتوتر والأرق.. أصحابنا جميعنا نعيش على أعصابنا، وأعصاب تالفة منهكة.. كنا كالمجانين.. كجماعة تاهت في صحراء مظلمة وأخذ بعضها يتخبط**

---

[٥٩] المصدر السابق، ص٢٢٩

[٦٠] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٣١، ٢٣٢

[٦١] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٢٧٢،٢٧١.

[٦٢] المصدر السابق، ص٢٨٢

[٦٣] المصدر السابق، ص٦٠



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**في البعض بحثا عن النور.. عن الخلاص!"**[٦٤].

المقاومة النفسية التي تحل بها في تنفيذ أي خطة لها مليئة بالشر، ولكن سرعان ما تتغلب الأهواء على هذه المقاومة، عندما تجد السعادة مليئة البيت بأكمله من أبيها الذي كان مرحا سعيدا، وزوجة أبيها التي يتجدد شبابها كل يوم، وكانت تضيق بهذه السعادة، ومن هذه السعادة عاد إليها الشعور مرة أخرى شعور الحقد الشر، لتعرفنا الراوية عن وصف الشخصية المتمثلة في نفسها: **"وبدأت أبخرة الشر تملأ صدري وتتصاعد إلى رأسي.. بخار يتصاعد من بوتقة ساحر يعد السم الأسود!!**[٦٥]

لتبدأ المقاومة النفسية بين حبها لأبيها وحقدها على زوجة أبيها، لتقول: **وقد كنت أحب أبي.. أحبه إلى حد أن أقتل نفسي قبل أن أقدم على إيذائه.. وقامت في نفسي معركة عنيفة بين هذا الحب –حبي لأبي – وبين الحقد على زوجته... كان حبي ينتصر دائما على حقدي.. كنت أخنق الخطط السوداء التي تطوف برأسي قبل أن أقدم على تنفيذها..**

**وكنت أنا وحدي الضحية.. أنا التي يعتصرها الحقد حتى يكاد الدم يجف في عروقي.. وأنا التي يأكلها الشر حتى يكاد لا يترك مني إلا عظاما.. وأنا التي لا تنام حتى لم تعد جفوني تسقط فوق عيني إلا أعياء**[٦٦]

ونجد في الجزء الثاني من الرواية، عندما تنتهي من جرائمها وخراب البيت بين أبيها وزوجته تعيد مرة أخرى وهي تكتب لإحسان التساؤلات التي سألتها في بداية الخطاب متسائلة بكل يأس عن سبب جرمها، و لماذا تتعذب بهذا الجُرم لتقول: **"إني أتساءل مرة ثانية... ما الذي يدفع الطفل إلى تحطيم الدمية، ثم ما الذي يدفعه إلى البكاء بعد أن يحطمها!.. وما هو الإنسان؟ وأنا.. وما أنا؟ ولماذا ولدت لهذا الأب.. ولماذا وجدت في هذا البيت.. ولماذا حطمت الدمية الجميلة.. ولماذا أبكي بعد أن حطمتها؟! ليقل علماء النفس كل ما عندهم. ليبحثوا في النفس البشرية ويكتبوا عشرات الكتب.. ولكن أنا. ما ذنبي؟!.....**[٦٧]

فهي تبحث عن سبب جرمها وتبحث لماذا هي بكل هذا الشر؟! ولماذا تتعذب!! وتبحث عن نفسيتها التي تعتقد أنها مريضة بالشر، وتريد أن تغبر عنها كل هذا وهي تكتب وتكمل حكايتها **لإحسان** الكاتب المشهور بغرض التحرر من جرائمها التي تحارب ضميرها متسائلة إن كانت هي خُلقت بالشر ولماذا هي بهذا الحجم من الشر، هل هو

---

[٦٤] المصدر السابق، ص٦١

[٦٥] المصدر السابق، ص٧٦.

[٦٦] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام،ص٧٧،٧٦.

[٦٧] المصدر السابق، ص٧٧.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مرض نفسي يجعلها تخفق قلوب من حولها وتظهر لهم بهذه البراءة الخادعة.

وعند خروج طنط صافي من البيت ومرض نادية والعذاب التي تعرضت له لم تشعر بالراحة، بل كانت تشعر أنها وحيدة ومنزوية من الكل، لم يكن في شخصيتها قوة، بل كل الضعف، واستسلام للعذاب الذي كان يلاحقها، حتى رغبتها بالحب أصبحت تتلاشى ويتضح لنا من خلال حديثها مع نفسها، وهي تقول: **ولكني لم أعد أشعر بحاجتي إلى لقائه.. هذه الحاجة الملحة المجنونة التي كانت تدفعني إليه**.. وأصبحت شرارة الحقد تتصاعد مرة أخرى وأشعرت ببوادر الخفقان الذي يظهر عليها عندما تبدأ في جريمتها وكان هذا السبب في ذلك هو سفر محمود، ولكن لمَ هل أحبته؟ أم أنه حقدًا ونجد أن **عند سفر محمود للبعثة لديه أصبحت تشعر بذات الحقد ثانية لتمنعه من السفر لقد أحبت محمود، ولكن محمود لم يرد.. لم يصلني منه شيء.. وعلمت أن الله ينتقم مني.. الله الذي خلقني.. ينتقم مني!**[٦٨]

وبعدما حدث لها مع محمود وتحطمت مثلما تحطم الآخرين وكأن الجزاء من جنس العمل (داين تُدان)

ونجد في شخصية (نادية لطفي) أن الدوافع الخفية من وراء ما تعانيه هذه الشخصية عقدة نفسية من نشأة طفولتها ويتضح ذلك من خلال سلوكها، وأفعالها الشريرة المدمرة للآخرين؛ يلحظ أنها تُعاني من اضطرابات نفسية، تكمن في الأنانية، ورغبة حب التملك والتدمير عن طريق زرع الشك، والدافع لذلك هو واقعها الاجتماعي الذي نشأت فيه؛ والحياة التي فُرضت عليها وتكوينها النفسي، ويتمثل هذا الواقع الاجتماعي الذي عاشت فيه في الانفصال الأسري؛ حيث نشأت في ظل أسرة مفككة؛ في وقت مبكر، وهي لا تتجاوز العامين، حيث تقلص دور الأم في حياة الابنة[٦٩]، وهو ما تذكره "نادية" :**"لقد تفتح وعي وأمي مطلقة.. كانت قد طلقت وعمري لا يتجاوز العامين، وتزوجت من آخر، وتركتني لأبي"...**[٧٠] وهذا الطلاق المبكر للأم، جعلها تنشأ إلى كنف جانب واحد؛ وهو الأب دون الأم، ووصل هذا الجانب في حب ابنته الوحيدة إلى حد التدليل؛ وأدى ذلك إلى تعلق الفتاة بأبيها، وحبها له حبًا شديدًا، فتدليل الأب لابنته جعلها تعتقد أنه ينبغي أن يعيش لها وحدها، وهو بالفعل كان يقوم بدور الأب والأم معًا، فهي تعتقد أن ليس لامرأة أخرى الحق في أبيها، وكانت الأم مجرد صورة لها فهي أم سلبية لم تؤثر في حياة ابنتها بدور ايجابي؛ وهو ما فرض حاجزا نفسيًا في العلاقة بين نادية وأمها، وربما هذا النوع من التنشئة جعل "نادية" تكبت ما تشعر به من انفعالات

---

[٦٨] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٥٣٧.

[٦٩] شريف الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية، مرجع سابق، ص٤٦.

[٧٠] إحسان عبد القدوس – رواية لا أنام، ص٣٤.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وأحاسيس، وما تفكر فيه من أفكار؛ لأنها لم تجد مَنْ تنفس معه وخصيصًا الأم، ربما كبت نفسيتها وعدم التنفيس عن الأفكار والانفعالات المكبوت، جعلها أكثر عرضة لتنفيس هذه الانفعالات غير سوية [٧١].

وإن تحدثنا عن انعدام الروابط الأسرية وعاملها على الشعور النفسي فنجد إنه عامل مهم في إدخال الفرد في دوامة التعب والشعور النفسي السلبي الذي يدخل الشخصية في أمراض ذهانيه وعصابية وأقلها نفسية وتبقى الشخصية غير سوية في معاملتها مع النفس أو الغير؛ لأنها تكون محملة بالعقد النفسية التي واجهتها نتيجة التفكك الأسري أو دور التربية وغياب أحد الآباء عن رعاية الطفل أو تحمله ووضعه في مكان غير المكان النفسي المخصص له، وتقول نادية: **" وكانت أمي تجئ لزيارتي..... كانت بصحبة زوجها كأنها زيارة رسمية أو في زيارة مجاملة وكانت تحس بجانبي فأحس أنها بعيدة عني... تبتسم فلا تنعكس ابتسامتها في قلبي.. وتتحدث فأشعر أنها تتحدث إلى إنسان غيري.. لم تكن تفهمني.. ولم تحاول أن تعلم حقيقتي لتفهمني..."** [٧٢]

والشيء المثير للاهتمام أن الأصل النظري لهذه العقدة، التي تشتق اسمها من شخصية أوديب الأسطورية، قد جاء من خلال مسرحيتين للكاتب الاغريقي الشهير "سوفوكليس" في هاتين المسرحتين قتل أوديب دون أن يعرف أباه ثم تزوج بعد ذلك أمه، ومن هذا توصل فرويد لذلك من خلال تحليله الذاتي لنفسه بعد وفاة والده، وفي البداية كان مصطلح "عقدة أوديب" يشير إلى عقدة الشخص الذكر تجاه والديه ومصطلح " عقدة إليكترا" إلى عقدة الأنثى تجاه والديها، أما اليوم فيستخدم مصطلح عقدة أوديب ليشير إلى هذه العقدة لدى الذكور والإناث، رغم أننا يجب أن نعرف أن خطايا إليكترا كانت من نوع يختلف عما فعله أوديب، فبدلًا من أن تقوم إليكترا بالقتل المباشر لوالدتها، فإنها ألحت على أخيها ودفعته للقيام بذلك[٧٣]، وهذا ما حدث في رواية لا أنام لم تقوم بالقتل المباشر ولكن كانت دائمًا تزرع الشك في أبيها بخيانة زوجته وهو ما دفعه لتطليقها وإزاحتها من طريقها وبالرغم من أنها كانت قد عقدت خطة محبكة إلا أنها شعرت بالعذاب النفسي وتأنيب الضمير

كما أننا سنجد في هذه الرواية أن غريزة التدمير شديدة القوة لدى نادية، فتدمير زوجة الأم لم تكن الضحية الأولى بالنسبة لها، فقد اعتادت على ذلك مذ صغرها، مما جعل منها بسهولة مجرمة أو مذنبة كما تقول لنفسها **"إنني مجرمة"**، ولكن جرائمي لا

---

[٧١] ينظر شريف الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية، مرجع سابق، ص٤٨،٤٧،٤٦.

[٧٢] إحسان عبد القدوس – رواية لا أنام، ص٣٠٦.

[٧٣] د. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي (في القصة القصيرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢، ص ٥٠


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يُعاقب عليها القانون، ولم تستطع العيش بدون هذه السمة فيها وكأن التدمير لديها أصبح وجبة، من الحين للآخر يتغذى بها الشعور الغريزي لديها ربما للنقص والتفكك الأسري التي عانت منه، فالشعور بالذنب هو حالة انفعالية خاصة Private Emotional State تتضمن مشاعر مؤلمة نابعة من ضمير الفرد نتيجة لارتكابه فعلًا أو حدثًا يتأسف عليه أسفًا عميقًا[٧٤]. وهو أيضًا شعور بالإثم مؤلم وغير مريح مرتبط بالخوف من جرح مشاعر الآخرين[٧٥].

وتعتبر هيلين بلوك لويس Helen Block Lewis من أكثر من اهتموا بمفهوم الشعور بالذنب ولها الفضل الأول في إيضاحه وإبرازه بوصفه مفهومًا مستقلًا عن المفاهيم النفسية الأخرى كالخزي، الذي يحكم فيه الشخص على نفسه، ففي الشعور بالذنب لا تعتبر الذات هدفًا أساسيًا للتقويم السلبي، حيث إن الفعل الذي ارتكبه الفرد هو مركز إثارة الشعور بالذنب، لذلك فإ ن التفسير الذاتي الذي يلحقه الفرد بالأحداث أو الأفعال التي ارتكبها هو مصدر الشعور بالذنب، وليس نظرة الفرد السلبية الدونية للذات في كل الجوانب، ونجد هذا في الشعور بالخزي والتي يدرك فيها الفرد بأنه شخص سيئ وأنه ارتكب فعلًا مُشينًا ولذلك فهو يلزم ذاته على الفعل الذي اقترفه أو يحكم على نفسه حكمًا ذاتيًا يؤدي إلى تغيير إدراكه لذاته، وبالتالي يشعر بأنه تافه وصغير وعديم الفائدة وعديم المقدرة[٧٦].

ويؤكد فونتينFontaine وزملاؤه، أن الشعور بالذنب من المشاعر السلبية التي يخبرها الفرد في حياته، ويرتبط هذا الشعور بشكل كبير بتقدير ذات منخفض، ويتضمن إحساسًا داخليًا بعدم الراحة والإهانة النفسية سواء أكان بسبب نظرة الفرد الدونية لذاته، أم بسبب بأنه سينكشف أمره وشعوره أن الآخرين ينظرون إليه نظرة سلبية[٧٧]. والشعور بالذنب guilt feeling هو ذلك الشعور الذي لا يكون ناجما أحيانًا عن اقتراف فعل يستوجب الشعور بالذنب حقيقة ويرى البعض أنه أمر فطري في الإنسان بسبب فطرية الغريزة العدوانية له، ومن الممكن أن يكون لدى الوسواس القهريين منه بالنسبة

---

[٧٤] دانيا الشبؤن، الشعور بالذنب وعلاقته بالشعور بالخزى عند المراهقين، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٧، ملحق ٢٠١١، ص٥٩، بدر محمد الأنصاري، بناء مقياس للذنب وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية، مركز النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٠. ص٩٥

[75] Anca M. Maron, Nyla R. Branscomb, Michael T. Schmitt (2006): Collective Guilt as Distress over illegitimate intergroup inequality, Journal of Group processes& intergroup Relations,Vol99, SerialNo.2, pp 163 -180.

[٧٦] ينظر سيغموند فرويد، المرجع السابق، ص٨٨

[٧٧] ينظر المرجع السابق، ص٨٨



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

للهستيري[٧٨]، في الواقع، وفقًا لفرويد، تعمل مشاعر الذنب كعامل مثبط للشخصية. فهي لا تمنع فقط التعديات على المعايير الأخلاقية للفرد، ولكن أيضًا العديد من الجوانب الأخرى في حياته، بما في ذلك الجوانب الأكثر إنتاجية وإبداعًا. يخلق الشعور بالذنب "التخويف" في الشخص، مع تأثيرات أكثر خطورة على الأطفال، لأنه يتعارض مع فضولهم الطبيعي واهتمامهم البحثي. علاوة على ذلك، فإن الشعور بالذنب يخلق الحاجة إلى العقاب، والذي يميل إلى التحول إلى عقاب ذاتي ويمكن أن يؤدي بالفشل في العديد من الأنشطة اليومية - بما في ذلك الأنشطة المهنية - وفي بعض الظروف القصوى، إلى الانتحار نفسه. بالإضافة إلى ذلك، طالما أنها تشكل عاطفة غير سارة، فسيقوم الشخص بتنشيط العديد من آليات الدفاع ضدها (القمع، الإسقاط، تكوين رد الفعل، إلخ)، وبهذه الطريقة، تظهر مشاعر الذنب في العديد من الأشكال المختلفة، والتي غالبًا ما يصعب التعرف عليها: يمكن العثور عليها في ظل السلوك الأخلاقي الأكثر مرونة أو في السلوك الصارم للعصاب المهووس. يمكن أن تكون نتيجة وكذلك سبب السلوك الإجرامي، ويمكن العثور عليها في كل من متلازمات جنون العظمة وفي المتلازمات الهستيرية ... مشاعر الذنب موجودة في معظم الأمراض النفسية، وتتصرف إلى حد أكبر أو أقل عليها جميعًا، مع الأخذ في الاعتبار الآثار السلبية للشعور بالذنب على الفرد، يفرض فرويد الحاجة إلى مواجهة ديناميكيته المزعجة. من الضروري القضاء على الآثار السلبية للشعور بالذنب، والذي يكون غالبًا فاقدًا للوعي، وأحيانًا أخرى مفرطًا ومزعجًا بنفس القدر، حتى لو كان واعيًا. مع وضع هذا الهدف في الاعتبار، من الضروري مساعدة الشخص على التعرف على الصراع الأساسي والتوصل إلى تفاهم واعي معه في كلتا الحالتين (إزاحة الشعور بالذنب من شيء أو موقف كان الأصل مرتبطًا بآخر، وهو الأنا العليا الصارمة للغاية). ومن الضروري كذلك ـ وإن كان أيضًا أكثر صعوبة ـ محاولة استبدال مشاعر الذنب هذه، من خلال إعادة التأهيل العاطفي، بـ"حكم إدانة واعي" ، يُشار دائمًا إلى الخطأ الحقيقي ويتناسب معه.

يشير فرويد أيضًا إلى الحاجة إلى إجراء عمل وقائي. قد يتألف هذا من توجيه تربية الأطفال بشكل مناسب، والتخلي عن الإجراءات التعليمية القسرية للغاية واستبدالها بأساليب أخرى: الأساليب التي، دون ترك مسار مفتوح للإشباع العشوائي لدوافع الطفل، لن تسمح بتعزيز الأنا الفائقة و مشاعر الذنب. أشار العديد من المحللين النفسيين الآخرين إلى الآثار السلبية للشعور بالذنب. يصر فروم Fromm بشكل خاص على قوة الذنب «الاستبدادي» لحمل الشخص على الانصياع لأوامر القوة المتنوعة (الداخلية إلى حد ما). ويتم الخلط بين الذنب "الاستبدادي" والخوف من القوة - الخارجي أو الداخلي في

[٧٨] حسين عبد القادر، معجم علم النفس والتحليل النفسي، ص٢٠٥.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الوعي (كما نرى، يظهر هذا الشعور بالذنب أوجه تشابه قوية مع الشعور بالذنب الفرويدي). يكون الشخص الذي يشعر بهذا النوع من الذنب عرضة بشكل خاص للانصياع لمطالب القوة الواعية أو اللاواعية، من أجل الحصول على موافقتها وتهدئة مشاعر الذنب هذه. هو كائن تابع ويمكن التلاعب به بسهولة. هذه النظرة إلى الشعور بالذنب، مثلها مثل العديد من أفكار التحليل النفسي الأخرى، كان لها تأثير قوي على ثقافتنا، من خلال المقالات المكتوبة في سياق الفكر الفرويدي اليساري والماركسية الحرة، هذا المنظور حول مشاعر الذنب بحث بعمق في التفكير التقدمي الغربي، فمنذ الستينيات وما بعدها، بدا الشعور بالذنب على أنه عاطفة تتفق بوضوح مع النظام الاجتماعي، الذي لم يكن له أي وظيفة أخرى سوى إزعاج الفرد وعرقلة حريته. من المحتمل أن هذه النظرة إلى الذنب كان لها أيضًا تأثير كبير على "إغراء البراءة" القوي الذي يميز ثقافتنا في الوقت الحاضر، "مرض الفردية الذي يتمثل في الهروب من عواقب أفعال الفرد" الذي حلله "بروكنر" بدقة.. كرس التحليل النفسي اهتمامًا كبيرًا لمشاعر الذنب، لأنه ينسب إليها دورًا أساسيًا في تفسيراته للحياة النفسية الطبيعية والمرضية، وكذلك في الأداء الأخلاقي للفرد وفي الديناميكية الاجتماعية. إلى جانب أعمال فرويد، وهذه الدراسات التي تم تطوير معظمها ترى التطور الأخلاقي على أنه استيعاب، والتركيز على تأثير متغيرات التنشئة الاجتماعية المتنوعة - خاصة التخصصات الأبوية - على الشعور بالذنب وتأثيرات تلك المشاعر[٧٩].

ومن خلال دراستنا للشخصيات سنجد أن الشخصية المحورية نادية التي تعاني من بعض الأمراض النفسية التي لم تظهر عليها، ولكنها تظهر للناس الوجه البريء الذي لم يخطأ أبدا وهي شخصية الشر متجسد في داخلها، وعلى الصعيد الآخر سنجد الضحية صافي زوجة أبيها وهي ضحية لمؤامرة من نادية، وبالرغم من تعرضها لهذه الصدمة إلا أنها حملت كبريائها، ولم ترضى بقبول زواج عمها وهو أخ الزوج، بل احتفظت بذاتها وكبريائها، إلى أن تم خطبتها من مصطفى، الذي كان حبيب نادية ونجد أن القدر يلعب لعبته من حرمان نادية من حبيبها وحبيبها السابق الذي يقنعها بفلسفته وبفارق السن أنهما لا يمكن أن يكونا لبعض، أما صافية بالرغم من ذلك تخلى عن أفكاره أمامها، أمام الشخصية القوية لديها، فهي الشخصية القوية النشطة التي تضج فيها الحياة وتسيطر على كل من حولها، ونجد الشخصية الضعيفة التي لا تستطيع أن تخوض مناقشة مثلها فهي تفقد القدرة على الحوار في تجمع سواء عائلي، وبالرغم من دلال أبيها لها، إلا أنها كانت تعيش في كبت من عدم وجود اهتمام الأم، مما جعلها تتجه لغريزة التدمير لديها، ونجد

79 Itziar Etxebarria, Guilt: an emotion under suspicion, University of the Basque Country, Psicothema ISSN 0214 - 9915 CODEN PSOTEG, 2000. Vol. 12, Supl., pp. 101-102.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذا لعدم ثقتها بنفسها، على عكس صافية التي نراها كلها ثقة بالنفس، فالثقة بالنفس ينتج عنها ضبط النفس، وإن اختلت الثقة بالنفس لدى الشخصية فنجدها تفقد السيطرة وضبط نفسها، وتبدأ في الاتجاه العدواني الذي يلحق بالشخصية ذاتها، ومع من حولها، وكان تشكيل شخصية نادية ناتجا من الأب فهو المدلل، أعطاها صلاحيات أكبر من عمرها، كالتحكم في مصير الخدم، والتدخل في حياته ومحاسبته في بعض الأمور حينما يتأخر، أو يتشاجر معي عمها، فكانت شخصية سادية تحب أن تتسلط على الأشخاص، وتتحكم في قلوبهم وتدمرها، كانت تريد أن تكون هي المحورية في كل شيء، وظنًا منها بوجود صافية أنها مهمشة أصبحت نوازع الشر لديها تكبر وتكبر لتحاول أن تحطمها كما اعتادت على التدمير والتحطيم، وأصبح أبيها ضحيتها،" **وكان يؤدي الحساب أمامي كأني زوجته أو أمه**"[٨٠] **"وإن أبي يهون عليه أي شيء إلا أن أغضب أو يسمح لأحد بإغضابي"** [٨١]

وكوثر الضحية في بداية الأمر ثم اتجهت اتجاها أكثر من ذلك لتكون شخصية خائنة لا تعرف عن المبادئ والحياة شيء، بل حاولت أن تخون وتعيش حياتها، ورأت هذا لأن الحياة أتت عليها من كل ما تحمله من معاناة، لتسترد شيئًا من حياتها وهو متعتها على حساب الآخرين، حساب الزوج أحمد المخدوع بها، ومحاولة منها لنادية أن تزوجها حبيبها سمير والأب الذي كله وقار وجدية، ومع أول صدمة له كان على عكس صافية، فقد أبقت صافية متزنة إلى الحد الذي نراها متزنة، أما الأب فكان عكس ذلك، أصبح يلهو وتغيرت حياته ويسكر، وانقلبت حياته رأسًا على عقب، حتى وجدت له ابنته زوجة أخرى، بدأت حياته تستقيم مع هذه السعادة، وعمها المدلل فكانت شخصيته تختلف اختلافا جذري عن شخصية الأب، كان فنان يهوي الرسم بالزيت، بوهيميا في حياته، يسخر من كل شيء حوله، وكثير الكلام والضحك لا يتحمل المسئولية ولا يحمل هما، ولا يعبأ بشيء، فكانت التناقضات في هذه الرواية من تجاه الأب الوقور، والعم المختلف الاختلاف الكلي عن لطفي أخيه ومصطفى مثل شخصية عمها البوهيمية الذي لا يريد الارتباط، ولكنه يلهو، فالأمر لم نستطع ان نقول بينه وبين نادية حبًا، ولكنه نوع آخر من الحنين للجنس الآخر، فرغبتها فيه، جعلت له رغبة لها، لأن في الأصل شخص غير مسئول إلا بلهوه وسهراته، وإن كان محبًا لها لم يكن يتركها، بل كان سيبقى معها وينتشلها من حياة الضياع بنفسها وحقدها وتدميرها لنفسها وللآخرين. فكانت نادية الوجه الشيطاني المتخفي الذي لا يعلم أحد منه شيئًا إلا هي، ومع ذلك كانت الوجه الملائكي البريء أمام الجميع، وصافية الشخصية الملائكية التي دفعت ثمن طيبتها.

---

[٨٠] إحسان عبد القدوس، رواية لا أنام، ص٤٥

[٨١] المصدر السابق، ص٤٤.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الراوية في ظل هذه الصراعات النفسية التي تعانيها، فلم تقتصر على ظاهرة واحدة لديها، وهي حبها الشديد لأبيها المتمثل في (عقدة اليكترا)، فيوجد أيضًا أذية الغير الممتلئة بالغيرة والحقد وعدم ثقتها في ذاتها، والتعنيف النفسي وجلد الذات الناتج من عقاب النفس والمشجع لها لإكمال أذيتها دون رضخ.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المصادر والمراجع:**

**مصادر الدراسة:**

- إحسان عبد القدوس: رواية لا أنام،

**مراجع الدراسة:**


- عدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة، والأنوثة من فرويد إلى لاكان، بإشراف المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية.
- د. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي ( في القصة القصيرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٢.
- دانيا الشبؤن، الشعور بالذنب وعلاقته بالشعور بالخزى عند المراهقين، مجلة جامعة دمشق، المجلد٢٧، ملحق ٢٠١١، ص٥٩، بدر محمد الأنصاري، بناء مقياس للذنب وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية، مركز النشر العلمي، جامعة الكويت، ٢٠٠٠.
- سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ" الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- سيغموند فرويد، الأنا والهو، ترجمة وإشراف الدكتور/ محمد عثمان نجاتي، مكتبة التحليل النفسي والعلاج النفسي، دار الشروق، ط٤، ١٩٨٢.
- سيغموند فرويد، محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، ترجمة: عزت راجح، مراجعة: محمد فتحي مكتبة مصر.
- شريف الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية.
- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٠.

- **<u>المراجع الأجنبية:</u>**

- Anca M. Maron, Nyla R. Branscomb, Michael T. Schmitt (2006): Collective Guilt as Distress over illegitimate intergroup inequality, Journal of Group processes & intergroup Relations.
- Donald L. Carved, Ph.D. The Unconscious Need for Punishment Expression or Evasion of the Sense of Guilt http://www.yorku.ca/dcarveth/guilt.html
- Electra After Freud: Myth and Culture By Jill Scott.
- Itziar Etxebarria, Guilt: an emotion under suspicion, University of the Basque Country, Psicothema ISSN 0214 - 9915 CODEN PSOTEG, 2000.




ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- **Translation of sources and references into English:**
- **Sources:**
- Ihsan Abdel Quddous: 1- The novel
- **References:**


- Adnan Hoballah, Psychoanalysis of Masculinity and Femininity from Freud to Lacan, under the supervision of the Arab Center for Psychological and Analytical Research.
- Dr. Shaker Abdel Hamid, The Psychological Foundations of Literary Creativity (in the Short Story), Egyptian General Book Authority, 1992.
- Dania Al-Shaboun, The feeling of guilt and its relationship to the feeling of shame among adolescents, Damascus University Journal, Volume 27, Supplement 2011, p. 59, Badr Muhammad Al-Ansari, Building a scale of guilt and its relationship to some personality variables, Scientific Publishing Center, Kuwait University, 2000.
- Siza Ahmed Qassem, Building the Novel, "A Comparative Study of Naguib Mahfouz's Trilogy," Egyptian General Book Authority, 1984.
- Sigmund Freud, The Ego and the Id, translated and supervised by Dr. Muhammad Othman Najati, Library of Psychoanalysis and Psychotherapy, Dar Al-Shorouk, 4th edition, 1982.
- Sigmund Freud, New Introductory Lectures on Psychoanalysis, translated by: Ezzat Rajeh, reviewed by: Muhammad Fathi, Misr Library.
- Sherif Al-Jayar, Ihsan's psychological novels and their foreign sources.
- Abdullah Ibrahim, The Narrative Imaginary, Critical Approaches to Intertextuality, Visions, and Meaning, Arab Cultural Center, 1st edition, 1990.


- **Foreign references**:


- Anca M. Maron, Nyla R. Branscomb, Michael T. Schmitt (2006): Collective Guilt as Distress over illegitimate intergroup inequality, Journal of Group processes & intergroup Relations.
- Donald L. Carved, Ph.D. The Unconscious Need for




ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Punishment Expression or Evasion of the Sense of Guilt http://www.yorku.ca/dcarveth/guilt.html
- Electra After Freud: Myth and Culture By Jill Scott.
- Itziar Etxebarria, Guilt: an emotion under suspicion, University of the Basque Country, Psicothema ISSN 0214 - 9915 CODEN PSOTEG, 2000.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

# مفهوم الاستعمال في المعجمية العربية التراثية

# (النشأة والظهور)

**The concept of usage in the traditional Arabic dictionary**
**(origin and appearance)**


## إعداد

**حسام شعبان عبدالشافي**
**Dr. Hossam Shaaban Abdel Shafi**

**باحث دكتوراه**



***Doi: 10.21608/mdad.2023.322131***

**استلام البحث** ٤ / ٩ / ٢٠٢٣

**قبول النشر** ٢٠ /٩/ ٢٠٢٣

عبد الشافي، حسام شعبان (٢٠٢٣) . مفهوم الاستعمال في المعجمية العربية التراثية (النشأة والظهور). ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ١٣١-١٧٠.

***http://mdad.journals.ekb.eg***

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

## مفهوم الاستعمال في المعجمية العربية التراثية
## (النشأة والظهور)

**المستخلص:**
سأتناول في هذا البحث النشأة والظهور لمفهوم الاستعمال في المعجمية العربية التراثية من خلال مراحل تتبع ظهوره ونشأته:
- المرحلة الأولى: مسائل لغوية متفرقة خاصة بألفاظ القرآن الكريم.
- المرحلة الثانية: كتب الغريب للقرآن الكريم والحديث الشريف.
- المرحلة الثالثة ظهور الاستعمال في كتب النوادر.
- المرحلة الرابعة: ظهور الاستعمال في الرسائل اللغوية الموضوعية.
**الكلمات المفتاحية:** المعاجم - كتب الغريب – كتب النوادر- الأحاديث النبوية- الاستعمال.

**Abstract:**
In this research, I will discuss the emergence and appearance of the concept of usage in the traditional Arabic dictionary through the stages of tracing its appearance and development:
- The first stage: various linguistic issues related to the words of the Holy Qur'an.
- The second stage: Strange books of the Holy Qur'an and the Noble Hadith.
- The third stage: the emergence of usage in anecdote books.
- The fourth stage: the emergence of usage in substantive linguistic messages.
**Keywords:** Dictionaries - strange books - anecdotal books - Prophetic hadiths - usage.

**المقدمــة:**
يتناول هذا البحث النشأة والظهور لمفهوم الاستعمال في المعجمية العربية التراثية من خلال مراحل تتبع ظهوره ونشأته:

**المرحلة الأولى: مسائل لغوية متفرقة خاصة بألفاظ القرآن الكريم:**
التي من أقدم مظاهرها «سؤالات نافع من الأزرق» لابن عباس رضي الله عنه.

**المرحلة الثانية: كتب الغريب للقرآن الكريم والحديث الشريف:**
أ. **كتب غريب القرآن:** كانت هذه المرحلة تَحمِلُ اسمَ غَريبِ القُرآنِ، ولعلَّ أقْدَمَ مَنْ ألَّف


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في ذلك أبانُ بنُ تَغْلِبَ (١٤١ هـ) في كِتابِه غَريبِ القُرآنِ، ثمَّ جاء بعدَه الإمامُ مالِكُ بنُ أَنَسٍ (١٧٩ هـ)، إمامُ دارِ الهِجرةِ، فألَّف كِتابَ تَفْسيرِ غَريبِ القُرآنِ، وجاء بعدَه أبو فَيدٍ مُؤرِّجٌ السَّدوسيُّ في كِتابِ غَريبِ القُرآنِ (المتوفى ١٩٥هـ)، ثمَّ يَحيى بنُ المُبارَكِ اليَزيديُّ (٢٠٢ هـ)، ثمَّ النَّضْرُ بنُ شُمَيلٍ (٢٠٣ هـ).

ب. **غَريبِ الحَديثِ:** فقد صُنِّفتْ فيه مُصنَّفاتٌ كَثيرةٌ؛ منها غَريبُ الحَديثِ للنَّضْرِ بنِ شُمَيلٍ (٢٠٣ هـ)، وقُطْرُبٍ (ت: ٢٠٦ هـ)، والفَرَّاءِ (ت: ٢٠٧ هـ)، وأبي عُبَيدةَ مَعْمَرِ بنِ المُثنَّى (ت: ٢٠٩ هـ)، وأبي عُبيدٍ القَاسِمِ بنِ سَلَّامٍ (ت: ٢٢٤ هـ)، وغيرُهم الكَثيرُ.

**المرحلة الثالثة ظهور الاستعمال في كتب النوادر:**

ولعل كتاب «النوادر في اللغة» لأبي زيد الأنصاري (المتوفى سنة ٢٢٥هـ) خير ما يمثل هذه المرحلة. إذ يورد المؤلف فيه نصوصا شعرية ونثرية مليئة بالمفردات العربية النادرة فيشرحها ويعلق عليها من غير ترتيب في إيراد النصوص أو ربط بين معاني الألفاظ، وقد يعمد المؤلف إلى ذكر ما كان لدى بعض قبائل العرب من لغات خاصة في الكلام أو من لهجاتهم[(١)].

**المرحلة الرابعة: ظهور الاستعمال في الرسائل اللغوية الموضوعية من خلال جمع الألفاظ بحسَبِ الموضوعاتِ في الرسائل اللغوية الصغيرة المفردة ذات الموضوع الواحد:**

وفي هذه المَرحَلةِ يُعيدُ العالِمُ تَرْتيبَ ما سمِعه مِن أهْلِ الباديةِ؛ فمَثلًا: كلُّ الكَلِماتِ الَّتي سمِعها عنِ السَّيفِ يَجعَلُها كلَّها تحت بابٍ واحِدٍ؛ كما فعَل أبو زيدٍ الأنْصاريُّ في كِتابِ الخَيلِ الَّذي جمَع فيه كلَّ أسْماءِ الخَيلِ وأوصافِها، وكذلك كِتابُ المَطَرِ، وجمَع النَّضْرُ بنُ شُمَيلٍ كِتابَ خَلْقِ الإنْسانِ

وكانت هذه الرَّسائِلُ الصَّغيرةُ حَجَرَ الأساسِ الَّذي قامت عليه مَعاجِمُ الاستعمال أو الموضوعات، فكانت هي رَكيزَتَها الأساسيَّةَ، وأُولى مَصادِرِها الَّتي اسْتَقَى منها واضعي المعاجم في شكلها المعهود وحذو حذوها في جمع الألفاظ الخاصة بموضوع معين مستعينين بما خلّفه السابقون من الرواة وظهرت رسائل لغوية صغيرة سميت بالمعاجم الخاصة، وصلنا بعضها بشكل مخطوط، وفقد الكثير فيما فقد من كتب التراث.

ومما ألف في هذه المرحلة كتب الأصمعي (٢١٦هـ) في الدارات، والسلاح،

---

(١) يُنظر: المُعجَم العَربيُّ: نشأته وتطوره، لحسين نصار، د. ط (٢٦/١)، من قضايا المُعجَم العَربيُّ، للموافي البيلي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ٩٩٥م (ص:١٤)، مباحث في تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ) إشراف: محمّد عوض مرعب علّق عليها: عمر سلامي / عبد الكريم حامد تقديم: الأستاذة فاطمة محمّد أصلان الناشر: دار احياء التراث العربي / بيروت لبنان (١/ ١١).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والإبل، والخيل، والنبات، والشجر، والنخل والكرم.

وكتب ابن دريد (٣٢١هـ) في المطر واللبن والغرائز. وكتب أبي حنيفة الدينوري (٢٨٢هـ) في الأنواء والنبات. وكتب ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في الرحل أو المنزل.

وكل هذه الرسائل كانت المادة الأساسية لمعاجم الألفاظ الكبرى التي ظهرت بعدها[٢].

**بواكير ظهور مفهوم الاستعمال في المعاجم العربية التراثية ونشأته:**

ولفهم هذه البواكير سوف نتابع ظهور هذا المفهوم من أقدم نقطة تاريخية:

**المرحلة الأولى: مسائل لغوية متفرقة خاصة بألفاظ القرآن الكريم:**

**سؤالات نافع بن الأزرق:**

بدأتِ الدِّراساتُ اللُّغويَّةُ كلُّها -ومنها صِناعةُ المَعاجِمِ- أوَّلَ أمرِها في أحْضانِ القُرآنِ الكَريمِ؛ فقد نزَل القُرآنُ بلِسانٍ عَربيٍّ بأبْلَغِ البَيانِ وأجْمَعِ الكَلِمِ؛ فقد ذكَر اللهُ تعالى في القُرآنِ الكَريمِ في بِضعَةَ عشَرَ مَوضِعًا أنَّه نزَل بلِسانٍ عَربيٍّ مُبينٍ، ولم يَكُنِ النَّاسُ في فَهْمِ القُرآنِ على دَرَجةٍ واحِدةٍ، فكَثيرٌ مَنْ كان يَخْفى عليه فَهْمُ بعضِه، وخاصَّةً تلك المَعانيَ والكَلِماتِ الَّتي لا عَهْدَ لهم بها، والَّتي نقلت إلى الاستعمال في اللُّغةَ بعد ظُهورِ الإسْلامِ بمعنى محدد أو خصصها الشارع لاستعمال محدد مقصود فلازم استعمالها أو تطور استعمالها، فكان عُمْدتُهم في تَفْسيرِ ذلك رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فكانوا يَرجِعون إليه إذا خَفِي عليهم شيءٌ مِن ألفاظ القُرآنِ أو مِن مَعانيه؛ كما فسَّر لهم القوَّةَ في قولِه تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ [الأنفال: ٨] في الاستعمال المخصص لها وفق السياق القرآني لها وقصود الشارع سبحانه وتعالى لها بأنَّ القوَّةَ هي الرَّمْيُ[٣]، وغيرَ ذلك ممَّا كان يَرجِعُ فيه الصَّحابةُ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

ولمَّا انْتَقلَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى الرَّفيقِ الأعْلى تَحمَّلَ هذه الأمانةَ فُقَهاءُ الصَّحابةِ رضِي اللهُ عنهم، مِثْلُ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ الَّذي أُوتِي مِنَ العِلمِ حظًّا وَفيرًا، وحَبَاه اللهُ مَلَكةَ التَّفْسيرِ والتَّأويلِ اسْتِجابةً لدَعوةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في قوله له: «اللَّهُمَّ فقِّهْه في الدِّينِ، وعلِّمْه التأويلَ»[٤]، فكان يُفسِّرُ للنَّاسِ ما أَشْكَلَ عليهم مِن ألفاظ

(٢) مباحث في تهذيب اللغة، للهروي (ص: ١٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد (٣٠٣٢)، وابن حبان (٧٠٥٥)، والحاكم (٦٢٨٠). صححه ابن حبان، وابن عبد البر في (الاستيعاب) (٦٧/٣)، والألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) (٢٥٨٩)،



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

القُرآنِ ومَعانيه، واشتَهر بَيْنَ النَّاسِ بالتَّفْسير وذلك لغزارة علمه في التفريق بين أصل الوضع والاستعمالِ، ومِن ذلك سُؤالاتُ نافعِ بنِ الأزْرَقِ الَّتي أورَدها السُّيوطيُّ في كِتابِه (الإتْقانُ في عُلومِ القُرآنِ)، فكان نافِعٌ يَسألُه عنِ الكَلِمةِ مِنَ القُرآنِ، وابنُ عبَّاسٍ رضِي اللهُ عنه يُجيبُه عنها، فيَطلُبُ منه نافِعٌ أنْ يَستَشهِدَ على كَلامِه بشيءٍ مِن كَلامِ العَربِ، فكان يَأتيه الجَوابُ على الفَورِ مِنِ ابنِ عبَّاسٍ، وذلك لعلمه الواسع بأصل وضع العرب للألفاظ واستعمال العرب لها؛ فقد ذهَب نافِعُ بنُ الأزْرَقِ ونَجدَةُ بنُ عُويمِرٍ إلى ابنِ عبَّاسٍ وقالا:

(إنَّا نُريدُ أن نَسألَك عن أشْياءَ مِن كِتابِ اللهِ فتُفسِّرَها لنا، وتَأتيَنا بمُصادَقةٍ مِن كَلامِ العَربِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى إنَّما أنْزَل القُرآنَ بلِسانٍ عَربيٍّ مُبينٍ، فقال ابنُ عبَّاسٍ: سَلاني عمَّا بدا لكما، فقال نافِعٌ: أخْبِرني عن قولِ اللهِ تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} [المعارج: ٣٧]، قال العِزون: حِلَقُ الرِّفاقِ، قال: وهل تَعرِفُ العَربُ ذلك؟ قال: نَعمْ، أمَا سَمِعتَ عُبيدَ بنَ الأبْرَصِ، وهو يقولُ:

فجاؤوا يُهرَعون إليه حتَّى يَكونوا حولَ مِنبَرِه عِزينَا)[٥].

وكان ابنُ عبَّاسٍ يقولُ: (إذا سَألْتُموني عن غَريبِ اللُّغةِ فالْتَمِسوه في الشِّعرِ؛ فإنَّ الشِّعرَ دِيوانُ العَربِ)[٦].

مما يؤكد الدليل على استعمال العرب للفظ المخصوص للمعنى المخصوص والذي يعد الخروج عنه لحنا أو خطأ في فهم مقصود العرب له.

وتُعدُّ هذه المُحاوَرةُ مُقدِّمةً طَبيعيَّةً لنَشْأةِ عُلومِ التَّفْسيرِ، وأقْدَمَ مُحاوَلةٍ للمُعجَمِ العَربيِّ الاستعمالي؛ وذلك بسَببِ المَنهَجِ الَّذي اتَّبَعه، وهو تَوضيحُ مَعْنى الكَلِمةِ، وفق استعمال العرب لها مخالفا لأصل الوضع لها عندهم والاسْتِشهادُ عليها بالشعر الذي هو كلام العرب ولسانهم[٧].

ولمَّا كان حَديثُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُتضمِّنًا جَوامِعَ الكَلِمِ كان يَحتاجُ إلى قُدراتٍ عَقْليَّةٍ عِلميَّةٍ واسِعةِ المَدارِكِ حتَّى تَقفَ على خَفِيِّ ألفاظه، وتُدرِكَ مَكنونَ مَعانيه؛

---

والوادعي في (صحيح دلائل النبوة) (٢٤٥). وأصل الحديث في صحيح البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) دون قوله: "وعلمه التأويل".

(٥) مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس. تحقيق: د. محمد أحمد الدالي. دار النشر: الجفان والجابي. سنة الطبع: الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م). ص٥٣. (الإتقان في عُلوم القُرآن) للسيوطي (٢/ ٦٨).

(٦) البرهان في عُلوم القُرآن، للزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (٢٩٢/١).

(٧) يُنظر: من قضايا المُعجَم العَربيُّ، للموافي البيلي (ص:١٦).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ولذلك كانت هِمَّةُ العُلَماءِ وعِنايتُهم مُتَّجِهةً إلى تَفْسيرِ مُشكِلِ القُرآنِ والسُّنَّةِ[٨].

**المرحلة الثانية: كتب الغريب للقرآن الكريم والحديث الشريف:**

هذه المرحلة تجمع بين صنفين من التأليف المعجمية المبكرة:

**الصنف الأول: رسائل تدور حول غريب القرآن:**

١. كتاب: (الغريب في القرآن) لمؤلفه: أبان ابن تغلب بن رباح الجريري، أبو سعيد البكري، المتوفى سنة ١٤١هـ

فقد ذكر ياقوت الحموي هذا الكتاب منسوبا إلى أبان أثناء ترجمته له، حيث قال عنه: وكان قارئا فقيها لغويا نبيها، وسمع العرب وحكى عنهم، وصنف كتاب الغريب في القرآن، وذكر شواهده من الشعر.

٢. غريب القرآن: لمحمد بن السائب الكلبي - ت ١٤٦هـ.

٣. غريب القرآن: لمؤرج بن عمرو السدوسي البصري - ت ١٧٤هـ.

٤. معانى القرآن: لعلى بن حمزة الكسائي - ت ١٨٢هـ.

٥. غريب القرآن - للنضر بن شميل - ت ٢٠٣هـ[٩].

٦. مجاز القرآن - لقطرب: محمد بن المستنير - ث ٢٠٦هـ.

٧. غريب القرآن - للفراء: يحيى بن زياد - ن ٢٠٧هـ

٨. إعجاز القرآن - لأبي عبيدة: معمر بن المثنى - ت ٢١٠ هـ.

٩. معاني القرآن - للأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة – ن ٢١٦هـ

١٠. غريب القرآن - لأبي عبيد القاسم بن سلام - ت ٢٢٤ه

١١. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري: ٢١٣ - ٢٧٦ هـ)

---

(٨) يُنظر: المُعجَم العَربيُّ: نشأته وتطوره، لحسين نصار (٢٦/١)، من قضايا المُعجَم العَربيُّ، للموافي البيلي (ص:١٤)، مباحث في تهذيب اللغة، للهروي (١/ ١١).

(٩) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا، دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص ٢٨، وينظر: معجم الأدباء: ١/ ١٠٧، ١٠٨ - نشر دار المأمون.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وغيرهم كثير ممن ألفوا في غريب القرآن(١٠).

ونلحظ هنا أن عناوين هذه الكتب قد تراوحت ما بين: ١ غريب القرآن ومعاني القرآن، ومجاز القرآن

وهذه الكتب - على اختلاف عناوينها – تدور في فلك واحد، ألا وهو تفسير غريب القرآن الكريم(١١).

**- ونعرض لنموذج من هذه المؤلفات التي تناولت مفهوم الاستعمال:**

**تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري: ٢١٣ - ٢٧٦ هـ المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.**

**وهذا بيان لعرضه لمفهوم الاستعمال وتناوله لمعاني الألفاظ في أصل وضع العرب لها:**

**- أرسى مبدأ لبناء مفهوم الاستعمال بعدم اختراع معاني تخالف استعمال العرب لتلك الألفاظ الموضوعة لتلك المعاني المعهودة في لسان العرب الفصحاء:**

كتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين. لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلَّفنا في شيء منه بآرائنا غيرَ معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أَوْلَى الأقاويلِ في اللغة، وأشْبَهَهَا بقصةِ الآية(١٢).

**- عرض في باب اشْتِقَاقُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِه، وَإِظْهَار معانيها(أي استعمال العرب لمعاني تلك الألفاظ استعمالا مخصوصا مخالفا للوضع):**

- ومن صفاته: "السَّلامُ". قال: {السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} (١٣).

---

(١٠) ينظرتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري: ٢١٣ - ٢٧٦ هـ المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ص٤ وينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ام الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص٢٩، وينظر: كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون - الحاجي خليفة ٢ / ١٢٠٧، ١٢٠٨، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١ / ١١٣.

(١١) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ام الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص٢٩.

(١٢). أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص٤.

(١٣) سورة الحشر ٢٣.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ومنه سُميَ الرجلُ: عبدَ السلام؛ كما يقال: عبدُ الله.

ويرى أهل النظر - من أصحاب اللغة -: أن "السلام" بمعنى السلامة؛ كما يقال: الرَّضاعُ والرَّضاعة، واللَّذاذُ واللَّذاذة [١٤].

قال الشاعر:

تُحَيِّى بِالسَّلامَةِ أُمُّ بَكْرٍ.. فَهَلْ لَكِ - بَعْدَ قَومِكِ - مِنْ سَلامِ؟

فسَمى نفسه - جل ثناؤه - "سلامًا": لسلامته ممَّا يَلحق الخلقَ: من العيب والنقص، والفناء والموت.

قال الله جل وعز: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ}[١٥] ؛ فالسلام: الله؛ ودارُه: الجنة. يجوز أن يكون سماها "سلاما": لأن الصائر إليها يَسلَمُ فيها من[١٦].

كل ما يكون في الدنيا: من مرض ووَصَبٍ، وموت وهَرَم؛ وأشباهِ ذلك. فهي دارُ السلام. ومِثْله: {لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [١٧].

ومنه يقال: السلامُ عليكم. يراد: اسمُ السلام عليكم. كما يقال: اسمُ الله عليكم.

وقد بيَّن ذلك لَبِيدٌ، فقال:

إِلَى الحَوْلِ، ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُمَا.. وَمَنْ يَبْكِ حَوْلا كَامِلا فَقَدِ اعْتَذَرْ [١٨].

ويجوز أن يكون [معنى] "السلامُ عليكم": السلامةَ لكم. وإلى هذا المعنى، يَذهب مَن قال: "سلامُ الله عليكم، وأَقرِئُ فلانًا سلامَ الله"[١٩].

وقال: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} [٢٠]؛ يريد: فسلامةٌ لك منهم؛ أي: يُخبِرُك عنهم بسلامة. وهو معنى قول المفسرين.

ويُسمَّى الصوابُ من القول "سلاما": لأنه سَلِم من العيب والإثم. قال: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

---

(١٤) في اللسان ١٨١/١٥ "قال ابن قتيبة: يجوز أن يكون السلام والسلامة: لغتين كاللذاذ واللذاذة، وأنشد - البيت - قال: ويجوز أن يكون السلام جمع سلامة".

(١٥) سورة يونس ٢٥.

(١٦). أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص٦.

(١٧) سورة الأنعام ١٢٧.

(١٨) خزانة الأدب ٢١٧/٢، ومجمع البيان ٢٠/١، ومجاز القرآن ١٦، وتفسير القرطبي ٩٨/١.

(١٩) نقله أبو جعفر الطبري في تفسيره بنصه ٤٠/١٥ - ٤١.

(٢٠) سورة الواقعة ٩٠ - ٩١.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا}[٢١]؛ أي: سَدادًا من القول.[٢٢].

- ومن صفاته: "سُبُّوحٌ".

وهو حرف مبني على "فُعُّول"؛ من "سبَّح اللهَ": إذا نزهه وبرَّأه من كل عيب.

ومنه قيل: سبحان اللهِ؛ أي: تنزيهًا لله، وتبرئةً له من ذلك.

ومنه قوله: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} [٢٣].

وقال الأعْشَى:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنَا فَخْرُهُ.. سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرِ[٢٤].

أراد: التبرُّؤَ من علقمةَ. وقد يكون تَعجبَ [بالتسبيح من فخره؛ كما يقول القائل إذا تعجب] من شيء: سبحان الله.

فكأنه قال: عجبًا من علقمةَ الفاخرِ. [٢٥].

**- الصنف الثاني: ظهور مفهوم الاستعمال في مؤلفات حول غريب الحديث الشريف:**

تأخر التأليف في غريب الحديث الشريف زمنا طويلا، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم كان يخاطب العرب - على اختلاف شعوبهم وقبائلهم - بما يفهمونه، ولذلك قال له الإمام على - رضى الله عنه حين سمعه يخاطب وفد بنى نهد: (يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا تفهم أكثره)

فقال له رسول الله: (أدبني ربى فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد) [٢٦].

ولذلك فقد كان أصحابه صلى الله عليه وسلم يعرفون ما يقول، لأنه يتحدث بما يستعملون من ألفاظ ذات دلالة عامة أو خاصة يعرفها القوم جارية على لسانهم مسعملة

---

(٢١) سورة الفرقان ٦٣، وينظر: مفردات الراغب ٢٢٩.

= (٢٢). أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص٧.

(٢٣) سورة الجمعة ١، وسورة التغابن ١.

(٢٤) اللسان ٢٩٩/٣، ومفردات الراغب ٢٢٠، وسيبويه ١٦٣/١، وخزانة الأدب ٨٩/١، ٤١/٢، ٢٤٧/٣، ٢٥١، وتفسير القرطبي ٢٧٦/١، وتفسير الطبري ٤٧٤/١، والصحاح ٣٧٢/١، والبيت في شأن علقمة بن علاثة الصحابي.

(٢٥) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨) السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، ص٨.

(٢٦) النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير – بتحقيق: طاهر الزاوي وآخر: ١ / ٤، نشر: دار إحياء الكتب العربية بمصر - ١٩٦٣م.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في كلامهم لا يشوبها اللحن أو خروجا على عرف اللغة عندهم بما تواضعوا على استعملهم إياها، ونادرا ما كان يغمض عليهم شيء من أقواله فيسألونه عنه واستمر الحال هكذا إلى وفاة النبي.

وجاء عصر الصحابة جاريا على هذا النمط، فكان اللسان العربي، عندهم صحيحا لا يتداخله الخلل إلى أن فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم فامتزجت الألسن وتداخلت اللغات، ونشأ بينهم الأولاد، فتعلموا من اللسان العربي ما لابد لهم في الخطاب وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه(٢٧).

وتمادت الأيام الى أن انقرض عصر الصحابة وجاء التابعون فسلكوا سبيلهم، ولكنهم قلوا في الإتقان عددا، فما انقضى زمانهم إلا واللسان العربي قد استحال أعجميا أو كاد، فلا ترى المستقل به والمحافظ عليه إلا الآحاد. فلما أعضل الداء اهتم العلماء بشرح غريب الحديث، فشرعوا فيه حراسة لهذا العلم الشريف. فقيل إن أول من جمع في هذا الفن شيئا: هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـ. (٢٨).

**وقد ذكر ابْن النديم من أَوَائِل المؤلفين الَّذين ألفوا حول غَرِيب الحَدِيث قبيل أَبى عبيد الْقَاسِم بن سَلام، وهم على قَول ابْن النديم:**

**١ ـ النَّضر بن شُمَيْل (م ٢٠٣ هـ).**

**٢ ـ قطرب (م ٢٠٦ هـ).**

**٣ ـ أَبُو عُبَيْدَة معمر بن الْمثنى (م ٢٠٩ هـ).**

**٤ ـ أَبُو زيد (م ٢١٥ هـ).**

**٥ ـ عبد الْملك بن قريب الاصمعي (م ٢١٦ هـ).**

**٦ ـ أَبُو عبيد الْقَاسِم بن سَلام (م ٢٢٤ هـ).**(٢٩).

**كتاب غريب الحديث لأبي عبيدة:**

وكان كتابه المسمى بغريب الحديث: (صغيرا ذا أوراق معدودات، ولم تكن قلته لجهله) أي أبى عبيدة (بغيره من غريب الحديث، وإنما كان ذلك لأمرين: أحدهما: أن كل مبتدئ بشيء لم يُسبق اليه، ومبتدع لأمر لم يتقدم فيه عليه، فإنه يكون قليلا ثم يكثر

---

(٢٧) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص٣٧.

(٢٨) النهاية في غريب الحديث: (١/٤، ٥)، بتصرف.

(٢٩) غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م، المقدمة، ص ٤.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وصغيرا ثم يكبر. والثاني: أن الناس كان فيهم يومئذ بقية، وعندهم معرفة، فلم يكن الجهل قد عم ولا الخطب قد طم

وقد أيد الخطيب البغدادي هذا الرأي القائل بأن أبا عبيدة هو أول من ألف في هذا المجال، حيث قال [٣٠]: وكتاب غريب الحديث: أول من أبو عبيدة معمر بن المثنى [٣١]، وقطرب [٣٢]، والأخفش [٣٣]، والنضر بن شميل[٣٤].

**- ونعرض لنموذج لظهور مفهوم الاستعمال في مؤلفات غريب الحديث الشريف ونشأته:**

**غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤ هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، (وهي الطبعة التي سنتناول منها مفهوم الاستعمال عنده)** [٣٥].

**وقد تناول مفهوم الاستعمال من عدة جوانب نعرض لها فيما يلي:**

- **الاستعمال بتخصيص دلالة اللفظ فلفظ (الانزواء) لا يكون إلَّا بانحراف مَعَ تقبض وإذا استعمل بخلاف ذلك يعد لحنا ومثاله:**

قال أبو عبيد [القاسم بن سلام -رحمه الله-] في حديث النبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: "زويت لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمَّتى ما زوى لي منها" (زوى) قَالَ أَبُو عبيد: سَمِعت أَبَا عُبَيْدَة معمر بْن الْمثنى التَّيْمِيّ - من تيم قُرَيْش مَوْلَى لَهُم - يَقُول: زُوِيَتْ جُمِعَتْ وَيُقَال: انْزَوَى القومُ بَعضهم إِلَى بعض إِذا تَدانَوا وتضاموا وانزوت الْجِلْدَة من النَّار إِذا انْقَبَضَتْ واجْتَمَعَتْ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَمِنْه الحَدِيث الآخر: إن

(٣٠) تاريخ بغداد: ١٢ / ٤٠٥ ط مطبعة السعادة ١٩٣١م.
(٣١) توفى سنة ٢١٠هـ.
(٣٢) هو: محمد بن المستنير ت ٢٠٦هـ واسم كتابه: غريب الآثار.
(٣٣) هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي ن ٣١٥ هـ - ينظر: طبقات النحويين واللغويين ص ٧٣،٧٤.
(٣٤) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الولاء للطبع والتوزيع، شبين الكوم، ص٣٨.
والنضر بن شميل توفى سنة ٢٠٤هـ.
(٣٥) وله طبعة أخرى، غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ت ٢٢٤ هـ المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الْمَسْجِد لَيَنْزَوِي من النُخامَة كَمَا تَنْزَوِي الْجلْدَة من النَّار إِذا انْقَبَضَتْ واجْتَمَعَتْ. قَالَ أَبُو عُبَيْد: وَلَا يكَاد يكون الانزواء إِلَّا بانحراف مَعَ تقبض. قَالَ الْأَعْشَى: [الطَّوِيل]

يَزُيد يغُض الطرفَ دوني كَأَنَّمَا.. زَوَى بَين عَيْنَيْهِ عَليّ المحَاجِمُ.

فَلَا يَنْبَسِطْ من بَين عَيْنَيْك مَا انْزَوَى.. وَلَا تلقني إِلَّا وأنفك راغم[٣٦].

**- الاستعمال قد يعني مخالفة العادة أو الدلالة العامة للكلمة وتخصيصها بدلالة مخالفة فدلالة أزلت عامة تعني محو الصنيع لكنها في لغة العرب الفصيحة تعني الصنيع نفسه بل وتزيد لتعطي معنى التفضل وإسداء الصنيع ومثاله:**

(زلل) وَقَالَ [أَبُو عُبَيْد -] فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام: / من أزلت إِلَيْهِ نعْمَة فليشكرها. قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: قَوْله أزلت إِلَيْهِ نعْمَة يَعْنِي أسديت إِلَيْهِ واصطنعت عِنْده يُقَال مِنْهُ: أزللت إِلَيّ فلَان نعْمَة فَأَنا أزلها إزلالا. وقَالَ أَبُو زَيْدُ الْأَنْصَارِيّ مثله وَأنْشد أَبُو عبيد لكثير: [الطَّوِيل]

وَإِنِّي وَإِن صدت لمثن وصادقٌ.. عَلَيْهَا بِمَا كَانَت إِلَيْنَا أزلتِ

قَالَ أَبُو عُبَيْد: ويروى لدينا أزلت. قَالَ: وَقد روى بَعضهم: من أنزلت إِلَيْهِ نعْمَة [٣٧].

**- الاستعمال يعني تداول الكلمة بمعنى وصورة مختلفة في البنية الخطية فكلمة ضاف تكون بمعنى مال إلى وضاف لغة مثل صاف في الدلالة وإن اختلفت أو قلبت الصاد ضاد في لغة العرب ومثاله:**

(ضيف) وَقَالَ [أَبُو عُبَيْد -]: فِي حَدِيثه عَلَيْهِ السَّلَام أَنه نهي عَن الصَّلَاة إِذا تضيفت الشَّمْس للغروب.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: قَوْله: تَضَيَّفَتْ [يَعْنِي -] مَالَتْ للمغيب يُقَال مِنْهُ: قد ضافَتْ فَهِيَ تَضِيف ضيفا - إِذا مَالَتْ صَاف قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَمِنْه سمي الضَّيْف ضيفًا يُقَال مِنْهُ: ضفت فلَانا - إِذا ملت إِلَيْهِ وَنزلت بِهِ وأضفته فَأَنا أضيفه - إِذا أمتله إِلَيْك وأنزلته عَلَيْك وَلذَلِك قيل: هُوَ مُضَاف إِلَى كَذَا وَكَذَا - أَي [هُوَ -] ممال إِلَيْهِ قَالَ إمرؤ الْقَيْس: [الطَّوِيل]

فَلَمَّا دَخَلْناه أَضَفْنا ظُهورَنا.. إِلَى كل حارِيّ جديدٍ مشَطَّبِ

أَي أسندنا ظُهُورنَا إِلَيْهِ وأملناها وَمِنْه قيل للدعي: مُضَاف لِأَنَّهُ مُسْند إِلَى قوم لَيْسَ مِنْهُم وَيُقَال: ضاف السهْم يضيف - إِذا عدل عَن الهدف، وَهُوَ من هَذَا. وَفِيه لُغَة أخرى لَيست فِي الحَدِيث: صَاف السهْم بمعني ضاف قَالَ أَبُو زبيد الطَّائِي يذكر الْمنية: [الْخَفِيف]

كل يومٍ ترمِيهِ مِنْهَا برِشْقٍ.. فَمُصِيْبٌ أَو صَاف غير بَعِيْدِ

---

(٣٦) غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج١ ص٢،٣،٤.

(٣٧) غريب الحديث، للقاسم بن سلام، ج١ ص١٤،١٥.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

صَاف أَي عدل فَهَذَا بالصَّاد وَأما [الَّذِي -] فِي الحَدِيث فبالضاد.[٣٨].

**المرحلة الثالثة: ظهور الاستعمال في كتب النوادر:**

**ويمثل تلك المرحلة: كتب النوادر،** التي بدأ التأليف فيها، في القرن الثاني من الهجرة، أي في الوقت نفسه الذي نهض فيه رواة اللغة وعلماؤها لتدوين اللغة العربية، ونشطوا لجمعها في الكتب [٣٩].

**وأول من بدأ التأليف في هذا النوع من كتب اللغة: أبو عمرو بن العلاء التيمي، البصري (ت ١٥٤هـ).**

ثم كثر التأليف في النوادر على مر الأيام، واستمر في زيادة مطردة طوال قرن من الزمان، أي إلى أواسط القرن الثالث الهجري، ثم بدأ يخبو - بعد ذلك - رويدا رويدا إلى أن جاء القرن الرابع الهجري، فإذا بالتأليف فيها يضعف جدا، حتى إنه لا يكاد يوجد إلا القليل من علماء هذا القرن الذين ألفوا فيه.

وكان ختامهم هو: صاعد بن الحسن الأندلسي (ت ٤١٠ هـ). وبين أبي العلاء وصاعد - هذا -: ما يربو على ثلاثة وأربعين عالما الفوا في النوادر[٤٠].

**ونذكر منهم:**

١- أبو عمرو بن العلاء التيمي البصري (١٥٤) [٤١].

٢- أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي البصري (١٨٣). له كتاب النوادر الكبير، وكتاب النوادر الصغير [٤٢].

٣- أبو الحسن علي بن حمزة الكساني (١٨٩). له كتاب النوادر الكبير والأوسط والصغير، وكتاب نوادر الأعراب [٤٣].

٤- أبو محمد عبد الله بن سعيد الأموي [٤٤].

٥- أبو عبد الله القاسم بن معن المسعودي قاضي الكوفة (١٨٨)[٤٥].

---

(٣٨) غريب الحديث، للقاسم بن سلام، ج١ ص١٧،١٨،١٩.

(٣٩) مقدمة كتاب النوادر لأبي مسجل الأعرابي، د. غزه حسن. - مطبوعات مجمع الله العربية بدمشق سنة ١٩٦١م، ص: ٢٤.

(٤٠) ينظر: مقدمة كتاب النوادر لأبي مسجل: ص٢٤-٣٠.

(٤١) الفهرست ١٣٠.

(٤٢) الفهرست ٦٣، ومعجم الأدباء ٢٠/٦٧، والمزهر ١/٤٥٣، ٢/٢٧٥ وكشف الظنون ٢/ ١٩٨٠.

(٤٣) الفهرست ٩٨، ١٣٠، ومعجم الأدباء ١٣ /٢٠٢- ٢٠٣، والإنباه ٢/٢٧١.

(٤٤) الفهرست ٧٢، ١٣٠، والإنباء ٢/١٢٠.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٦- أبو اليقظان سحيم بن حفص النسابة [٤٦].
٧- أبو مالك عمرو بن سلمان بن كر كرة النحوي [٤٧].
٨- أبو زياد الكلابي يزيد بن عبد الله. وكتابه كبير، فيه فوائد كثيرة [٤٨].
٩- أبو شبلي العقيلي[٤٩].

**مثال للعلماء [٥٠].الذين ذهبوا إلى البادية:**

وخير مثال يمكن أن يساق في هذا المجال هو عالم العربية: أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، الذى توفى بالبصرة سنة ٢١٥هـ، (على أحد الأقوال) بعد أن عاش عمرا طويلا قارب المائة "[٥١]. وكان أنحى من أبي عبيدة[٥٢].

والأصمعي وأغزر في اللغات منهما، وله كتب كثيرة ونوادر في اللغة مشهورة [٥٣].

ومن أشهر كتبه: كتاب النوادر في اللغة الذي اشتمل على خمسة عشر بابا:
ثلاثة منها خاصة بالشعر وكان يفتتحها قائلا: باب شعر.
وسبعة خاصة بالرجز، ويفتتحها قائلا: باب رجز
والخمسة الباقية خاصة بالنوادر - ويفتتحها قائلا: باب نوادر.
كما أن الأبواب التي سمعها من العرب كان ينوه عنها قائلا: (سماع أبي زيد من العرب).
وأما التي سمعها من الرواة: فإنه كان ينسبها إلى أصحابها في بداية الباب. ويبدو أن

---

(٤٥) الانباء ١/٣٥٥ الأدباء ١٧/٦، وكشف الظنون ٢/١٩٨٠.
(٤٦) الفهرست ١٣٠، ١٣٨، ومعجم الأدباء ١١/١٨٠.
(٤٧) فقه اللغة للثعالبي ٤٨، والمزهر ١/٤٤٥، والجمهرة ٣/٤٠٥.
(٤٨) الفهرست ٦٧، والخزانة ٣ / ١١٨.
(٤٩). الفهرست ٦٧، ١٣٠.
(٥٠) كتاب النوادر تأليف أبي مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش عني بتحقيقه الدكتور عزة حين مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م من ص ٢٦ إلى ص ٣٠.
(٥١) وفيات الأعيان - لابن خلكان - بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد: ٢ / ١٢٢ نشر النهضة المصرية.
(٥٢) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص٥١، ٥٢.
(٥٣) طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي - بتحقيق: محمد أبو الفضل ص ١٩٥ ط ٢ نشر دار المعارف بمصر.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذا الكتاب لم يكتبه أبو زيد بنفسه، وإنما رواه عنه الرواة، ومصداق ذلك ما نجده في بداية كتابه [٥٤].

: وأخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد ابن أحمد بن بسام. قال: أخبرنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي قال: أخبرني التوزي وأبو حاتم السجستاني عن أبي زيد قال - [ أي أبو زيد ]:

وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصرى، المعروف بالسكري، عن الرياشي وأبى حاتم عن أبي زيد قال أبو سعيد: هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من المُفضل بن محمد الضبي، ومن العرب[٥٥].

ونلحظ هنا: أن الكتاب روي من طريقين: طريق التوزي (عبد الله بن محمد القرشي - ت ٢٣٣ هـ) وأبى حاتم السجستاني (سهل بن محمد بن عثمان - ت ٣٥٥ هـ) [٥٦].

وطريق أبي حاتم والرياشي) أبو الفضل العباس بن الفرج (ت ٢٥٧هـ).

وهذا يزيده توثيقا، ويرفع من مكانته [٥٧].

**ونعرض لتناول كتب النوادر لمفهوم الاستعمال فيما يلي:**

**(وسنكتفي بذكر تفسيره لاستعمال الكلمة ومعناها في أصل وضع اللغة عند العرب دون إسهاب في عرض شرحه كاملا للنماذج الواردة عنده):**

**- نموذج من كتب النوادر:**

**النوادر في اللغة أبو زيد الأنصاري(ت٢١٥هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد الناشر: دار الشروق الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م عدد الصفحات: ٦٠٩**

**- ونعرض لتناول كتب النوادر لمفهوم الاستعمال فيما يلي:**

**- ويشرح من خلال عرضه ما غمض من معاني كلمات ويورد شواهد استعمالها عند العرب، فالاستعمال كما يطبقه ما هو إلا ما عرفه العرب في تناولهم للألفاظ وما وضعوها من أجل تأدية عمل محدد في مقصود كلامهم ثم هو يورد تعدد استعمالات اللفظ بمعاني منشقة عن هذا الأصل:**

**أ- باب شعر:**

---

(٥٤) كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد - بتصحيح: سعيد الخورى الشرتوني: ص ٢ - طبع المطبعية الكاثوليكية - بيروت سنة ١٨٩٤هـ

(٥٥) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ام الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص٥٣.

(٥٦) طبقات النحويين واللغويين - ص ٩٤ – ٩٦.

(٥٧) ينظر: المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ام الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص٥٤.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

-أخبرني الرياشي قال: أخبرنا أبو زيد قال: أنشدني المفضل لضمرة ابن ضمرة النهشلي، وهو جاهلي:

بكرت تلومك بعد وهنٍ في الندى.. بسل عليك ملامتي وعتابي [٥٨].

أأصرها وبني عمي ساغب.. وكفاك من ابةٍ علي وعاب

(قال أبو الحسن وزاد الأصمعي):

أرأيت إن صرخت بليلٍ هامتي.. وخرجت منها عاريًا أثوابي

(رجعت الرواية إلى أبي زيد):

هل تخمشن إبلي عليَّ وجوهها.. أم تعصبن رؤوسها بسلاب

**قوله بكرت:** أي عجلت، ولم يرد بكور الغدو، ومنه باكورة الرطب والفاكهة، للشيء المتعجل منه. وتقول: أنا أبكر العشية فآتيك: أي أعجل ذلك وأسرعه. ولم يرد الغدو، ألا ترى قوله بعد وهنٍ: أي بعد نومةٍ. **والندى**: السخاء والاعطاء، فلامته في ذلك، وأمرته بالإمساك. **بسل عليك**: [حرام عليك]،

وكذلك قول زهير:

بلاد بها نادمتهم وألفتهم.. فإن يقويا منهم فإنهما بسل[٥٩].

**قال أبو حاتم: ... وساغب:** جائع، يقول: فلا أصر نوقي وابن عمي جائع حتى أرويه. **والسغب**: الجوع. **والابة**: الخزي والحياء يقال: خزيت من الشيء أي استحييت منه. وقلت لأعرابية بالعيون بنت مئة سنة: مالك لا تأتين أهل الرفقة؟ فقالت: إني أخوى أن أمشي في الرفاق: أي أستحي. ويقال: **اتأبت** من الشيء: استحييت منه. مثل اتعدت / واتقيت. والأصل: من وقيت ووعدت. ويقال: **أوأبت** الرجل أي أحشمته، **فاتأب**: أي فاحتشم، يدغمون الواو في التاء بعدما يقلبون الواء تاءً. كذلك اتعدنا: هو من الوعد. وقالوا: التخمة والتكلان والتولج، وأصل هؤلاء التاءات الواو، فقلبوا لغير ادغام لأن اتعد كرهوا فيه أن يقولوا ايتعد، فتنقلب ياءً، أو ياتعد، فتنقلب ألفًا. ويوتعد، فتنقلب واوًا، فكرهوا في هذا التقلب، فجاءوا بالتاء، وهو حرف جلد لا ينقلب. والاسم **التؤبة** على وزن التخمة. ويقال: إن الطعام تؤبة. يقول: يستحي الإنسان إذا دعي إليه فجاءه.[٦٠].

**والعاب** والعيب: لغتان، كما يقال: القار والقير. والقاد والقيد، والذام والذيم. ويقال هو مني قاد رمحٍ، وقيد رمح. وقال بعض العرب: إن الرجز لعاب أي لعيب. **والرجز**: ارتعاد مؤخر البعير عند النهوض، يقال: ناقة رجزاء وبعير. أرجز، وذلك عيب. قال أبو النجم يصف امرأة:

---

(٥٨) ص ٣.

(٥٩) ص ٤.

(٦٠) ص ٥.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تجد القيام كأنما هو نجدة.. حتى تقوم تكلف الرجزاء

أي تنهض من ثقل عجيزتها في شدةٍ. **والنجدة**: الشدة: **والبسل**: الحلال. وهذا الحرف من الأضداد، قال عبد الله بن همامٍ:

زيادتنا نعمان لا تحرمننا.. تق الله فينا والكتاب الذي تتلو[٦١].

أيثبت ما زدتم وتلقى زيادتي.. دمي إن أسيغت هذه لكم بسل

**ب- الرجز: هذا باب رجزٍ سماع أبي زيدٍ من العرب:**

قال الراجز:

لقد رأيت عجبًا مذ أمسا.. عجائزًا مثل الأفاعي خمسا

يأكلن ما في رحلهن همسا.. لا ترك الله لهن ضرسًا

قوله: «**أمسا**» ذهب بها إلى لغة بني تميمٍ، يقولون ذهب أمس بما فيه، فلم يصرفه. و«**الهمس**»: أن تأكل الشيء وأنت تخفيه. وجعل «مذ» من حروف الجر، ولم يصرف أمس، ففتح آخره وهو في موضع الجر. والرفع الوجه في أمس؛ وفي القرآن: «فلا تسمع إلا همسًا».

قالوا: الحس الخفي [٦٢].

**ج- باب نوادر: وظهر مفهوم الاستعمال عنده جليا في عرضه لتعريف وشرح الكلمات وتناول استعمالها في جمل وسياقات متنوعة في أصل كلام العرب بقوله ويقال وكأنه يضع منهجا لاستعمال الكلمات وفق أصل وضع العرب لها ويدلل بأمثلة استشهادية ليحفظ لنا بابا كبيرا من استعمال العرب للغتهم وفق عصور مختلفة:**

- (أبو زيد) قال الكلابيون: «**المهروس والمجشوش**» واحد وهي هريسة وجشيشة. وقال أبو المضاء الكلابي: «الهريس والجشيش»: الحب حين يدق بالمهراس قبل أن يطبخ، فإذا طبخ فهو هريسة وجشيشة إذا جشوه. وقال: استقبلت الماشية الوادي فأنا استقبلها إياه. وأقبلتها الوادي إقبالًا إذا أقبلت بها نحوه. وقبلت الماشية الوادي تقبله قبولًا إذا استقبلته هي. [٦٣].

**- نماذج متفرقة من كتب النوادر ورد بها مفهوم الاستعمال بأكثر من مفردة:**

**أ – ورد مفهوم الاستعمال في قولهم ورد في (كلام العرب) أي استعمله العرب بهذا الشكل:**

**- النموذج الأول: من كتاب النوادر في اللغة أبو زيد الأنصاري (ت: ٢١٥ هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد الناشر: دار الشروق الطبعة:**

(٦١) ص٦.
(٦٢) ص٢٧.
(٦٣) ص٣٠٥.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م عدد الصفحات: ٦٠٩**

**وهذا عرض لمفهوم الاستعمال عنده:**

- وتقول قد أكنبت يده إكنابًا فهي مكنبة وثفنت فهي تثفن ثفنًا مثل عملت عملًا إذا غلظت من العمل وخشنت ومجلت تمجل مجلًا أبو حاتم: مجلت تمجل، ومجلت تمجل إذا كان بين اللحم والجلد ماء، وجلد الراحة رقيق. الأصمعي قال: سمعت أبا عمروٍ يقول: مجلت فقال الأخفش مجلت.

وقال الرياشي مجلت ونفطت أيضًا والأول جائز. ونفطت تنفط نفطًا مثل ضربت تضرب ضربًا. ونفيطًا مثل ذلك.

(قال أبو الحسن: القياس عند أهل العربية وهو شائع **في كلام العرب** أيضًا أن يقول مجلت يده تمجل مجلًا. كما يقال نفطت يده. وكنبت [يده] إذا غلظت وخشنت. وإن قلت مجلت تمجل مجلًا كما قيل نفطت تنفط نفطًا جاز وليس في جودة ما ذكرنا آنفًا وفصاحته.[٦٤].

- **النموذج الثاني: من كتاب نوادر أبي مسحل، لعبد الوهاب بن حريش الأعرابي أبو محمد، الملقب بـ أبي مسحل (المتوفى: نحو ٢٣٠هـ)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق دكتور عزة حسن، ١٣٨٠ هـ -١٩٦١م:**

**وهذا عرض لمفهوم الاستعمال عنده:**

- وقال: الدفء في كلام العرب النتاج واللبن وما انتفع به منها.

ويقال: ما ذقت اليوم أكالا، ولا شماجا، ولا لماجا، ولا علوسا، ولا بلوسا، ولا عصاصا، ولا لواسا، وأنشد:

كأن تحتي بازيا ركاضا

أخدر خمسا لم يذق عضاضا [٦٥].

ويقال: شت أمر القوم، يشت شتا، إذا اختلف وتفرق. وكذلك شت القوم يشتون شتا وشتوتا، إذا تفرقوا. وشتتهم الله تشتيتا، وأشتهم إشتاتا.[٦٦].

ب- **ورد مفهوم الاستعمال في قولهم ورد في (العرب تقول) أي العرب تستعمله بهذا الشكل:**

- **نموذج من كتاب النوادر في اللغة أبو زيد الأنصاري (ت: ٢١٥ هـ) تحقيق ودراسة: الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد الناشر: دار الشروق الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م عدد الصفحات: ٦٠٩.**

---

(٦٤) ص ٤٧٣.

(٦٥) ص ١٨.

(٦٦) ص ٣٢.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**وهذا عرض لمفهوم الاستعمال عنده:**

-ويقال: رجلان سوآن وقوم أسواء وسواسية ورجلان سيان والجمع أسواء أي مستوون.

(قال أبو الحسن: أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي أن العرب تقول: سواسية وسواسوة. قال أبو الحسن: سوآن كذا وقع في الكتاب هو عندي غير جائزٍ. والصواب سويان وسيان لأن أسواء جمع سواء كضلع وأضلاع وعنبٍ وأعنابٍ. قال أبو زيد). [٦٧].

**- تعليق عام على مفهوم الاستعمال في كتب النوادر التي عرضنا لها:**

**-الملاحظ على هذه النوادر:**

**١- أنها تذكر عدة أوجه لغوية وصرفية للكلمة واستعمالها عند العرب،** ولا يمكن طبعا أن تكون هذه الأوجه كلها لقبيلة واحدة في استعمالها للمفردة الواحدة، وإنما كل وجه القبيلة، وقد جمع أبو زيد بينها، ولذلك لم ينسبها إلى قائليها.

٢- **تفوق أبو مسحل الأعرابي** على غيره ممن ظهر لديهم مفهوم الاستعمال كثيرا بقوله ويقال أ يستعمل فهو فخير مثال للبدو الذين رحلوا إلى الحضر ليسمع العلماء منهم؛ ويجلسوا إليهم فكان أبو مسحل الأعرابي (عبد الوهاب بن حريش) (من بنى ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر، وهم من أحياء بني عامر بن صعصعة، ومنازلهم في نجد. وهو من الأعراب الفصحاء، الذين وردوا الأمصار من البادية، وشاركوا في الحركة الخصبة التي نشطت في هذا الدور لجمع اللغة وتدوينها في أمصار العراق [٦٨].

وقد كان أبو مسحل على ظهر الحياة في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث من الهجرة). وقد أخذ عنه كثير من العلماء المشاهير في عصره، ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) وأبو العباس إسحق بن زياد الأعرابي [٦٩].

وأبو عبد الرحمن أحمد بن سهل، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).

وقد روى هؤلاء الثلاثة كتاب النوادر عن أبي مسحل. كما أنه التقى بالأصمعي ودارت بينهما مساجلات لغوية [٧٠]. وكتاب النوادر [٧١]. هذا كتاب في اللغة، والمادة اللغوية فيه: تمثل لغة البادية في الجاهلية وصدر الإسلام في ألفاظها وعباراتها، وأمثالها وأساليبها تمثيلا جيدا وهو ما يؤكد أهميته في ظهور مفهوم الاستعمال عند العرب القدامى

---

(٦٧) ص ٢٨٣.

(٦٨) كتاب النوادر - بتحقيق د. عزه حسن - مقدمة التحقيق: ص ٥،٦.

(٦٩) ينظر: المرجع السابق: ص ٦.

(٧٠) مقدمة كتاب النوادر: من ٨، ٩.

(٧١) المرجع السابق: ص ١٢.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من خلال جمع ألفاظ اللغة وبيان استعمالها في صحيح لسان العرب وأصل ما وضعوه من ألفاظ لتلك المعاني.

**٣-إن الكتاب - مجموعه - أثبت وأوسع نص لغوى وصل إلينا** عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها وبيان استعمالها وفروق معانيها، في بدء ازدهار الحضارة العربية، في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث من الهجرة.

وهو يعد بذلك مثالا جيدا للخطة البدائية التي اتبعها الرواة والعلماء - في بادئ الأمر لجمع اللغة وتدوينها. وهو صنو: كتاب النوادر، لأبي زيد الانصاري في هذه الأمور جميعا، إلا أنه أوسع منه حجما، وأغنى مادة.

وهو بعد: مروى عن مؤلفه الأعرابي الصميم مباشرة، بطريق علماء أفذاذ كبار أمثال: أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩٠ه).

وقد تداوله علماء أيضا، أمثال أبي عمر الزاهد (ت ٣٤٥هـ) غلام ثعلب، وأبي عبد الله بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) وقرؤوه وصححوه [٧٢].

**٤- أنهم اعتبروا العربية وحدة واحدة، مع اختلاف القبائل ألفاظا وتراكيب ولهجة** فلم يرسم لنا الراحل من العلماء خطة سيره وأي القبائل نزل بينها، وما هي الألفاظ واللهجات التي أخذها عنها؟ وما الألفاظ واللهجات التي أخذها عن القبيلة الأخرى؟

ولما رحل البدوي إلى المصر (لم يقل أحد لنا) ماذا أخذ عنه من الألفاظ واللهجات؟ ومن أي قبيلة كان؟ نعم وردت شذرات من هذا القبيل ولكنها قليلة جدا لا تكفينا لتفريق اللغة على القبائل

**٥- لو فعلوا ذلك: لاستفدنا فوائد كثيرة فعرفنا كل ما يختص بالقبيلة من ألفاظها ولهجاتها،** وعرفنا المترادفات ومنشأها، وعرفنا الألفاظ التي امتازت بها كل قبيلة وعرفنا سببها إلخ، واستنتج الباحث من ذلك كله أشياء قيمة جدا، ولكنهم لم يفعلوا، وساروا في جمعهم على نظرية وحدة اللغة، بقطع النظر عن اختلاف القبائل [٧٣].

**٦- اللفظ النادر قد يعني فصاحة استعماله لأن شيوع اللفظ ليس دليل على فصاحته** وقد عرفت النوادر جمع نادر أو نادرة. قال في الصحاح: «ندر الشيء يندر: سقط وسذ، ومنه النوادر». والنادر في الاصطلاح تعبير لغوي يرد في كتب اللغة

---

(٧٢) مقدمة كتاب النوادر: ص ١٢.

(٧٣) أحمد أمين - صحي الاسلام: ٢ / ٢٥٢، ٢٥٣، المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم، ص ٥٧،٦١.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ومعجماتها كثيرًا بمعنى خلاف الفصيح المعروف، على الأغلب. قال في اللسان: «ونوادر الكلام تندر، وهي ما شذ وخرج من الجمهور.

فاستعمال لفظ النادر قريب في المعنى من الحوشي والغرائب والشواذ في اللغة. إلا أن النادر بمعناه العام يشمل هذه الألفاظ جميعًا، على الرغم من أنه بمعناه الخاص أقرب هذه الألفاظ من الفصيح.

وقد أورد السيوطي في المزهر عن ابن هشام قاعدة في معنى النادر، وتعيين مرتبته في الفصاحة. قال: «قال ابن هشام: اعلم أنهم يستعملون غالبًا وكثيرًا ونادرًا وقليلا ومطردًا. فالمطرد لا يتخلف. والغالب أكثر الأشياء، ولكنه يتخلف. والكثير دونه. والقليل دون الكثير. والنادر أقل من القليل. فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالبها. والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب. والثلاثة قليل. والواحد نادر. فعرف بهذا مراتب ما يقال في ذلك [٧٤].

٧- **إن نظرية ابن هشام في النوادر قائمة على مخالفة اللفظ للقياس، وخروجه وهي نظرية صحيحة ثابتة،** تؤكدها الأمثلة الكثيرة المبثوثة في كتب اللغة. ولكن هذه النظرية على الرغم من ذلك لا تحل لنا مشكلة النوادر في بيان استعمال المفردة، ولا تعللها تعليلًا تامًا. لأننا نجد كثيرًا من الألفاظ جاءت مخالفة للقياس، وهي مع ذلك فصيحة مشهورة، لا تعد من النادر في حال من الأحوال. فينبغي لنا والحالة هذه أن نجد تعليلا آخر يتمم نظرية ابن هشام، ويفسر لنا مالم تستطع أن تفسره

٨- **قد نجد هذا التعليل في الاستعمال. فعلامة كون اللفظة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرًا،** أو أكثر من استعمالهم لفظة بمعناها. فالمراد بالفصيح ما كثر استعماله في السنة العرب، كما يقول السيوطي [٧٥]، ونحن نقول: والمراد بالنادر ماقل استعماله في ألسنة العرب. وكلما كثر استعمال اللفظة، وعرفها جمهور أكبر من العرب، وشاعت على ألسنتهم كانت أجود وأفصح. وعلى العكس من ذلك فكلما قل" استعمال اللفظة، وعرفها ناس من العرب قليلون كانت نادرة مجهولة. وعلى هذا فكثرة الاستعمال أو قلته هو المعيار الصحيح الثابت الذي به يمكن لنا أن نحكم أن هذا اللفظ فصيح معروف، وأن ذاك اللفظ نادر مجهول.

ويحسن بنا أن نورد هاهنا بعض الأمثلة، لإيضاح هذه المسألة وتقريبها من الأذهان، جاء في كتاب النوادر لأبي مسحل: «ويقال: إن فلانًا لذو شرفة، وما أعظم

(٧٤) المزهر، ص: ١٩، ص: ٢٣٤.
(٧٥) المزهر ج١/ ص،١٨٧.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

شرفته! يعني شرفه). إن لفظة «شرفة، بمعنى الشرف قليلة الاستعمال، ولم تشتهر اشتهار لفظة (الشرف، إذ لم تكثر على فأهملت لذلك، وكانت من النوادر.

وفيه أيضًا: (وهذه أرض منصورة ومغيوثة ومغيثة. ولغة هذيل مغاثة، لأنهم يقولون: أغاثها المطر. وغيرهم من العرب يقول: قد غيثت، فهي مغيثة ومغيوثة، وهو أكثر» مغاثة، لهجة خاصة بقبيلة هذيل، وكلام الجمهور من العرب غير ذلك، ولذلك كانت هذه اللفظة من النوادر(٧٦).

**٩- ويخيل إلى أن كتب النوادر صارت، على مر الزمن، كتب لغة يبنى أساسها على إيراد النوادر من اللغة**. ولكن هذه القاعدة ما كانت لتمنع أصحابها من إيراد الفصيح من اللغة أيضا إلى جانب نوادرها. وكأني بهم كانوا يوردون النادر الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها، للدلالة على النادر ومعرفة معناه وموضع استعماله. وقد ألفت كتب في الفصيح والجيد من اللغة في الوقت نفسه الذي ألفت فيه كتب النوادر والغريب، مثل «كتاب الفصيح» لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وكتاب «إصلاح المنطق» لأبي يوسف يعقوب بن إسحق السكيت. ولكننا عند الموازنة بين هذه الكتب، وقياس بعضها ببعض لا نجد فرقًا كبيرًا بين هذين النوعين من كتب اللغة، على الرغم من اختلاف الغاية التي رمى إليها الرواة والعلماء في تدوينهم مثل هذه الكتب. ومن الغريب العجيب أن نجد عند التحري والتدقيق أن كتب النوادر تفيض بالفصيح من ألفاظ اللغة، وأن كتب الفصيح والجيد مطوية على كثير من نوادر اللغة وغرائبها أيضًا (٧٧).

**١٠- إن كتب النوادر وضعت بداية لجمع وبيان الألفاظ المستعملة على أصل وضعها عند العرب** وتنوعت تلك الألفاظ لترصد البيئة الاجتماعية والتطور الدلالي لتلك البيئة في هذا العصر أو ذاك فكانت مهمتها الجمع فقط دون ترتيب أو تبويب اللهم إلا القليل.

**المَرحَلةُ الثانية: جَمْعُ الألفاظ بحسَبِ المَوضوعاتِ في الرسائل اللغوية الصغيرة المفردة ذات الموضوع الواحد، أو ظهور مفهوم الاستعمال في الرسائل اللغوية الصغيرة المفردة ذات الموضوع الواحد** من خلال جَمْعُ الألفاظ بحسَبِ المَوضوعاتِ في الرسائل اللغوية الصغيرة المفردة ذات الموضوع الواحد

(٧٦) كتاب النوادر تأليف أبي مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش عني بتحقيقه الدكتور عزة حين مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م ص٢١.

(٧٧) كتاب النوادر تأليف أبي مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش عني بتحقيقه الدكتور عزة حين مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م ص٢٣.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

في هذه المرحلة كانت تجمع (الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد. والذي دعا إلى هذا في اللغة - على ما يظهر - أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى، فأرادوا تحديد معانيها، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد) (٧٨).

وقد ألفت في هذا رسائل كثيرة وغفيرة، منها الدارات للأصمعي .

كتاب الكرم للأصمعي- كتاب النبات والشجر للأصمعي - كتاب النخل للأصمعي - كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري كتاب اللبة واللبن لأبي زيد الأنصاري - كتاب الرحل والمنزل لأبي عبيد القاسم بن سلام-

فكتاب الدارات: عبارة عن ثلاث صفحات جمع فيها الأصمعي دارات العرب المعروفة، والتي ورد ذكرها في أشعارهم .وهذه الدارات لم يذكرها أصحاب معاجم البلدان كياقوت الحموي والبكري وغيرهم؛ ولذلك فإن هذه الصفحات - على قلتها - مفيدة في معرفة بعض الأماكن العربية القديمة التي عفى عليها الزمن، هذا فضلا عن أن قدم هذا الكتاب الصغير، وشهرة مؤلفه، تضعه في مكانة مرموقة بالمكتبة اللغوية(٧٩).

**مرحلة الرسائل اللغوية:**

سميت كذلك لأنّها عبارة عن كتيبات صغيرة وتسمى أيضا بمعاجم ذات الموضوع الواحد، والغريبُ أنَّ النظرة لهذه الرسائل لم يوفّها الدارسون حقّهم من حيث التحقيق والدراسة، وقد مرّوا عليها مرورا عابرا حيث ما كان يشغلهم أكثر هو المعجم العربي بالمعنى الكامل لكلمة(معجم) ولهذا فإنهم دائما يركزون على الخليل ومعجمه(العين،) ثم إنَّ هذه الرسائل قد اهتمت بهذه الموضوعات فقط من الناحية المعجمية والثروة اللفظية، وأنّها قد ذابت في المعاجم الكبرى وصارت مادةً لها، وقد عرف التأليف المعجمي عند العرب بفضلها لأوّل مرة شكلاً منتظمًا بعد أن كان عبارة عن كلمات مشروحة مبعثرة غير مرتّبة وغير مستوفية لشرط الشمولية.

لقد كان للأعراب دور رائد في مجال وضع الرسائل إذ يقول ابن النديم في كتابه الفهرست: إلى كثير منهم بعض هذه الرسائل، فأبو زياد الكلابي وضع عدّة رسائل أهمّها: الفرق، الإبل، وخلق الإنسان، ولأبي خيرة نهشل بن زيد كتاب في الحشرات، ولأبي ثراون العكلي كتاب خلق الإنسان.

فهذه الرسائل تدور حول موضوعات متنوعة ومصادرها محصورة في القرآن الكريم والحياة في شبه الجزيرة العربية، والشعر العربي بألفاظه المختلفة وفنونه المتنوعة مع امتداد عصور الحضارة العربية ظلت اللغة العربية حينا من الزمن تدور

(٧٨) أحمد أمين - ضحى الإسلام: ٢/٢٦٤.

(٧٩) ينظر: مقدمة: البلغة في شذرات اللغة - نشر: أو جست هفتر ولويس شيخو - ط ٢ مط الكاثوليكية - بيروت سنة ١٩١٤م.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

على الألسن غير مكتوبة في صحائف ، أو مدونه في رسائل، أو مجاميع للمفردات غير إن النهضة الشاملة التي أوجدها الدين الإسلامي في حياة المجتمع العربي حتمت عليه إن يحافظ على ثروته اللغوية من ضياع والتشبث، لا سيما إن الحالة تتبدل يوما بعد أخر، ومستجدات الحياة تفرض أصنافا من المفردات والمصطلحات، وتهجر ألفاظا كانت سيئة سائغة في حياتهم اليومية. مما حدا باللغويين إن يولوا لغتهم اهتماما كبيرا ويهبوا لجمعها مفردات وتعابير من أفواه الناس الموثوق بعربيتهم بادئ ذي بدء، فكانت الرسائل اللغوية الفريدة التي اختصت بخلق الإنسان والحيوان، ومما يتعلق بألوان من حياتهم، وعدتهم فيها، منها ما تفرد بحصر الألفاظ الخاصة بالشاة والنعم، ومنها الإبل، والخيل ومنها ما قيل في الحشرات والهوام وجمع ما قيل في كل عضو منها، ومنها ما تبسط في سرد أسماء النبات والشجر وما يتعلق بها. ومنها ما اختصر بالمكان وصفات ديارات أو دارات العرب. وفد حفظت المكتبة العربية تراثا ضخما من تلك الرسائل التي شملت نتائج اللغويين البصريين أمثال الأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وأبي حاتم السجستاني وأبي عبد الله ألتمري، وغيرهم (وكان هؤلاء الذين توغلوا في الصحراء أول من دون معارف لغويه، ومرت على هذا التدوين مراحل أثرت في مادته وهيأته(٨٠).

فبعض هذه الرسائل تناولت "خلق الإنسان" منذ نشأته وولادته ورضاعته وفطامه وغير ذلك، ودونوا فيها كل ما ظهر من الإنسان حتى بعض ما في جوفه، وبينوا الصفات المختلفة التي تعتري كل عضو من أعضائه، وأول من ألف في ذلك أبو مالك عمرو بن كركرة.

وألَّفوا رسائل في "الخيل" حيث اهتموا بها اهتمامًا كبيرًا، لأنّها أداة نقل العرب في الحرب وغيرها، ومنهم من ألف في ذلك النضر بن شميل، والأصمعي، وأبو عبيد.

واهتم العرب في رسائلهم بموضوع الحشرات، وأول من كتب فيها أبو خيره الأعرابي.

ورسائل "الشاه" تتناول حمل الغنم ونتاجها، وأسماؤها، نعوتها في ولادتها، وأسماؤها، نعوتها من قبل أسنانها، نعوتها من قبل ألبانها، ضرع الشاة وعيوبها، نعوتها من قبل هزلها، نعوتها من قبل أمراضها، نعوتها من قبل قرونها، نعوتها من قبل علفها، نعوتها من قبل مجموعاتها.

ورسائل "الفرق" تتناول تسميات أعضاء الجسم وصفاتِه بين الإنسان والبهائم والطيور، وتسمى أيضًا "ما خالفه الإنسان البهيمة"، وتهدف إلى ذكر العضو من أعضاء

(٨٠) المعجم العربي - د. حسين نصار ص ١٠ وينظر: أصول في فقه العربية ص ٢٣٤ وما بعدها.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الإنسان أو صفته وذكر ما يقابلها من أعضاء البهائم والطيور وصفاتها[٨١].

رسالة المطر لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥ه: تحدث في هذا الكتاب عن أسماء المطر والرعد والبرق والسحاب والمياه، ويقل في الكتاب الاستشهاد بالشعر.

رسالة الإبل للأصمعيّ ت ٢١٥: تحدث فيها عن إنتاج الإبل وحلبها وأسماء أعضائها وألوانها وطريقة ورودها الماء وأدويتها وسيرها وغير ذلك)[٨٢].

رسالة الأيام والليالي والشهور للفراء ت ٢٠٧ه: عالج فيها الأسماء القديمة والحديثة للأيام والشهور العربية، وأسماء الهلال والقمر والشمس وظلمة الليالي، والأيام الباردة والحارة كما أنه يستشهد على ما يقوله دائما بالقرآن والشعر والأمثال[٨٣].

إذن نلاحظ أن الرسائل اللغوية قد استمرت جنبًا إلى جنب مع المعاجم اللغوية حتى القرن التاسع مع الفيروز آبادي، وبالتالي فهي ليست مرحلة من مراحل الجمع بقدر ما هي صورة من صور الجمع، وهذا ما سنلاحظه من بعد (في الحديث عن الرسائل اللغوية). إذن قد تم جمع اللغة على صور متعددة، مشكلة في ظاهرها تتابعًا مرحليًا في التطوير في صورة الجمع وبالتالي في التأليف المعجمي.

يضاف إلى هذا أن أشهر مؤلفي الرسائل الفردية عاصروا الخليل وجاء بعده كالأصمعي، والأنصاري أبي زيد وغيرهم[٨٤]. وقد كانت الرسائل اللغوية الفردية صورة فريدة في حمل وجمع المفردات المرتبطة باللغة، الإنسان، الحياة، والكون عامة، وفي إشارة بسيطة نعرض لأهم موضوعاتها والتي سنحاول التركيز على بعض منها، مما نجده من غرض البحث، وهو بيان بناء هذه الرسائل التي تعتبر أساسًا نواة المعجم اللغوي العربي بنوعيه العام والخاص وجمع وبيان استعمال مفرداته، وسنبين هذا من تفاصيل الموضوعات المختلفة.

وسنقوم بعرض بعض نماذج الرسائل اللغوية المختلفة في الموضوعات المختلفة للأسباب الآتية:

١- بيان ظهور مفهوم الاستعمال في جمعهم للألفاظ وشرح معانيها وفقا لما وضعه العرب الفصحاء لتلك الألفاظ.

٢- بيان اهتمام علماء العربية بمختلف موضوعات الحياة من لغوية وغير لغوية، ولكن الاهتمام كان لغويًا في الغالب.

٣- تمثل مادة الرسائل اللغوية الأرضية والمخزون الرصيدي الذي اعتمد عليه أصحاب

---

(٨١) ينظر: عبد التواب الأكرم: ابن منظور، دار البشرى، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٥١.

(٨٢) الأصمعي اللغوي، عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص ١١١.

(٨٣) دروس في المعجمية، دكتور الطاهر نعيجة، الجزائر ـ ٢٠١٧-٢٠١٨.

(٨٤) عدنان الخطيب، المعجم العربي، مطبعة الرقي، دون طبعة، دمشق، ١٩٦٥.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المعاجم المختلفة على اختلاف أنواعها كما سنرى فيما بعد.

٤- تمثل الرسائل اللغوية مرحلة الجمع الحقيقة والأولى للمادة اللغوية التي تم تنظيمها وتبويبها وترتيبها في المعاجم من بعد، مع وجود عملية الجمع العشوائي.

إن المعجميين الأوائل قد اعتمدوا في مصادر مادتهم المشاهدة والرحلة إلى البادية، إلا أنهم كان لهم رجوع واعتماد كبير على الرسائل اللغوية، ولعل حضور أسماء أصحابها بقوة في معظمها يؤكد ذلك كالأصمعي، وأبي عمر بن العلاء.. وغيرهما، وكان منهم من ألف في الرسائل اللغوية وألف في المعاجم الكبيرة كالزبيدي والقالي وغيرهما(٨٥).

**نماذج لظهور مفهوم الاستعمال في الرسائل اللغوية التراثية:**

**أ- نموذج كتب الخيل:**

**١-أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ) تحقيق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن الناشر: دار البشائر، دمشق - سورية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.**

**- ورد مفهوم الاستعمال من خلال النماذج التي سنعرض لها فيما يلي:**

**١-الاستعمال للألفاظ كانت مرتبطة بالمعرفة اللغوية الثقافية للمجتمع حول مكانة الخيول** فكانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفةً بفضلها، وما جعل الله تعالى فيها من العز، وتشرفًا بها، وتصبرًا على المخمصة واللأواء، وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد، وتفتخر بذلك في أشعارها وتعتده لها فلم تزل على ذلك من حب الخيل، ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه، عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها، فقال: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم. فاتخذ رسول الله، عليه السلام، الخيل وارتبطها، وأعجب بها، وحض عليها، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والغنيمة، وفضلها في السهمان على أصحابها، فجعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهمًا، فارتبطها المسلمون، وأسرعوا إلى ذلك، وعرفوا ما لهم فيه ورجوا عليه من الثواب من الله، جل وعز، والتثمير في الرزق، ثم راهن عليها رسول الله، وجعل لها سبقة، وتراهن عليها أصحابه، وجاءت الأحاديث متصلة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في ذلك (٨٦).

**٢- الاستعمال عنده ارتبط بمفهوم إطلاق المسميات على الأسماء الخاصة بالخيل**

(٨٥) تشكيل بناء المعجم العربي دراسة وصفية تحليلية نموذج الصوتيات الوظيفية، رسالة دكتوراة، يمينة مصطفى، جامعة البليدة ٢، البليدة، ديسمبر ٢٠١٣.

(٨٦) ص ٢٣.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**ليتم التمييز فيما بينها فكان الاستعمال الخاص لاسم الخيل مقرون بصاحب هذه الخيل:**

كانت خيول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أفراس: لزاز ولحاف والمرتجز والسكب و(اليعسوب). وإنما سمي المرتجز بحسن صهيله.

وحدثني الكلبي محمد بن السائب وأبوه حمزة الثمالي وأبان بن تغلب، وغيرهم بأسماء الخيل المشهورة المعروفة المنسوبة وخيول العرب، لا يختلفون بذلك. ووجدنا في أشعار العرب دلالات على ما قالوا. (٨٧).

وكان منها في قريش خيل رسول الله، عليه السلام.

ومنها: الورد فرس حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وهو من بنات ذي العقال من ولد أعوج. قال في ذلك حمزة:

ليس عندي إلا سلاح وورد.. قارح من بنات ذي العقال

أتقي دونه المنايا بنفسي.. وهو دوني يغشى صدور العوالي (٨٨).

وهذه تسمية خيول العرب وجيادها، والمعروف والمنسوب منها في الجاهلية والإسلام، وما شهر باسمٍ أو نسب من ذكورها وإناثها:

زاد الراكب والهجيس والديناري وأعوج وسبل وذو العقال وجلوى والخزز والوثيمي والصريح وذو الريش والغزالة والعارم والطيار وسوادة والمعلى وبهرام والحرون والنعامة والهطال والضبيب والعطاس والهراوة وقصاف والفينان وصهبى وحومل ونصاب وخصاف والبريت والعريان والجميل والخذواء والشيط وزرة والعبيد والضبيح ومندوب والمكندر والعرادة والمصبح ولازم ونحلة والمريط وشاهر والوجيه ولاحق والعسجدي والسميدع وزيم والعصا وأثال والأغر وقرزل واللطيم واليساروصوبة ولازم والصيود ونباك والجون ومكنون وداحس والغبراء والحنفاء والخطار والعنز وذو الوقوف والظليم ومصاد وحذفة والوريعة والحمالة وذو الخمار وحلاب وحزمة والصموت وكنزة ومنازع وذو الوشوم والأجدل والورد وموكل والرقيب والشوهاء وعزلاء والبيضاء والعباب والأغر ومحاج ومياس وخميرة وظبية والورهاء وذات الظخم والقراع وذو العنق وذو اللمة وسمحة وأطلال والضاوي وكامل وهداج ووحفة والعرن وجروة والشموس والسلس والورد والجمانة والقدح والعصفري والوزر وصعدة والحواء الكبرى والنعامة والقويس وغراب والواقي والحليل والحشاء وسلم والجمانة الصغرى ومعروف والجون والنقيب والصريح وثادق وقيد والغمامة والشغور وحماس وناعق ورعشن وصفا والقتاري والترياق والبطان والبطين والذائد وأشقر بني مروان ومناهب وحميل الأصغر والبواب والصاحب وغطيف والأعرابي والقطراني.

---

(٨٧) ص ٣١.

(٨٨) ص٣٢.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وعامة هذه تنسب إلى الهجيس والديناري وزاد الراكب وجلوى الكبرى وجلوى الصغرى وذي الموتة والقسامة والفياض.

فذلك مائة وسبعة وخمسون فرسا سوابق مشهورة في الجاهلية والإسلام سوى خيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهي خمسة أفراس. (٨٩).

**٢- الإبل المؤلف: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦ هـ) المحقق: أ. د. حاتم صالح الضامن الناشر: دار البشائر، دمشق - سورية الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.**

**--ورد مفهوم الاستعمال من خلال النماذج التي سنعرض لها فيما يلي:**

**- تطور الاستعمال عنده ليذكر موضوعات جديدة في استعمال هذا الاسم أو ذاك وإطلاق عليه اللفظ الموضوع له في أصل لغتهم ومثال ذلك:**

**ومما يذكر به غزارة الإبل:**

يقال ناقة رهشوش إذا كانت رقيقة خوارة غزيرة والغزر مع الخؤورة، قال رؤبة بن العجاج:

أنت الجواد رقة الرهشوش

ويقال ناقة خبر إذا كانت غزيرة وأصل ذلك من المزادة تسمى الخبر، قال النابغة يذكر إبلا الماء للخيل في المزادة مقرنة بالادم والصهب كالقطا عليها الخبور محقبات المراجل ويقال ناقة برعيس إذا كانت رقيقة غزيرة، ويقال ناقة صفي وهن الصفايا إذا كن غزارا، وناقة لهموم إذا كانت غزيرة وإبل لهاميم، وناقة خنجور وهي الغزيرة. (٩٠).

**- يتضح تطور الاستعمال عنده ليذكر وصف جديد في استعمال ألوان الإبل وإطلاق عليها اللفظ الموضوع لها في أصل لغتهم مع تطورها عن ألوان غيرها كالخيل وغيرها ومثال ذلك:**

**ومما يذكر من ألوان الإبل:**

يقال بعير أحمر وناقة حمراء، وإذا بولغ في نعت حمرته قيل كأنه عرق أرطاة، ويقال أجلد الإبل وأصبرها الحمر، فإذا خلط الحمرةقنوء فهو كميت، فإذا خلط الحمرة صفرة قيل أحمر مدمى، قال حميد بن ثور:

وصار مدماها كميتا وشبهت.. قروح الكلى منها الوجار المهدما

فإذا اشتدت الكمتة حتى يدخلها سواد فهي الرمكة يقال بعير أرمكوناقة رمكاء، فإذا خالط الكمتة مثل صدإ الحديد قيل ناقة جأواء وبعير أجأى بين الجؤوة، فإذا خلط الحمرة صفرة كالورسقيل أحمر رادني وناقة رادنية، فإذا كان أسود يخلط سواده بياض كأنه

---

(٨٩) ص٧١،٦٩،٧٠.

(٩٠) ص ٨٩.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

دخان رمث وكان البياض في بطنه [٩١].

ومراقهِ وأرفاغِهِ وكانَ السوادُ غالبَهُ فَتِلكَ الورقةُ وهي الأم الألوان، ويقال إن بعيرها أطيب الإبل لحما، فإذا اشتدت ورقته حتى يذهب البياض فهو أدهم وناقة دهماء وهي الدهمة، فإذا اشتد السواد عن ذلك فهو جونٌ وناقةٌ جونةٌ وإبلٌ جونٌ وجونات، فإذا ما الجون اصفرت أذناه ومحاجره وآباطه وأرفاغه فهو أصفر وناقةٌ صفراءُ وذلك اللون الصفرة، وإذا كان البعير رقيق الجلد بين الغبرة والحمرة واسع مواضعِ المج لينَ الوبرةِ تنفذه شعرة هي أطول من سائر الشعر فهو خوارٌ وهي الخور، فإذا غلظ الجلد واشتد العظم وقصرت الشعرة واشتدت الفصوص فهي جلدةٌ وهي الجلاد وهي من كل لونٍ أقل الإبل لبنا، فإذا صدق بياض البعير فلم تكن فيه صهبةٌ ولا حمرة ولم يخلطه شيء من الألوان فهو آدم وناقة أدماء، فإذا خلطته حمرة فاحمرت ذفاريه وعنقه وكتفاه وذروته وأوظفته فهو أصهب، فإذا خلط بياضه شيءٌ من شقرة فهو أعيس، فإذا اغبر حتى يضرب إلى الخضرة وإلى الغبسة فهو أخضرُ، ويقال ألوان الغبسة لون المذيق المجهود، فإذا خلط خضرته سواد وصفرةٌ فهو أحوى، قال الشاعر:

أرسلتُ فيها مجفرًا درفسا.. أَدهَمَ أحوى شاغِريًّا حَمِسَا

والمجفرُ العظيم الجفرة، والدرفس الغليظ الشديد، والحميس الشديد الغضب ححمس يحمس حمسا، والشاغري نسبه إلى بعيرٍ يقال له شاغر، فإذا كان شديد الحمرة يخلط حمرته سوادٌ ليس بناصعٍ خالصٍ فتلكَ الكلفةُ يقالُ بعيرٌ أكلف وناقة كلفاء. [٩٢].

**٣- أسماء خيل العرب وفرسانها أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (المتوفى: ٢٣١هـ) تحقيق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضّمان الناشر: دار البشائر، دمشق - سورية الطبعة: الثانية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.**

**- ورد مفهوم الاستعمال من خلال النماذج التي سنعرض لها فيما يلي:**

**١- تطور الاستعمال عنده ليعلل سبب استعمال هذا الاسم أو ذاك وإطلاق عليه اللفظ الموضوع له في أصل لغتهم ومثال ذلك:**

- تسمية خيل بني هاشم

كان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، خمسة أفراس: الظرب ولزاز والسكب والمرتجز، وإنما سمي المرتجز لحسن صهيله[٩٣].

- خيل بني أسد

جريبة بن الأشيم الفقعسي، فرسه: خراج، قال فيها:

(٩١) ص ١٤٥.
(٩٢) ص١٤٥، ص ١٤٦.
(٩٣) ص٢٦.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والله ما منوا علي وإنما.. منت خراج علي حين تصدف
عرقت وأنجى نحرها كأنها.. خلفي وبين يدي عجلة مخلف
العجلة: القربة. المخلف: الذي يأتي القوم، وهم في ربيعهم، بالماء العذب من موضع آخر (٩٤).

- خيل عمرو بن تميم

طريف بن تميم بن نامية، من بني عدي بن جندب بن العنبر، وكان يسمى ملقي القناع، لأنه أول من ألقى القناع بعكاظ وقال: من شاء فليطلبني. اسم فرسه الأغر، قال فيه: تحتي الأغر وفوق جلدي نثرة.. رغف ترد السيف وهو مثلم (٩٥).

**٤- الجراثيم المؤلف: ينسب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ) حققه: محمد جاسم الحميدي قدم له: الدكتور مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق.**

**- ورد مفهوم الاستعمال من خلال النماذج التي سنعرض لها فيما يلي:**

**- مفهوم الاستعمال اللفظ الموضوع له في أصل لغتهم ومثال ذلك:**

**باب النفس والجسم والشخص:**

سامحت قرونه وهي النفس، وهي القرونة.
والجرشى، على فِعلَّى، النفس.
والحوباء والقتال وهي الضرير.
والذماء: بقية النفس، ذمى يذمي إذا تحرك، ومثله الحشاشة، والذّماء: الحركة.
والشراشر: النفس والمحبة جميعًا لم يذكره الخليل، ومثله النّسيس.
والقتال: بقية الجسم والنفس كليهما.
والجرم: الجسم، وفلانٌ قد جمع جراميزه أي جسمه إذا تقبض واجتمع.
وشخص الإنسان وطلله وقوامته وآله: شخصه.
والجثمان: الشخص مثل جثمان القطاة.
والجسمان: الجسم، ويقال: نجل جسمانه للجسم، ويقال للجسم: الأجلاد والتجاليد، يقال: فلانٌ عظيم الأجلاد، وقد نحلت أجلاد فلانٍ.
والقمة: شخصه إذا كان قائمًا، يقال: فلانٌ طويل القمة، وقصير القمة، وقمة الرأس أعلى الرأس ووسطه.
ويقول: إنه لحسن السّحناء، وحسن السّحنة وجاءت فرس فلان حسنة السحنة، وحسنة السحناء، ومسحنةً: إذا كانت حسنة الحال: والسحن لين البشرة.

(٩٤) ص٣٢.
(٩٥) ص٣٩، ٤٠.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وسماوة كل شيء: شخص أعلاه.
وشدف كل شيء: شخصه، والجماع الشّدوف.
وشبَحه وشبْحه، مثقّلٌ ومخفّفٌ، شخصه.
وأمّة الإنسان: قامته، يقال: هو حسن الأمة أي القامة، والجمع الأمم. ويقال: هو حسن القامة والقومة والقوميّة والقوام. (٩٦).

**- مفهوم الاستعمال يشمل التعريف بدلالة الألوان وبيان ألفاظها لئلا تختلط ألفاظها وتخصيص استعمالها من العام إلى الخاص ومثاله:**

**باب الألوان:**

رجلٌ أدعج ودغمان: أسود، ودحسمان إذا كان فيه عظمٌ، وحمحمٌ وأظمى: أسود، وظمياء: سوداء الشفتين، وأشحم، ويحموم وأصفر: أسود، قال الأعشى:

تلكَ خيلي منهُ وتلكَ ركابي.. هنَّ صفرٌ أولادها كالزّبيبِ

والأصحم: سوادٌ إلى الصفرة.
والأصبح: قريبٌ من الأصهب، ونحوه الأصحر، والأنثى صحراء.
والدّملص والدّمالص: الذي يبرق لونه وبعضهم يقول: دلميصٌ ودلامصٌ.(٩٧).

**- مفهوم الاستعمال يشمل تصنيف وبيان ألفاظ الطعام وألوانه واللحم ومعالجته وإطعام الناس لئلا تختلط ألفاظها وتخصيص استعمالها ليبين أنه كما أن لكل مناسبة طعام مخصوص فكذلك له ألفاظ مخصوصة ومثاله:**

**أبواب الطعام وألوانه واللحم ومعالجته وإطعام الناس:**

الوليمة: طعام العرس. والنقيعة: طعام الأملاك، يقال منه نقعت أنقع نقوعًا، وأولمت إيلامًا.
والوكيرة: ما يصنع عند البناء، وكرت توكيرًا.
الخرس: ما يصنع عند الولادة، فأما الذي تطعمه النفساء نفسها فهي الخرسة، وقد خرّست.
والإعذار: ما يصنع عند الختان، وقد أعذرت.
وكل ما صنع لدعوةٍ فهي مأدَبةٌ ومأدُبةٌ، وقد أدبت أودب إيدابًا، ويقال: آدبت أدبًا.
ويقال: النقيعة: ما صنعه الرجل عند قدومه من سفره، يقال: أنقعت إنقاعًا.
السلفة واللهنة: ما يتعجله الإنسان بل غذائه، ويقال في معناه: لهّجتهم.
والقفيّ: الذي يكرم به الرجل من الطعام، يقال قفوته، قال سلامة بن جندل:
يسقى دواءَ قفيِّ السكن مربوب (٩٨).

---

(٩٦) ص١٥١.
(٩٧) ص٢٣١.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**تعليق عام على كتب الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد وظهور مفهوم الاستعمال فيها:**

١- شملت كتب الإنسان والحيوان فقد كان للإنسان والحيوان حظ كبير من الاهتمام بالدراسة وعرض لأجناسه وأسمائه وصفاته وأعضائه وأصوليته ولباسه وكل ما يتعلق بها من قبل اللغويين، فألف في خلق الإنسان ،خاصة، وفي الخيل والإبل نظرا لعلاقتهما الوطيدة بالإنسان العربي سلما وحربا ، وقد تنوعت مؤلفاتهم فيهما.

٢- هناك من المؤلفين المتأخرين من عنون كتابه بـ"الحيوان" ولم يخصص نوعا معينا كالإبل أو الخيل أو الطير أو الشاء أو الغنم أو غيرها، كما هو الحال مع الرسائل اللغوية المختلفة، ومنهم الجاحظ في كتابه
"الحيوان" والذي "عني فيه بالجوانب الطبيعية في دراسة الحيوان أكثر من الجانب اللغوي الذي تميزت به كتب الحيوان الأخرى، على أنه لم يهمل الناحية اللغوية إهمالا كاملا، فكثيرا ما يعرض للألفاظ بالشرح والتفسير والاستشهاد، فالكتاب يشمل النواحي العلمية والأدبية واللغوية أيضا [٩٩]، فالكتاب يشمل النواحي العلمية والأدبية واللغوية وأيضًا.

٣- في الغالب لم يكن لهذه المواد ترتيبا معينا ما عدى بعض الترتيب المنطقي، الذي تفرضه بعض الموضوعات، مثلا في خلق الإنسان الحمل الولادة الرضاعة...إلخ، وذلك لما تفرضه طبيعة هذه الموضوعات وليس كلها.

٤- وبالعودة إلى معجم الشرقاوي نجد حصرا بكل المؤلفات في هذا الميدان باستثناء بعضها، ولعل تكملتها في كتابي: حسين نصار وآل ياسين. وهي تحمل العناوين الآتية مثل كتب حول الإنسان والحيوان: وتضم كتب الإنسان والخيل والإبل وكتب الحشرات، وكتب الوحوش و كتب الفرق وهي نمط من المعاجم دون فيه مؤلفوه ألفاظا تسمى بها أعضاء مشتركة بين طوائف من الحيوان، ويكون لكل عضو منها عند الحيوان الذي يحمله استعمال باسم خاص يفرقه عن مثله في سواه، كما أوردوا فيها أيضا أسماء صغار الحيوان وأسماء أصواته وجماعاته، يقال هي الشفة من الإنسان وهو المستقر من ذوات الخف، فأما ذو الحافر فله الجحفلة ... إلخ[١٠٠].

٥- شمات كتب حول العالم الخارجي للإنسان ولعل أهم موضوعاته كتب النبات

---

(٩٨) ص٣١٥.

(٩٩) المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين نصار، دار مصر للطباعة والنشر، الطبعة ٤، مصر ١٩٨٨، ج١، ص ١٢٣.

(١٠٠) عبد الحميد الشلقاني دار المعارف، دون طبعة، مصر، ١٩٧١ رواية اللغة، ص١١٤-١١٣.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والجغرافيا أو البلدان والمواضع. وأيضا كتب النبات التي نكر الشرقاوي منها ما يقارب ثلاثين كتابا.

٦- الواضح في مؤلفي هذا النمط من المعاجم أنهم لم يخضعوا مادتهم لترتيب معين، " ولكن مؤلفات هذه المرحلة كانت ممهدة لظهور كتاب جليل القدر في صفات النبات وأسماء أعيانه كان وسطا بين المعجم اللغوي العام والمعجم العلمي المختص، وهو كتاب " النبات" لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوريت ٢٨٢ه - ٨٩٥م، والكتاب ليس مجرد رسالة في صفات النبات وأسماء أعيانه، بل هو موسوعة في حوالي ستة أجزاء، أربعة منها في موضوع النبات عامة، واثنان في مصطلحات النبات خاصة مرتبة على حروف المعجم [١٠١].

وأيضا كتب الجغرافيا والبلدان والمواقع حيث اهتم اللغويون القدماء بتحديد البقاع والبلدان والأمكنة الواردة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، " فألفوا أول الأمر في جغرافيتها ثم تتوسع العمل في ذلك فكان لهذا الموضوع المعاجم الخاصة [١٠٢].

٧- بدأت المعجمية العربية في منتصف القرن الأول للهجرة أواخر القرن السابع الميلادي (انطلاقا من غريب القرآن والحديث، وكانت غليتها أولا وأساسا لتفسير غريب القرآن، وتاليا تفسير غريب الحديث، ولاحقا تفسير غريب الشعر واللغة ككل. ومما لا شك فيه هذه الكتب وكل الرسائل اللغوية المفردة في موضوعات مختلفة لغوية وغير لغوية تعتبر نواة المعاجم اللغوية العربية الكبيرة واحتلت حصة كبيرة من مساحتها العامة.

٨- إن الرسائل اللغوية المفردة لا تعتبر مرحلة أولى للمعاجم العربية ثم توقف التأليف فيها، بل ظلت مستمرة حتى بعد نضج المعاجم مع الخليل ومن جاء بعده كما رأينا، وهي تختلف فيما بينها من حيث الشمول، حتى قارب بعضها المعاجم العلمة، فصارت بذلك معاجم مختصة في مجال معين مثل النهاية في غريب الحديث لابن الأثير والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني، وكتاب النبات للدينوري وغيرها أو ما يطلق عليه حديثا بمعاجم الحقل الدلالي.

تعد معاجم الموضوعات امتداد للرسائل المفردة من جهات عدة، منها أنها ضمت

---

(١٠١) المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، إبراهيم بن مراد، دار الغرب -لإسلامي، طبعة ١، تونس، ١٩٩٣، ص ٢٦.

(١٠٢) المعجم العربي، بحوث في المادة و المنهج و التطبيق، زكي رياض قاسم، ، دار المعرفة طبعة ١، بيروت ١٩٨٧،ص ١٩٤، تشكل بناء المعجم العربي دراسة وصفية تحليلية أنموذج الصوتيات الوظيفية، رسالة دكتوراة ، يمينة مصطفاي، جامعة البليدة ٢ ، البليدة ديسمبر ٢٠١٣، ص٣٩، ٤٠.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أكثر من موضوع جزئي تحت باب واحد، فجمعت أكبر قدر ممكن من موضوعاتها، هذا من حيث الحجم. ومن حيث المنهج، فإن أصحاب الرسائل اللّغوية الصغيرة وضعوا أسس تأليف كتب الموضوعات، ولكنهم أضافوا إليها، وتوسعوا في الشرح والتفسير واستطردوا في فكر الشواهد، وأهم من ذلك كله أعادوا ترتيب المواد وتنظيمها وتنسيقها. وترتيبها موضوعيا غالبا ما يكون المنطق هو الأساس المعتمد في ذلك. فهي: أكبر حجما، تجمع أكثر من رسالة واحدة، تجمع الرسائل المتشابهة في حقل واحد موضوع واحد، أكثر شرحا واستيعابا لمعنى المفردات، أكثر تنظيمًا وترتيبا للمنهج.

٩- عرفت هذه المعاجم تسميات مختلفة كالصفات والألفاظ والغريب المصنف ومعاجم الموضوعات ومعاجم المعاني، وكلّها تطلق على نمط متشابه من التأليف مختلف تماما عن معاجم الألفاظ.

حصر المعجميون العرب الجمع زمانيا بما قيل أو سمع من أدب الجاهلية أو صدر الإسلام ومكانيا فيما نطقت به البدو دون الحضر لم يدونوا في معاجمهم " إلا ما صح لهم رواية ودراية وسماعا من أصحاب اللغة الأصلاء " حسب تعبير صاحب الصحاح، ونسجوا على نسق سابقيهم متجاهلين الكثير من مصطلحات العلوم والفنون المختلفة ومصطلحات المظاهر الحضارية والحياتية التي ابتكرت وسرت على يد علماء كبار في شتى دروب المعرفة كالطب والنبات والرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافية، التي قد خصصت لها مكانها في المعجم المختص. وعلى هذا التحديد لنوع ومكان وزمان المصادر، مع أغلب المعاجم القديمة كما رأينا فإنها تضيق دائرة اللغة ولا تكاد تسلّم إلا بما لتفق واصطلح عليه علماء اللغة من مكان وزمان محددين تقريبا عند أغلبهم، وبتضييق دائرة اللغة وإهمال عصورها الأخرى تغفل بل تلغي قانون التطور الذي تتعرض له أي لغة من اللغات وهو ضرورة حتمية لوجودها وبقائها واستمرارها أيضا.

١٠- بالإضافة إلى أن هذه المعاجم قد اشتركت فيما بينها خاصة في وحدة المتن اللغوي الذي تحتويه فلم تتطور مادتها إلا قليل مما يجب ويتطلبه الوضع اللغوي الواقعي في كل فترة، فكان المعجم العربي يعيد نفسه في كل مرحلة من مراحل تاريخه إلى يومنا هذا، فثمة رصيد هائل من المولدات الموضوعية والمستعملة طول عشرة قرون تاريخ العربية تحمل مفاهيم مجردة وأدوات وتقنيات لم تحض باهتمام مصنفي المعاجم اللغوية القديمة فلم يتطور المعجم العربي في محتواه، لأن مصادره القديمة والحديثة ينقل بعضها عن البعض، وصولا إلى المعاجم الحديثة. حيث إن متطلبات المعجمية العربية القديمة واحتياجاتها تختلف تمام الاختلاف عنها حديثا، لكن المحدثين ما زالوا يؤلفون على نفس النمط والنظام، وتضم معاجمهم تقريبا نفس


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المتون اللغوية المدخل الشرح الشواهد، المعلومات الصوتية، الصرفية، النحوية... إلخ، التي ضمتها المعاجم القديمة، رغم أن الواقع اللغوي يختلف أشد الاختلاف فيما بينها.

١١- إن القدماء بتمسكهم بمبادئ الصَّفويَّة اللغوية، إنما كان لِدِفاعِهم عن لغة القرآن أولاً، ولخوفهم من ضياع اللغة السليمة ثانيًا، فجعلوا المعاجم مجموعات اللغة فحفظت وحدتها وخلصتها من الانقسام إلى لغات مختلفة، على غير ما حدث للغة اللاتينية. أما المحدثون فقد كان تمسكهم بمبادئ الصَّفويَّة اللغوية بدافع الخوف أيضًا من ضياع اللغة، ولكن بشكل مختلف وهو خوف من فساد اللغة وعزلها عن الاستخدام الحقيقي وواقع الحياة.

فالخطر متشابه، ولكن بينهما فرق دقيق يفترض فروقًا دقيقة أيضًا بين المعجميتين القديمة والحديثة – ولا بأس لهذه الأخيرة من الاستناد للقديمة، ولكن مع مراعاة المستجدات الوضع والواقع اللغوي الحديث، ليس على مستوى النصوص (المداخلات) فقط، بل خاصة على مستوى البناء الداخلي والخارجي أيضًا. وبذا يمكننا القول إن المعجم العربي القديم قد استوعب تقريبًا كل اللغة العربية بمستوياتها المتباينة المختلفة، ولكن ليست مجتمعة في معجم واحد، بل موزعة بانتظام على المعاجم العامة والمتخصصة على حد سواء. فنجد الغالب في المعاجم اللغوية هو الفصحى، ونجد المولد والأعجمي ودونهما في المعاجم المتخصصة، والعلمية منها خاصة [١٠٣].

(١٠٣) تشكِّل بناء المعجم العربي دراسة وصفية تحليلية نموذج الصوتيات الوظيفية، رسالة دكتوراه، يمينة مصطفاي، جامعة البليدة ٢، البليدة ديسمبر ٢٠١٣، ص٢٦١ و٢٦٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المصادر والمراجع:**


١. الأصمعي اللغوي، عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
٢. تشكل بناء المعجم العربي دراسة وصفية تحليلية أنموذج الصوتيات الوظيفية، رسالة دكتوراة، يمينة مصطفاي، جامعة البليدة ٢، البليدة ديسمبر ٢٠١٣.
٣. تشكيل بناء المعجم العربي دراسة وصفية تحليلية نموذج الصوتيات الوظيفية، رسالة دكتوراة، يمينة مصطفى، جامعة البليدة ٢، البليدة، ديسمبر ٢٠١٣.
٤. تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري: ٢١٣ - ٢٧٦ هـ المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية، لعلها مصورة عن الطبعة المصرية ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة،١٩٥٨، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٥. دروس في المعجمية، دكتور الطاهر نعيجة، الجزائر - ٢٠١٧-٢٠١٨م.
٦. طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي - بتحقيق: محمد أبو الفضل، ط ٢ نشر دار المعارف بمصر.
٧. عبد التواب الأكرم: ابن منظور، دار البشرى، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٥١.
٨. عدنان الخطيب، المعجم العربي، مطبعة الرقي، دون طبعة، دمشق، ١٩٦٥.
٩. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ت ٢٢٤ هـ المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم مراجعة: الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٠. غريب الحديث، طبعة أخرى، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
١١. مباحث في تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ) إشراف: محمّد عوض مرعب علّق عليها: عمر سلامي / عبد الكريم حامد تقديم: الأستاذة فاطمة محمّد أصلان الناشر: دار احياء التراث العربي / بيروت لبنان.
١٢. مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عباس. تحقيق: د. محمد أحمد الدالي. دار النشر: الجفان والجابي. سنة الطبع: الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
١٣. المعاجم العربية موضوعات وألفاظًا دكتور فوزي يوسف الهابط الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ام الولاء للطبع والتوزيع شبين الكوم.
١٤. معجم الأدباء، نشر دار المأمون.
١٥. المُعجَم العَربيُّ: نشأته وتطوره، لحسين نصار، د. ط.
١٦. المعجم العربي، بحوث في المادة و المنهج و التطبيق، زكي رياض قاسم، دار




ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المعرفة طبعة ١، بيروت ١٩٨٧.
١٧.المعجم العربي، نشأته وتطوره، حسين نصار، دار مصر للطباعة والنشر، الطبعة ٤، مصر ١٩٨٨.
١٨.المعجم العلمي العربي المختص حتى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، إبراهيم بن مراد، دار الغرب -لإسلامي، طبعة ١، تونس، ١٩٩٣.
١٩.مقدمة البلغة في شذرات اللغة - نشر: أو جست هفتر ولويس شيخو - ط ٢ مط الكاثوليكية - بيروت سنة ١٩١٤م.
٢٠.مقدمة كتاب النوادر لأني مسجل الأعرابي، د. غزه حسن. مطبوعات مجمع الله العربية بدمشق سنة ١٩٦١م.
٢١.من قضايا المُعجَم العَربيُّ، للموافي البيلي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ٩٩٥م.
٢٢.النوادر تأليف أبي مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش عني بتحقيقه الدكتور عزة حين مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
٢٣.وفيات الأعيان - لابن خلكان - بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر النهضة المصرية.

**Translation of sources and references**:

1- Al-Asma'i the Linguist, Abdel Hamid Al-Shalqani, Dar Al-Ma'aref, Cairo, Dr. T.
2- The construction of the Arabic lexicon, a descriptive analytical study, the functional phonetics model, PhD thesis, Yamina Mostafai, University of Blida 2, Blida, December 2013.
3- Forming the structure of the Arabic lexicon, a descriptive analytical study, the functional phonetics model, PhD thesis, Yamina Mustafa, University of Blida 2, Blida, December 2013.
4- Interpretation of Ghareeb Al-Qur'an by Ibn Qutaybah, Abdullah bin Muslim Al-Dinouri: 213 - 276 AH. Editor: Ahmed Saqr. Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, perhaps illustrated for the Egyptian edition, published by Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabi in Cairo, 1958, year: 1398 AH - 1978 AD.
5- Lessons in lexicography, Dr. Taher Naija, Algeria - 2017-2018 AD.
6- Classes of Linguists and Grammarians by Al-Zubaidi - edited by: Muhammad Abu Al-Fadl, 2nd edition, published by Dar Al-Maaref


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

in Egypt.
7- Abd al-Tawab al-Akram: Ibn Manzur, Dar al-Bushra, Cairo, 1998, p. 251.
8- Adnan Al-Khatib, The Arabic Dictionary, Al-Raqqi Press, without edition, Damascus, 1965.
9- Ghareeb Al-Hadith, Abu Ubaid Al-Qasim bin Salam Al-Harawi, d. 224 AH Editor: Dr. Hussein Muhammad Muhammad Sharaf, Professor at the College of Dar Al-Ulum Reviewed by: Professor Abdul Salam Haroun, Secretary General of the Arabic Language Academy Publisher: General Authority for Princely Press Affairs, Cairo Edition: The first, 1404 AH - 1984 AD.
10- Gharib al-Hadith, another edition, by Abu Ubaid al-Qasim bin Salam bin Abdullah al-Harawi al-Baghdadi (deceased: 224 AH), editor: Dr. Muhammad Abdul Mu'id Khan, Publisher: Ottoman Encyclopedia Press, Hyderabad - Deccan, First Edition, 1384 AH - 1964 AD.
11- Investigations in the refinement of the language, author: Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (deceased: 370 AH) Supervised by: Muhammad Awad Merheb Commented on: Omar Salami / Abdul Karim Hamid Presented by: Professor Fatima Muhammad Aslan Publisher: Arab Heritage Revival House / Beirut, Lebanon.
12- Issues by Nafi' bin Al-Azraq on the authority of Abdullah bin Abbas. Investigation: Dr. Muhammad Ahmed Al-Dali. Publishing House: Al-Jifan and Al-Jabi. Year of publication: First edition (1413 AH - 1993 AD.(
13- Arabic dictionaries, topics and words, Dr. Fawzi Yousef Al-Habit, first edition, 1413 AH - 992 AD, Al-Walaa for printing and distribution, Shebin Al-Koum.
14- Dictionary of Writers, published by Dar Al-Ma'moun.
15- The Arabic Dictionary: Its Origins and Development, by Hussein Nassar, Dr. i.
16- The Arabic Dictionary, Research on Material, Method and Application, Zaki Riad Qassem, Dar Al-Ma'rifa, 1st edition, Beirut 1987.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

17- The Arabic Dictionary, its origins and development, Hussein Nassar, Dar Misr for Printing and Publishing, 4th edition, Egypt 1988.
18- The specialized Arabic scientific dictionary until the middle of the eleventh century AH, Ibrahim bin Murad, Dar Al-Gharb - Islamic, 1st edition, Tunisia, 1993.
19- Introduction to Language in Fragments of Language - published by: Just Haftar and Louis Sheikho - 2nd edition of the Catholic Edition - Beirut in 1914 AD.
20- Introduction to the book Al-Nawader because I am the recorder of the Bedouins, Dr. Gaza Hassan. Arabic publications of the Council of God in Damascus in 1961 AD.
21- From Issues in the Arabic Dictionary, by Al-Mawafi Al-Baili, first edition 1416 AH - 995 AD.
22- Al-Nawadir, written by Abu Mashal Al-Arabi, Abdul-Wahhab bin Harish, whose verification was narrated by Dr. Azza, while the publications of the Arabic Language Academy in Damascus, Part One, Damascus 1380 AH = 1961 AD.
23- Deaths of Notables - by Ibn Khallikan - edited by Muhammad Muhyiddin Abdel Hamid, published by Al-Nahda Al-Misriyah.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

# الاحتجاج عند نحاة شبه القارة الهندية

**Inference among the Indian subcontinent's syntax grammarians**


## إعداد

**حافظ محمد خليل**

**Hafez Muhammad Khalil**

**باحث دكتوراه - باكستاني**



***Doi: 10.21608/mdad.2023.322132***

**استلام البحث** ٢٠٢٣/٩/٩

**قبول النشر** ٢٠٢٣/٩/٢٤

خليل، حافظ محمد (٢٠٢٣). الاحتجاج عند نحاة شبه القارة الهندية. ***المجلة العربية لمـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٣)، ١٧١-١٩٤.

***http://mdad.journals.ekb.eg***

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

## الاحتجاج عند نحاة شبه القارة الهندية

**المستخلص:**

يظهر لنا من خلال البحث المذكور أن نحاة شبه القارة الهندية يجيزون الاحتجاج من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية، حيث يعدّ القرآن الكريم أول دليل من أدلة الاحتجاج بالنقل من قبل جميع النحاة في شبه القارة، وأما الأحاديث الشريفة كانت وما تزال المورد الثاني بعد القرآن لغة ونحوًا عند نحاة شبه القارة، وأما الشواهد الشعرية فلا يختلف النحاة في شبه القارة عن الآخرين ممن سبقهم من إكثارهم الاستشهاد بالشواهد الشعريَّة، فلا تكاد كثير من المسائل النحوية تخلو من شاهد شعري سواء كان استشهادًا أو تمثيلًا، مع ذلك ما يبرز في كتبهم أنهم يحتجّون من الأبيات أكثر من الأحاديث وأقل من القرآن الكريم.

**الكلمات المفتاحية:** الاحتجاج بالنقل ـ المسائل النحوية.

**Abstract:**

The research shows that the Indian subcontinent's syntax grammarians allow to inference from the Quran, hadith and poetic verses. The Holy Quran is considered first evidence of inference transmission by all grammarians in the sub-continent. As for the hadiths, they are still the second resource of evidence after the Qur'an in language and syntax for the grammarians. The poetic evidence, the grammarians in the sub-continent have no different from the others in their abundance of citation of poetic evidence. Almost many syntactical issues are devoid of a poetic evidence, whether it is martyrdom or representation. However, what appears in their books is that they argue from the verses more than the hadiths and less from the Holy Qur'an.

**Keywords**:inference by transmission-grammatical issues-inference by mind .



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المقدمــة:**

الاحتجاج لغة: الحَجّ والقصد، والحُجَّة: البُرْهَان، وَقِيْلَ: الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الخَصْمُ والوَجْهُ الّذِيْ يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخَصُوْمَةِ.[١]

والحُجّةُ: مَصْدرٌ بِمَعْنَى الاحْتِجَاجُ.[٢]

والاحتجاج اصطلاحًا: هو الاستدلال بأقوال من يحتج بهم في مجال اللغة والنحو- وهو يرادف في هذا الاستشهاد- ويقابله التمثيل.[٣]

والاحتجاج من الموضوعات التي نالت اهتمام أصحاب النحو واللغة قديمًا وحديثًا، ومن خلال هذا المصطلح يمكن إثبات أي مسألة أو قاعدة من المسائل والقواعد النحوية، ويُعد السَّماع الأساس الأول في تقعيد اللُّغة، وبعد ذلك لحق به القياس في أولياته.

ويمكن أن نقسم الاحتجاج إلى قسمين: الاحتجاج النقلي: وهو الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي وأقوال الصحابة والتابعين والأقوال والأمثال العربية المأثورة والشواهد الشعرية والأراجيز، وهذا ما سنعرضه بعد قليل، والاحتجاج العقلي: والذي يشمل أنواعًا من الاستدلال العقلي مثل: التأويل والسَّبر والتقسيم والمعارضة والتعارض والترجيح والإحالة أو المناسبة وقياس الطرد والاستدلال بالأولى.[٤]

**أولًا: الاحتجاج بالقرآن الكريم:**

يُعدُّ القُرآن الكريم أول دليل من أدلّة الاحتجاج بالنقل، ولا يختلف عليه من قبل جميع النحويين واللغويين وفي مؤلفاتهم، إذ لا يعلو على كلام الله تبارك وتعالى كلام، وكما قال صاحب خزانة الأدب: "أمَّا ربنا- تبارك وتعالى- فكلامه- عزَّ اسمه- أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواترة وشاذه".[٥]

"فهو أول مصدر من مصادر اللغة في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغيَّة؛ لذا اعتمد عليه جميع النحويين والصرفيين والبلاغيين وأصحاب المعاجم، وهذا ما يمكن ملاحظته وإثباته في كلّ كتاب من كتب النحو واللغة

---

١- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار المعارف، سنة: (٢٠١٦م) ٢٢٦/٢، ٢٢٨.

٢- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة- بيروت، سنة النشر: (١٩٥٨م)، مادة: (ح،ج،ج) ٣٠/٢.

٣- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، الناشر: مؤسسة الرسالة- دار الفرقان، سنة النشر: (١٩٨٥م)، الطبعة الأولى، ص٦١.

٤- موازنة بين شرح الرضي الأستراباذي وشرح ابن جماعة على كافية ابن الحاجب، رسالة الدكتوراه لأمة السلام الشامي، حزيران، سنة: (١٩٩٨م)، ص٢٢٠.

٥- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: (١٤١٨م-١٩٩٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ٩/١.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والصرف بدون استثناء".[٦]

وقد وصل القرآن الكريم إلينا بقراءات موصولة السند متصلة السلسلة إلى رسول الله- صَلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّم-، وقد قسّم القرّآء القراءات إلى متواترة وأحاد وشاذة، وجعلوا المتواتر السبع والأحاد الثّلاث المتمّمة لعشرها، ثمَّ ما يكون من قراءات الصحابة مما لا يوافق ذلك، وما بقي فهو شاذ- وقد بذل القُرآء جهودًا عالية في تحقيق القراءات وإرجاعها إلى رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-، ولو رجعت في كتب القراءات إلى تسلسل النقل في طرقه لرأيت مثلا أعلى من أحكام الضبط والتدقيق البالغ غايته في شتّى النواحي المتصلة بالقرآن الكريم وكلماته وآياته وطرق أدائه.[٧]

فإن موقف نحاة شبه القارة من هذا المصدر والدليل المهم الذي لا يعلو عليه دليل آخر كان موقفًا إيجابيًّا، لا يخرج عن موقف النّحاة والعلماء الذين أجمعوا على أنه أعلى نص بلغة العرب، كما يقول الدكتور أبو بكر-الباكستان- في مقاله:

"وأجمع اللغويون على الاستشهاد به حفاظًا على متانة الالفاظ العربية، وصيانة الأسلوب من كل زيغ..... وما زال القرآن الكريم مصدرًا رئيسيًّا للاستشهاد اللغوي عند اللغويين، وضمت مؤلفاتهم المتعددة نصوصًا كثيرة".[٨]

**الأمثلة:**

وهنالك كثير من الآيات القرآنية المنتشرة في كتب نحاة شبه القارة، وقد اخترت بعض النماذج النحوية التي تدلّ على استشهاد النحاة بالآيات القرآنية سواء أكان يؤيدها أو يدحضها.

**مسألة حذف الفعل وجوبًا:**

وقد يُحذف نوع من الأفعال وجوبًا، كما تحدّث محمد غلام سرور (ت١٣٠٧هـ) عن هذا الحذف في شرحه للهداية في النحو، حيث يقول: "وقد يُحذف الفعل الرافع للفاعل وجوبًا لقرينة دالة على تعيينه، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾،[٩] أي في كل موضع حُذف الفعل، ثم فُسّر لرفع الإبهام الناشي من الحذف، والغرض من الإتيان بهذا الظاهر تفسير المقدر، لو ذكر المفسَّر لم يبق المفسِّر

---

٦- رضي الدين الأستراباذي نحويا، رسالة ماجستير لأحياء عادل الحجاج، سنة (٢٠٠٣م)، جامعة موته، ص٩٠.

٧- ابن جني النحوي، فاضل صالح السامرائي، دار النذير ببغداد، سنة النشر: (١٩٦٩م)، ص١٢٥،١٢٤.

٨- المقال: الاستشهاد اللغوي ومصادره: المناهج والقواعد، الدكتور أبو بكر، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الرابع والعشرون، (2017م)، ص ١٦٢.

٩- سورة التوبة، الآية: ٦.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مفسّرًا بل صار حشوًا وزائدًا ما هو خلاف الفصاحة والبيان."[١٠]

أوضح محمد غلام سرور في هذه المسألة أنَّ (أَحَدٌ) هنا في الآية السابقة فاعل وفعله محذوف وجوبًا، والذي أدى إلى هذا الحذف على الرغم من وجود الفعل المفسِّر له وهو قوله: (اسْتَجَارَكَ) الظاهر؛ لأنّ الغرض منه تفسير المقدر.

**مسألة معاني حرف اللام:**

وكما يستشهد محمد سعيد (ت١٤٠٦هـ) في شرحه من خلال ذكر معاني حرف "اللام"، حيث يقول: واعلم أن اللام تجيء لمعان أخرى أيضًا فمنها: الاستحقاق، نحو "الحمد لله"، ومنها: الملك، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾،[١١] ومنها: التمليك، نحو: "وهبت لزيد دينارًا"، ومنها: شبه التمليك، نحو قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾،[١٢] ومنها: موافقة "إلى"، نحو قوله تعالى: ﴿بِأَنّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾،[١٣] أي: إليها، ومنها: موافقة "على"، نحو قوله تعالى: ﴿وَتَلَهُ لِلْجَبِينِ﴾،[١٤] أي: على الجبين ونحو: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾،[١٥] أي: فعليها، ومنها: موافقة "في"، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾،[١٦] أي: في يوم القيامة.....[١٧]

نلاحظ في هذه المسألة أن الشارح يستشهد من القرآن الكريم من خلال ذكره لمعاني اللام، حيث يذكر أنّ "اللام" تدل على المعاني المختلفة، منها: الاستحقاق والملك والتمليك وشبه التمليك وموافقة "إلى" وموافقة "على" وموافقة "في" وغيرها من المعاني، ويأتي الاستدلال من القرآن الكريم.

**مسألة الإشارة إلى المثنّى والمجموع بلفظ "ذلك" المفرد:**

يجوز الإشارة إلى المثنّى والمجموع بلفظ "ذلك" المفرد، كما ورد في معارف الكافية وعوارف الجامي حيث يقول مؤلفه رشيد أحمد (ت١٤٢٥ه) مستشهدًا من القرآن الكريم: "فإن قيل: هل جاء استعمال لفظ "ذلك" في المثنى في الكلام الفصيح، قلنا: نعم قد جاء في القرآن الكريم استعمال لفظ "ذلك" في المثنى، وهو قوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ

---

١٠- انظر: مصباح المعاني شرح شرح مُلّا جامي (باللغة الأردية) للشيخ محمد غلام سرور، الناشر: المكتبة القديمة، كراتشي- باكستان، بدون سنة الطبع، ص١٨٠.

١١- سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

١٢- سورة النحل، الآية: ٧٢.

١٣- سورة الزلزلة، الآية: ٥.

١٤- سورة الصافات، الآية: ١٠٣.

١٥- سورة الإسراء، الآية: ٧.

١٦- سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

١٧- الفرح الكامل على شرح مائة عامل للعلامة محمد سعيد (ت١٤٠٦هـ)، الناشر: مكتبة المدينة، كراتشي- باكستان، ص١١.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ذَلِكَ﴾،[١٨] فالمشار إليه فيه هو الفارض والبكر، بل جاء استعماله في المجموع أيضًا، قال تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوْهًا﴾،[١٩] وكل من الاستعمالين المذكورين في القرآن الكريم بتأويل المذكور."[٢٠]

نلاحظ في هذه المسألة استشهادًا من القرآن الكريم على أنه يصح الإشارة إلى المثنى والمجموع بلفظ "ذلك" المفرد، حيث في الآية الأولى تُشار بذلك إلى المثنى وهما الفارض والبكر والجمع في الآية الثانية.

**مسألة علامات الاسم:**

يستشهد محمد يوسف حفظه الله من القرآن الكريم من خلال ذكر خواص الاسم في شرحه لشرح ملا جامي، حيث قال: "أنّ من خواص الاسم كونه مضافًا بتقدير حرف الجر لا بذكره لفظًا، ووجه اختصاصها بالاسم اختصاص لوازمها من التعريف والتخصيص والتخفيف به، وإن لم نخصّها بالمضاف بل نجعلها عامًّا أي المضاف والمضاف إليه فلم تكن هذه الإضافة خاصة من خواص الاسم؛ لأنّ الفعل أو الجملة قد يقع مضافًا إليه كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِيْنَ صِدْقُهُمْ﴾،[٢١] ثم يذكر قول بعض الأئمة أن المراد بالإضافة هنا عامًّا، وهذا بتأويل المصدر، أي: "يوم نَفْع الصادقين صِدْقُهُمْ، والمصدر يكون اسمًا."[٢٢]

نلاحظ في هذه المسألة، محاولة الشارح من خلال كلامه عن خواص الاسم، حيث ذكــر أن الإضافة من خواص الاسم والتي لم يذكرها بعض النحاة حتى لا تنطبق هذه الخاصيَّة على الفعل، بأن يضاف الظرف إليه، وأورد آية قرآنية للاستدلال على ذلك (فَيَوْمٌ) الظُّرف مضاف إلى (يَنْفَعُ) الفعل، وأضاف بأنَّ يومَ الظّرفُ عند بعض النحاة لم يضاف إلى الفعل بل إلى المصدر الدال عليه الفعل.

**مسألة علامات الفعل:**

ويستفيد المحشي: ابن داود عبد الواحد العطاري- حفظه الله- في كتابه من الاستشهاد بالقرآن الكريم حول ذكر علامات الفعل، كما يقول: "وقوله: (دخول قد)؛ لأنها إمّا للتقريب نحو: {قَدْ قَامَتْ الصَّلَوة}[٢٣] أو للتقليل نحو: "إنّ الكذوب قد يصدق" أو

---

١٨- سورة البقرة، الآية: ٦٨.

١٩- سورة الإسراء، الآية: ٣٨.

٢٠- معارف الكافية وعوارف جامي لِرشيد أحمد بن الحافظ (ت١٤٢٥هـ)، الناشر: المدرسة العربية قاسم العلوم، سوات- باكستان، الطبعة الأولى: سنة النشر: (١٤٢٥هـ)، ٢٢٠/٢.

٢١- سورة المائدة، الآية: ١١٩.

٢٢- انظر: أغراض شرح جامي (باللغة الأردية) محمد يوسف القادري، الناشر: شبير برادرز، لاهور- باكستان، سنة النشر: (٢٠١٧م)، ص١٣٠.

٢٣- سنن أبي داود، الراوي: أبو أمامة، رقم الحديث: (٥٢٨).



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

للتحقيق نحو: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾،[٢٤] وكلّ ذلك لا يتصوّر إلاّ في الفعل."[٢٥]

نلاحظ في هذه المسألة أن المحشي يستشهد من القرآن الكريم من خلال ذكره لعلامات الفعل، حيث يذكر أنّ "قد" من خواص الفعل ما يدل على المعاني المختلفة بعد دخولها على الفعل الماضي والمضارع.

**فائدة الاختصاص من التقديم والتأخير:**

وكما يستشهد محمد شبير النعيمي حفظه الله في شرحه من القرآن الكريم، حيث يقول:[٢٦] "يستفاد الاختصاص من التقديم ما هو حقه التأخير، كما هي القاعدة: "كل ما كان حقه أن يؤخر إذا قدّم فتقديمه يقتضي الاختصاص" كما ورد في القرآن الكريم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾".[٢٧]

نلاحظ في هذه المسألة فائدة الاختصاص من التقديم والتاخير كما رأينا قول الله تعالى الذي يفيد اختصاص الله تعالى بالعبادة؛ لأن تقديم المفعول وهو (إيَّاكَ) على عامله (نَعْبُدُ) يؤتى به للقصر والحصر، والمعنى: نخصك بالعبادة، أو لا نعبد إلا إيَّاك.

**مسألة الفاء:**

كذلك نرى كتاب "النحو الكامل" مزيّنًا بالاستشهاد من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، كما يقول صاحب هذا الكتاب في مقدمة كتابه: "هذا الكتاب مزيّن بالأمثلة من القرآن والأحاديث"،[٢٨] كما يقول من خلال بحث دلالة الفاء: "الفاء: تفيد الترتيب والتعقيب، ... والترتيب: له قسمين:

١- الترتيب بالمعنى: أن يتصل المعطوف بالمعطوف عليه بلا مهلة، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[٢٩]، ٢- الترتيب في الذكر:...."."[٣٠]

نلاحظ في هذه المسألة دلالة الفاء على الترتيب بالمعنى بالاستشهاد من القرآن الكريم، حيث دلت "الفاء" على أن قيام عدل الخلق بعد تسويته بلا مهلة، كما قال الباحث

---

٢٤- سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

٢٥- عناية النحو على هداية النحو، المحشي: ابن داود عبد الواحد، الناشر: مكتبة المدينة، كراتشي- باكستان-، الطبعة الخامسة (٢٠١٢م)، ص١٧.

٢٦- انظر: مختار النحو شرح هداية النحو لمحمد شبير النعيمي الهندي، الناشر: مكتبة أهل السنة، لاهور- باكستان، دون سنة النشر، ص٥.

٢٧- سورة الفاتحة، الآية: ٥.

٢٨- انظر: النحو الكامل (باللغة الأردية) جان محمد فريدي، الناشر: دار العلوم المدينة المنورة، أوكاره- باكستان، سنة النشر: (٢٠٠٨م)، ص١.

٢٩- سورة الانفطار، الآية: ٧.

٣٠- انظر: النحو الكامل (باللغة الأردية) جان محمد فريدي، ص٨٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عبد الله حميد غالب في رسالته:[٣١] والمراد بالترتيب المعنوي أن يكون المعطوف بها لاحقًا متصلًا بلا مهلة. كقوله تعالى: ﴿الذِيْ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾.[٣٢]

وكما يقول شارح هداية النحو في شرحه حول تقديم خبر "إنّ" على اسمه: "قوله: [إلا إذا كان ظرفًا] أي: أخبار باب "إنّ" تخالف خبر المبتدأ في جواز التقديم في الأوقات كلها إلا وقت كونه ظرفًا، فحينئذ يجوز التقديم لمجال التوسع في الظروف؛ وذلك لأنّ كل حدث لا بدّ من أن يكون في زمان ومكان، فصار الظرف مع الحدث كالقريب المحرم للشخص يدخل حيث لا يدخل غيره من الأجنبي، والجار والمجرور جار مجرى الظرف للمناسبة للظروف، إذ كل ظرف في التقدير جار ومجرور، ثم تقديم الخبر جائز إن كان الاسم معرفة، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[٣٣]، وواجب إن كان الاسم نكرة، نحو:.....[٣٤]

نلاحظ في هذه المسألة وجوب تقديم خبر "إنّ" على اسمه إن كان الاسم نكرة والخبر ظرفًا، وجائز إن كان الاسم معرفة كما رأينا في الآية السابقة، أنّ كل (إيابَهم وحِسَابَهُمْ) اسم إنّ مؤخّر منصوب، وكل (إلينا وعلينا) شبه الجملة خبر إنّ مقدّم جوازًا.

**مسألة معاني "أل":**

وكما يستفيد محمد أمين- حفظه الله- في توضيح المعاني من الاستشهاد بالقرآن الكريم في كتابه: حيث يقول:[٣٥] "ومثال الألف واللام الجنسية، "الرجل خير من المرأة"..... ومثال "ال" الاستغراقية في القرآن الكريم، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ﴾،[٣٦] ومثال "ال" للعهد الذهني في القرآن الكريم، ﴿وَاَخَافُ اَنْ يَّأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾"،[٣٧] ومثال "ال" للعهد الخارجي في القرآن الكريم، ﴿فَعَصٰى فِرْعَوْنُ الرَّسُوْلَ﴾.[٣٨]

نلاحظ في هذه العبارة معاني الألف واللام الجنسية استشهادًا من القرآن الكريم، حيث في الآية الأولى تدل "أل" على الاستغراق وفي الثانية تدلّ على العهد الذهني، فإن

---

٣١- الفاء في القرآن الكريم، الباحث عبد الله حميد غالب، رسالة ماجستير (١٩٨٦م)، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ص١٠.
٣٢- سورة الانفطار، الآية: ٧.
٣٣- سورة الغاشية الآية: ٢٦.
٣٤- وقاية النحو في شرح هداية النحو، ابن داود الحنفي، تقديم: مجلس المدينة العلمية، الناشر: مكتبة المدينة، كراتشي- باكستان-، الطبعة الأولى، (٢٠٠٦م)، ص٧٨.
٣٥- انظر: درسي تقرير (التقرير الدراسي) في شرح ملا الجامي (باللغة الأردية)، مولانا محمد أمين، الناشر: مكتبة فريدية، إسلام آباد- باكستان، ص١٥.
٣٦- سورة العصر، الآية: ٢.
٣٧- سورة يوسف، الآية: ١٣.
٣٨- سورة المزمل، الآية: ١٦.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اللام في الذئب عهد ذهني؛ لأنه يشار بها إلى فرد معين معلوم في ذهن المتكلم، وهو يعقوب نبيّ الله، ووضّحها أيضًا السيد أحمد الهاشمي قائلًا:[٣٩] "أل الجنسية: وتُسمَّى "لام الحقيقة" تدخل على المسند إليه للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مبهم، إذا قامت القرينة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[٤٠] ومدخولها في المعنى كالنكرة فيعامل معاملتها، وتُسمَّى لام العهد الذِّهني، أو بمعونة قرينة لفظية، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[٤١] أي كل إنسان بدليل الاستثناء بعده، ويُسمَّى استغراقًا حقيقيًّا." وأما في الآية الثالثة تدل على العهد الخارجي، كما يقول مصطفى الغلاييني:[٤٢] "إما أن تكون للعهد الذِّكريّ كقولكَ: "جاءني ضيفٌ فأكرمت الضيفَ" أي الضيف المذكور، ومنه قولُه تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾."[٤٣]

كذلك نجد كتب النحو في شبه القارة مزينة بالاستدلال من القرآن الكريم.

**ثانيًا: الاحتجاج بالحديث الشريف:**

يأتي الحديث النبوي الشريف في المرتبة الثانية من الأدلة النقلية أي بعد القُرآن الكريم مباشرة ونشب في هذا الدليل خلاف شديد وقوي يشمل جميع النحاة، ولم يستثنَ أحد في هذا الموقف، فهذا سيبويه احتجّ بأحاديث محدودة في كتابه، مع أنه أول كتاب يصل إلينا يجمع بين دفتيه أكثر من علم من علوم العربية، وهو مع احتجاجه به لا يصرّح بأن هذه العبارات التي احتج بها من الحديث.[٤٤]

ويأتي هذا الخلاف من باب هل يعتد بالحديث الشريف في الاستشهاد، ولاسيما وأن غالبيته نقل بالمعنى، وليس كما قال الرسول الكريم بالحرف الواحد لأمور تتعلق بطبيعة رواية الحديث وكيفية وصوله إلينا.

ويمكن أن نقسم موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف إلى ثلاثة أقسام:

---

٣٩- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، الناشر: المكتبة العصرية، الإصدار: (٢٠١٧م)، ص١١٣.

٤٠- سورة يوسف، الآية: ١٣.

٤١- سورة العصر، الآية: ٢.

٤٢- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، الناشر: المكتبة العصرية، سنة النشر: (١٩٩٤م)، رقم الطبعة: ٣٠، ١٤٧/١.

٤٣- سورة المزمل، الآية: ١٥،١٦.

٤٤- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، خديجة الحديثي، دار الرشيد للنشر، سنة النشر: (١٩٨١م)، ص١٠.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أولًا: مذهب المانعين مطلقا، ويمثل القائلين به ابن الضائع.[٤٥]

ثانيًا: مذهب المجوّز مطلقًا،[٤٦] وعلى رأسهم ابن مالك وتابعين له.

ثالثًا: وهو مذهب المتوسطين: وقد وقف هؤلاء موقفًا وسطًا بين المانعين مطلقًا والمجوّزين مطلقًا، وكان المتحدث بلسانهم والمدافع عن رأيهم الشاطبي.[٤٧]

ويرجع سبب رفض النحويين القدامى للاحتجاج بالحديث النبوي والاستشهاد به، ورفضه جملة إلى أمرين وهما:

١- إن المحدثين أجازوا نقل الأحاديث بالمعنى، ولم يتقيدوا باللفظ.
٢- وقوع اللحن في بعض الأحاديث؛ لأنّ في الرواة من ليس عربيا بالطبع ولا علم له بصناعة النحو.[٤٨]

ومثلما انقسم النحاة القدماء هذا الانقسام في الاحتجاج بالحديث وعدمه، وانقسم أيضًا علماء اللغة بعد ذلك قسمين: قسم يرى عدم الاحتجاج به، وقسم يرى ضرورة الاحتجاج به.

فالدكتور طه الراوي حاول أن يقف موقفًا إيجابيًّا في الاحتجاج بالحديث، فقد ردَّ على من قال بأَنَّ الحديث مروي عن أعاجم بقوله: "والقول بأنَّ في رواة الحديث أعاجم ليس بشيء؛ لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر اللذين يحتج بهما فإن فيهما الكثير من الأعاجم".[٤٩]

من الملاحظ أن النحاة القدماء والمحدثين في إجازة الاحتجاج بالحديث الشريف أو عدم إجازته هو عدم نقله جميعه بلفظ الرسول- صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم- وإنّما هناك نقل بالمعنى مما يؤدي إلى عدم إجازة نقله نقلا دقيقا من ناحية الصياغة التي يحاول أن يوصلها الرسول الكريم إلى الناس أجمعين، والسبب الآخر أن غالبية نقلته من الأعاجم الذين لا يعتد بعربيتهم.

وقد ناقش الكثير من العلماء هذين السببين نقاشًا واسعًا لا يسعنا ذكره الآن، فمنهم من كان مؤيّدًا، ومنهم من كان معارضًا، ولكلّ منهم حججه وأدلته، وعلى الرغم من

---

٤٥- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، خديجة الحديثي، ص٢٠.
٤٦- خزانة الأدب للبغدادي، ٩/١.
٤٧- خزانة الأدب للبغدادي، ٢٠،٢٩/١.
٤٨- ابن جني النحوي، فاضل صالح السامرائي، دار النذير ببغداد، سنة النشر: (١٩٦٩م)، ص١٣.
٤٩- ابن جني النحوي، فاضل صالح السامرائي، ص١٣٢.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذين السببين يعدّ الحديث الشريف حجَّةً في الاستشهاد اللغوي.

ففيما يخص نحاة شبه القارة وموقفهم من الاحتجاج فقد كان موقفهم موقف المؤيّدين للاحتجاج بالحديث النبوي الشريف، كما يقول الدكتور أبوبكر في مقاله: "هذه اللغة العالية التي هي الذروة من الفصاحة والقمة من البلاغة، كانت وما تزال المورد الثاني بعد القرآن من موارد دراسة اللغة العربية لغة ونحوًا وأدبًا وبلاغة."[٥٠]

وكذلك يسمع الاستشهاد بالحديث الشريف الشيخ ابن داود الحنفي في شرحه للهداية في النحو، حيث يقول: قوله: (مع إيراد الأمثلة) والأمثلة جمع المثال كالأئمة جمع الإمام، والمثال ما يذكر لإيضاح القاعدة، والشاهد يذكر لإثباتها فهو أخص من المثال؛ لأن كل ما يصلح أن يكون شاهدًا يصلح أن يكون مثالًا من غير عكس؛ لأن الإثبات لا يتيسر بكل كلام بل لابد له من أن يكون من التنزيل أو الحديث أو من كلام من يوثق بعربيته، بخلاف الإيضاح فإنه لا يحتاج إلى ذلك.[٥١]

وعلى الرغم من قلة الأحاديث النبوية التي استشهد بها النحاة مقارنة بكلام الله تعالى والأبيات الشعرية، إذ يُعتبر نحاة شبه القارة بمنزلة ابن مالك والرضي والجامي وآخرين ممن اشتهروا بالتوسع في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف.

**الأمثلة:**

وفيما يلي نماذج من الاستشهاد عند نحاة شبه القارة بالحديث النبوي الشريف.

**مسألة دخول "أن" على الأفعال المقاربة:**

وكما استشهد صاحب "كتاب النحو" بالحديث الشريف في البحث حول أفعال المقاربة، حيث يقول:[٥٢] "طفق، جعل، أخذ: هي من أفعال المقاربة، وتدخل على الفعل المضارع، ولكن لم يدخل "أن" على خبرها، نحو: كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الجَنَّةِ﴾[٥٣] وكما ورد في الحديث الشريف: {أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لِعَمَّارٍ حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ...}.[٥٤]

نلاحظ في هذه المسألة أن خبر أفعال المقاربة المذكورة يكون خاليًا من أداة "أنْ"،

---

٥٠- الاستشهاد اللغوي ومصادره: المناهج والقواعد، الدكتور أبو بكر، ص١٦٤.

٥١- وقاية النحو في هداية النحو، ابن داود الحنفي، ص١٠.

٥٢- انظر: كتاب النحو (باللغة الأردية) لعبد الرحمن أمر تسري الهندي، المحشي والمحقق: محمد أشرف تاجبوري، الناشر: إدارة صديق، كجرات- الهند، الطبعة الخامسة (٢٠١٩م)، ص٤٠.

٥٣- سورة طه، الآية: ١٢١.

٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة: (٢٠٠١م)، الراوي: أبو سعيد الخدري، حديث رقم: (٢٢٦٠٩).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

واستدلّ له بالقرآن والحديث، حيث نرى لم يدخلْ "أن" على الشاهدَين أي "يَخْصِفانِ" في الآية و"يَحْفِرُ" في الحديث.

**مسألة معاني حرف "مِنْ":**

وكما يستشهد محمد سعيد (ت١٤٠٦هـ) من الحديث الشريف في شرحه، حيث يقول:[٥٥] "وإنما تقع "مِنْ" لابتداء الغاية في غير الزمان نحو قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾،[٥٦] وفي الزمان أيضًا عند الكوفيين والأخفش والمبرد وابن درستويه، نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾،[٥٧] وفي الحديث: {فَمُطِرْنا مِن الجُمعَةِ إلَى الجُمعَةِ}.[٥٨]

نلاحظ في هذه المسألة دلالة "مِنْ" على غير الزمان والزمان أيضًا، واستدلّ له الشارح بالقرآن الكريم والحديث الشريف، حيث يدلّ "مِنْ" على الزمان أي نزل المطر من وقت الجمعة إلى وقت الجمعة المقبلة.

**مسألة أفعال المدح والذم:**

وكذلك يستشهد محمد فيض (ت١٤٣١ه-٢٠١٠م) من الحديث الشريف في شرحه للعوامل المائة في أفعال المدح والذم قائلًا:[٥٩] "الشرح: قوله: (وهو فعل) أي نعم بدليل لحوق تاء التأنيث الساكنة عليها، كما ورد في الصحيح البخاري، قال عمر بن الخطاب: {نَعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ}.[٦٠]

نلاحظ في هذه المسألة أن كلمة "نعم" فعل بدليل من الحديث السابق وهو لحوق تاء التأنيث الساكنة عليها، وتعتبر تاء التأنيث تاء ساكنة تتصل بالفعل الماضي فقط.

**مسألة أسماء الأفعال:**

يتحدث المحشي عن أسماء الأفعال- المصادر التي كانت في الأصل أصواتًا- استشهادًا من الحديث الشريف، حيث يقول:[٦١] قوله: (نحو "صه") فإنه نقل من الصوت إلى المعنى المصدري، ثم منه إلى اسم الفعل بمعنى "اسكت" وهكذا "مه"، قال النّبيّ

---

٥٥- الفرح الكامل على شرح مائة عامل للعلامة محمد سعيد (ت١٤٠٦هـ)، ص١١.

٥٦- سورة الإسراء، الآية: ١.

٥٧- سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

٥٨- سنن النسائي، الراوي: أنس بن مالك، كتاب الاستسقاء، (رقم الحديث: ١٥٠٤).

٥٩- انظر: التوضيح الكامل شرح شرح مائة عامل، محمد فيض أحمد أويسي، الناشر: المكتبة النظامية، لاهور- باكستان، ص٢٨٧.

٦٠- صحيح بخاري، الراوي: عبد الرحمن بن عبد القاري، كتاب صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان، رقم الحديث: (٢٠١٠)، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).

٦١- حاشية الفرح النامي على شرح ملا جامي، ابن داود عبد الواحد، الناشر: المكتبة المدينة- كراتشي، الطبعة الأولى، سنة النشر: (٢٠١٤م)، ص٢٨.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الكريم عليه الصلاة والتسليم: {إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَومَ الجُمُعَةِ صَه والإِمَامُ يَخْطُبُ فقَدْ لَغَوْتَ}.[٦٢]

نلاحظ في هذه المسألة دلالة اسم الفعل "صَه" على فعل الأمر "اسكت" احتجاجًا من الحديث الشريف.

**مسألة الإعراب النحوي:**

وكذلك استشهد صاحب النحو الكامل في كتابه، قائلا:[٦٣] "كذلك لما تكون أربعة أو خمسة أسماء، وأربعة أولى خالية من الألف واللام تجعل الإضافة بينهم، كما ورد في الحديث الشريف: {فَاطِمةُ سيّدةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ}."

نلاحظ في هذه المسألة أن المؤلف يذكر أصول الإعراب موضّحًا من الحديث الشريف، وهو لمّا تكون أربعة أو خمسة أسماء وأربعة أولى خالية من الألف واللام تجعل الإضافة بينهم، فلمّا نتوجّه إلى الحديث المذكور نجد فيه خمسة أسماء وأربعة أولى خالية من الألف واللام وهي (فَاطِمة- سيّدة- نِسَاء- أَهْل) والخامس معرفة بالألف واللام وهو (الجَنَّةِ) إذن تجعل الإضافة بينهم.

**مسألة علامات الاسم:**

وكما استشهد شارح "نحو مير" سردار أحد حسن- حفظه الله- من الحديث الشريف في شرحه "التبصير شرح نحو مير"، حيث قال: "لقد ذكر المؤلف إحدى عشر علامة للاسم، وأود أن أذكر بقية العلامات، فيما يلي:

دخول حرف النداء، نحو: يَا زيدُ"

دخول إنّ وأخواتها، نحو: إنّ زَيْدًا قَائمٌ

دخول لولا، نحو كما ورد في الحديث الشريف: (لَولَا عَلِيّ لَهَلَكَ عُمَرُ)...."[٦٤]

نلاحظ في هذه المسألة، محاولة الشارح بعد إنهاء شرح كلام المؤلف عن خواص الاسم، ذكر خاصية أخرى من خواص الاسم، ويستدلّ له من الحديث الشريف، حيث يذكر أنّ "لولا" أيضًا علامة من علامات الاسم؛ لأن لولا هو أحد حروف الشّرط غير الجازمة التي تدخل على الجملة الاسميّة، ويُفيد هذا الحرف امتناع شيء لوجود آخر، ويستدلّ به من الحديث الشريف المذكور آنفًا، حيث دخل "لولا" على الاسم وهو "عليّ".

**مسألة تقديم الخبر لأنّ:**

كما يقول شارح هداية النحو في شرحه حول تقديم الخبر لأنّ:[٦٥] "قوله: [إلا إذا كان

---

٦٢- سنن أبي داود، الراوي: أنس بن مالك، رقم الحديث: (١١١٢)، ٢٧٦/١.

٦٣- انظر: النحو الكامل (باللغة الأردية) جان محمد فريدي، ص٤٩.

٦٤- انظر: التبصير شرح نحو مير(باللغة الأردية) لسردار أحد حسن، الناشر: مكتبة النظامية، لاهور- باكستان-، سنة النشر: (٢٠٠٩م)، ص٦٣.

٦٥- وقاية النحو في هداية النحو، ابن داود الحنفي، ص٧٨.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ظرفا] أي: أخبار باب إنّ تخالف خبر المبتدأ في جواز التقديم في الأوقات كلها إلا وقت كونه ظرفًا، فحينئذ يجوز التقديم لمجال التوسع في الظروف؛ وذلك لأنّ كل حدث لا بد من أن يكون في زمان ومكان، فصار الظرف مع الحدث كالقريب المحرم للشخص يدخل حيث لا يدخل غيره من الأجنبي، والجار والمجرور جار مجرى الظرف للمناسبة للظروف، إذ كل ظرف في التقدير جار ومجرور، ثم تقديم الخبر جائز إن كان الاسم معرفة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[٦٦]، وواجب إن كان الاسم نكرة نحو قوله عليهِ الصّلاةُ وَالسّلامُ: (إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)[٦٧]..... وأيضًا قوله: (إنّ مِنَ الشّعْرِ حِكْمَةً).[٦٨]

نلاحظ في هذه المسألة جواز تقديم خبر "إنّ" إن كان الخبر ظرفًا، ويوضّح الشارح هذه المسألة احتجاجًا بالقرآن الكريم والحديث الشريف، فهنا يجوز تقديم خبر "إنّ" إن كان الاسم معرفة كما نراه في كل من الآيات السابقة (إِلَيْنَا+ عَلَيْنَا) شبه الجملتان بالجار والمجرور خبران مقدمان جوازًا؛ لأنّ اسمهما معرفة وهما (إِيَابَهُم+ حِسَابَهُمْ)، وواجب إن كان الاسم نكرة، كما وردت في كل من الأحاديث المذكورة (مِنَ البَيَانِ+ مِنَ الشّعْرِ) شبه الجملتان بالجار والمجرور خبران مقدمان وجوبًا؛ لأنّ اسمهما نكرة وهما (لَسِحْرًا وحِكْمَةً).

**مسألة علامات الفعل:**

وكما يستفيد محمد سيف الرحمن القاسم- حفظه الله- في ذكر علامات الفعل من الاستشهاد بالحديث النّبوي الشريف، كما قال:[٦٩] "قوله: (أن يصح الإخبار به لا عنه) الحاصل أنّ صحّة الإخبار به على قسمين أحدهما: ما يكون مع صحّة الإخبار عنه، وثانيهما: ما يكون مع عدم الصحّة، فالأوّل من علامات الاسم، والثاني من علامات الفعل، وقوله: (دخول قد)؛ لأنها إمّا للتقريب نحو: {قَدْ قَامَتِ الصَّلوة}،[٧٠] أو للتقليل نحو.....".

نلاحظ في هذه العبارة أن المؤلف استشهد بالحديث الشريف في ذكر علامات الفعل، حيث وردت "قد" على كلمة "قامتْ" التي تدلّ على كونها فعلًا.

---

٦٦- سورة الغاشية الآية: ٢٦.
٦٧- الصحيح البخاري، الراوي: عبد الله بن عمر، رقم الحديث: ٥٧٦٧.
٦٨- الصحيح البخاري، الراوي: أبي بن كعب، رقم الحديث: ٦١٤٥.
٦٩- عناية النحو شرح هداية النحو، مولانا محمد سيف الرحمن القاسم، الناشر: جامعة الطيبات للبنات الصالحات- كوجرانواله- باكستان، الطبعة الثانية، (٢٠٠٨م)، ص٢٤.
٧٠- سنن أبي داود، رقم الحديث: ٥٢٨، الباب الثاني، كتاب الصلوة.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**الاحتجاج بالشواهد الشعرية:**

قسم العلماء الشعراء على طبقات أربع:

"الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشى.

الطَّبقة الثَّانية: المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كَلبيد وحسان.

الطَّبقة الثَّالثة: المُتقدِّمونَ، وَيُقَالُ لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الطَّبقة الرَّابعة: المُولَّدونَ، ويُقال لهم المُحدثون، وهم الذين من بعد الإسلاميّين إلى زماننا، كبشار بن برد وأبي نواس."[٧١]

"وظهر اختلاف بين العلماء من ناحية الاحتجاج بهذه الطبقات، فالطبقتان الأوليّتان يُستشهد بشعرهما إجماعًا، وأمَّا الثَّالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها، وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يُستشهد بكلامها مطلقًا، وقيل: يستشهد بشعر أبي تمام في عدة مواضع من هذا الشرح."[٧٢]

وفيما يخص موقف نحاة شبه الجزيرة الهندية من الاحتجاج بالشواهد الشعرية فلا يختلفون عن الآخرين ممن سبقه من إكثارهم الاستشهاد بالشواهد الشعريَّة، فلا يكاد كثير من مسائل نحوية تخلو من شاهد شعري سواء كان استشهادًا أو تمثيلًا، اقتصرتُ في دراستي على بعض الشواهد الشعريَّة التي استشهد بها نحاة شبه القارة على بعض المسائل النحوية.

ومن تلك الشواهد ما يلي ذكرها:

**مسألة معاني "الباء":**

وكما يقول محمد سعيد (ت١٤٠٦هـ) في شرحه من خلال ذكر معاني "الباء":[٧٣]

"ثم اعلم أن المصنّف قد أهمل بعض المعاني، فمنها: البدل، كقول الشاعر الحماسيّ:

فليت لي بهم قومًا إذا ركبوا  شنوا الإغارة فرسانًا وركبانًا

أي: فليت لي بدلهم... إلخ، ومنها: الاستعلاء، نحو قول الشاعر:

أَرْبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ برَأسِهِ  لَقَدْ هَان مَنْ بَالَتْ عَلَيهِ الثَّعَالِبُ"

نلاحظ في هذه المسألة، محاولة الشارح بعد انهاء شرح كلام المؤلف عن معاني "الباء" ذكر معاني أخرى التي لم يذكرها المؤلف في كتابه، ويستشهد لها من الأشعار، حيث في البيت الأول يدلّ "الباء" على البدل وفي الثاني على الاستعلاء، أي: أرب يبول الثعلبان على رأسه.

---

٧١- رضي الدين الأستراباذي نحويًّا، رسالة ماجستير لأحياء عادل الحجاج، ص١١٨.

٧٢- خزانة الأدب للبغدادي، ٣٠/١.

٧٣- الفرح الكامل على شرح مائة عامل للعلامة محمد سعيد، ص٩.



ISSN: 2537-0847  eISSN : 2537-0898

**مسألة تنوين الترنم:**

وكذلك يستشهد رشيد أحمد (ت١٤٢٥هـ) بالشواهد الشعرية في شرحه، حيث قال: "قوله: (التنوين: مع تقسيمه إلى الأقسام الأربعة)..... وأما تنوين الترنم فهو ما يلحق آخر الأبيات والمصاريع لتحسين الإنشاء، وهذا التنوين لا يختص بالاسم بل يدخل على كل واحد من أقسام الكلمة الاسم والفعل والحرف، أما على الاسم والفعل فكما قال الشاعر:

أَقِلِّي اللَّومَ عَاذِلَ وَالعِتَابنْ وَقولِي إِنْ أَصَبتُ لَقَدْ أَصَابَنْ

والشاهد فيه قوله: "والعتابن" الذي هو الاسم، و"أصابن" الذي هو فعل الماضي لحقهما تنوين الترنم."[٧٤]

نلاحظ في هذه العبارة أن الشارح يستشهد بالشعر في مسألة إلحاق تنوين الترنم، حيثما لحق التنوين العروض والقافية، وهما: العتابن وأصابن، والأصل العتابا وأصابا، فجيء بالتنوين بدلًا من الألف، والأول اسم، والثاني فعل.

**مسألة عمل "ما" و"لا" المشبهتين بـ"ليس":**

كذلك يستشهد إرشاد أحمد- حفظه الله- من الأبيات الشعرية في شرحه لهداية النحو، حيث يقول:[٧٥] "ما" و"لا" المشبهتان بـ"ليس" يعملان في لغة أهل الحجاز، ونزل القرآن أيضًا في لغتهم، كما قال الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾[٧٦]، وأمّا بنو تميم فلا يعملونهما أصلًا، ويبقي الاسم والخبر مرفوعًا كما كانا مرفوعان قبل دخول أحدهما أي "ما ولا"، كما قال الشاعر عن لسان بني تميم شعرًا:

وَمُهَفْهَفٍ كَالغُصْنِ قُلْتُ لَهُ انْتَسِبْ فَأجَابَ: مَا قَتْلُ المُحِبِّ حَرَامُ"

نلاحظ في هذه المسألة أن الشارح يذكر لغتين في قبيلتين، حيث في لغة أهل الحجاز يعمل "ما" و"لا" المشبهتين بـ"ليس" على الاسم والخبر، كما نراه في التنزيل الحكيم (بَشَرًا) خبر "ما" منصوبًا، وأما بنو تميم فلا يعملونهما أصلًا، ويستدلّ له المؤلف بالشعر حيث "ما" لم يعمل على اسمها وخبرها، ودلّ على كونها مهملة.

**مسألة "ذو" بمعنى "الذي":**

وكذلك يستشهد الحافظ عبد الرشيد- حفظه الله- من الشعر في شرحه لهداية النحو حيث قال:[٧٧] و"ذو" أيضًا من أسماء الموصولة في لغة بني طيء فقط، ويأتي "ذو"

---

٧٤- معارف الكافية وعوارف الجامي لِرشيد أحمد بن الحافظ، ص٩٦.

٧٥- انظر: إرشاد النحو شرح هداية النحو (باللغة الأردية) لإرشاد أحمد، الناشر: المكتبة العلمية، بشاور- باكستان، دون سنة الطبع، ص١٧٢.

٧٦- سورة يوسف، الآية: ٣١.

٧٧- انظر: بداية النحو شرح هداية النحو، للحافظ عبد الرشيد خليق، الناشر: مكتبة نعمانية، لاهور- باكستان، سنة النشر: (٢٠١٢م)، ص١٤٣.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بمعنى "الذي" كقول الشاعر:[٧٨]

فَإنَّ المَاءَ ماءُ أَبي وَجَدِّي وَبِئْري ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ"

نلاحظ في هذه المسألة أن المؤلف يستشهد بالشعر على مجيء "ذو" اسمًا موصولًا بمعنى "الذي"، وهذا في لغة بني طيء، وتقدير الكلام: وبئري الذي حفرت والذي طويت.

**مسألة تنازع الفعلين:**

وكذلك يستشهد صاحب عناية النحو على هداية النحو بالشواهد الشعرية في مسألة "تنازع الفعلين"، حيث قال: "قوله: (والكوفيون يختارون إعمال الفعل الأول مراعاة للتقديم والاستحقاق) والمراد بها إنّ الكوفيين يختارون إعمال الفعل الأول مع تجويز إعمال الفعل الثاني مراعاة للتقديم والاستحقاق؛ لأنّ المقدّم أحق بأخذ الحكم من المؤخر؛ لأنّ التقديم من وظائف الأصل، والأصل أولى بأخذ الحكم، ولأنّ إعمال الفعل الأوّل لا يستلزم الإضمار قبل الذكر وإعمال الثاني يستلزمه، واستدلوا أيضًا بقول امرئ القيس:

ولو أنَّما أسعَى لأدَنى معيشةٍ كفاني ولم أطلبْ قليلٌ مِنَ المالِ

حيث قالوا: إن (كفاني) و(لم أطلب) تنازعا في (قليل من المال) وامرئ القيس من شعراء العرب الفصحاء أعمل الأول، فلو لم يكن إعمال الأوّل أولى لما اختاره بدليل أن الفصيح لا يختار إلا الوجه المختار، فلما اختاره دلّ على أنّ إعمال الأول هو المختار."[٧٩]

نلاحظ في هذه المسألة أن شارح "هداية النحو" يوضّح ويرجّح رأي الكوفيين في تنازع الفعلين وهو إعمال الفعل الأول مراعاة للتقديم والاستحقاق مستدلًا بشعر أمرئ القيس، حيث اختار إعمال الأوّل، وأنه حجّة على رجحان اختيار إعمال الأول؛ لأن الشاعر فصيح.

**النتيجة:**

يظهر لنا من خلال البحث المذكور أن نحاة شبه القارة الهندية يجيزون الاحتجاج من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية، مع ذلك ما يبرز في كتبهم أنهم يحتجون من القرآن الكريم أكثر وأغلب، ثم من الأبيات الشعرية ثم من الأحاديث الشريفة.

---

٧٨- الخزانة ٣٤/٦، عجز بيت من بحر الوافر قاله سنان بن الفحل الطائي.

٧٩- عناية النحو على هداية النحو، المحشي: ابن داود مولانا عبد الواحد الحنفي، ص٦٣.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

**المصادر والمراجع:**


- القرآن الكريم
- صحيح بخاري، الراوي: عبد الرحمن بن عبد القاري، كتاب صلاة التراويح، باب: فضل من قام رمضان، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٢م).
- سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، بدون سنة الطبع.
- سنن النسائي، الناشر: مؤسسة الرسالة، رقم الطبعة: الأولى، سنة (٢٠٠١م).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل للإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة: (٢٠٠١م).
- ابن جني النحوي، فاضل صالح السامرائي، دار النذير ببغداد، سنة النشر: (١٩٦٩م).
- إرشاد النحو شرح هداية النحو لإرشاد أحمد، الناشر: المكتبة العلمية، بشاور- باكستان، دون سنة الطبع.
- الاستشهاد اللغوي ومصادره: المناهج والقواعد، الدكتور أبو بكر، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور- باكستان، العدد الرابع والعشرون (٢٠١٧م).
- أغراض شرح جامي، محمد يوسف القادري، الناشر: شبير برادرز، لاهور- باكستان، سنة النشر: (٢٠١٧م).
- بداية النحو شرح هداية النحو للحافظ عبد الرشيد خليق، الناشر: مكتبة نعمانية، لاهور- باكستان، سنة النشر: (٢٠١٢م).
- التبصير شرح نحو مير لسردار أحد حسن، الناشر: مكتبة النظامية، لاهور- باكستان، سنة النشر: (٢٠٠٩م).
- التوضيح الكامل شرح شرح مائة عامل، محمد فيض أحمد أويسي، الناشر: المكتبة النظامية، لاهور- باكستان.
- جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، الناشر: المكتبة العصرية، سنة النشر: (١٩٩٤م)، رقم الطبعة: ٣٠.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، الناشر: المكتبة العصرية، الإصدار: (٢٠١٧م).
- حاشية الفرح النامي على شرح ملا جامي، ابن داود عبد الواحد، الناشر: المكتبة المدينة- كراتشي، الطبعة الأولى، سنة النشر: (٢٠١٤م).
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: (١٤١٨م-١٩٩٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر.




ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- درسي تقرير (التقرير الدراسي) في شرح ملا الجامي، مولانا محمد أمين، الناشر: مكتبة فريدية، إسلام آباد- باكستان.
- رضي الدين الأستراباذي نحويًّا، رسالة ماجستير لأحياء عادل الحجاج، سنة (٢٠٠٣م)، جامعة موته.
- عناية النحو شرح هداية النحو، مولانا محمد سيف الرحمن القاسم، الناشر: جامعة الطيبات للبنات الصالحات- كوجرانواله- باكستان، الطبعة الثانية، (٢٠٠٨م).
- عناية النحو على هداية النحو، المحشي: ابن داود عبد الواحد، الناشر: مكتبة المدينة، كراتشي- باكستان-، الطبعة الخامسة (٢٠١٢م).
- الفاء في القرآن الكريم، الباحث عبد الله حميد غالب، رسالة ماجستير (١٩٨٦م)، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى.
- الفرح الكامل على شرح مائة عامل للعلامة محمد سعيد (ت١٤٠٦هـ)، الناشر: مكتبة المدينة، كراتشي- باكستان.
- كتاب النحو لعبد الرحمن أمر تسري الهندي، المحشي والمحقق: محمد أشرف تاجبوري، الناشر: إدارة صديق، كجرات- الهند، الطبعة الخامسة (٢٠١٩م).
- لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار المعارف، سنة: (٢٠١٦م).
- مختار النحو شرح هداية النحو لمحمد شبير النعيمي الهندي، الناشر: مكتبة أهل السنة، لاهور- باكستان، دون سنة النشر.
- مصباح المعاني شرح شرح مُلّا جامي للشيخ محمد غلام سرور، الناشر: المكتبة القديمة، كراتشي- باكستان، بدون سنة الطبع.
- معارف الكافية وعوارف جامي لِرشيد أحمد بن الحافظ (ت١٤٢٥هـ)، الناشر: المدرسة العربية قاسم العلوم، سوات- باكستان، الطبعة الأولى: سنة النشر: (١٤٢٥هـ).
- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) لأحمد رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة- بيروت، سنة النشر: (١٩٥٨م).
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، الناشر: مؤسسة الرسالة- دار الفرقان، الطبعة الأولى، سنة النشر: (١٩٨٥م)،
- موازنة بين شرح الرضي الأستراباذي وشرح ابن جماعة على كافية ابن الحاجب، رسالة الدكتوراه لأمة السلام الشامي، حزيران، سنة: (١٩٩٨م).
- موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث، خديجة الحديثي، دار الرشيد للنشر، سنة النشر: (١٩٨١م).
- النحو الكامل، جان محمد فريدي، الناشر: دار العلوم المدينة المنورة، أوكاره- باكستان، سنة النشر: (٢٠٠٨م).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- وقاية النحو في شرح هداية النحو، ابن داود الحنفي، تقديم: مجلس المدينة العلمية، الناشر: مكتبة المدينة، كراتشي- باكستان-، الطبعة الأولى، سنة: (٢٠٠٦م).

- **Translation of sources and references:**

- The Holy Quran
- Sahih Bukhari, narrator: Abd al-Rahman ibn Abd al-Qari, Book of Tarawih Prayers, Chapter: The Virtue of One Who Prays in Ramadan, Dar Ibn Katheer, Damascus - Beirut, first edition 2002 AD.
- Sunan Abi Dawud, edited by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, publisher: Al-Maktabah Al-Asriyah, Beirut, without year of publication.
- Sunan Al-Nasa'i, Publisher: Al-Resala Foundation, Edition No.: First, year 2001 AD.
- Musnad of Imam Ahmad ibn Hanbal by Imam Ahmad ibn Hanbal, edited by: Shuaib Al-Arnaout, publisher: Al-Resala Foundation, first edition, year: 2001 AD.
- Ibn Jinni Al-Nahwi, Fadel Saleh Al-Samarrai, Dar Al-Nazir in Baghdad, year of publication: 1969 AD.
- Irshad Al-Nahwah Explanation of Hidayat Al-Nahwah by Irshad Ahmad, Publisher: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah, Peshawar - Pakistan, without the year of publication.
- Linguistic citation and its sources: Curriculum and grammar, Dr. Abu Bakr, Arabic Section Journal, University of the Punjab, Lahore - Pakistan, Issue Twenty-Four 2017 AD.
- Objectives of Sharh Jami, Muhammad Yusuf Al-Qadri, Publisher: Shabir Baradars, Lahore - Pakistan, Publication Year: 2017 AD.
- The beginning of grammar, explaining the guidance of grammar by Hafiz Abdul Rashid Khaleq, publisher: Numaniyah Library, Lahore - Pakistan, year of publication: 2012 AD.
- Al-Tabisir Sharh Nahwa Mir by Sardar Ahad Hassan, Publisher: Al-Nizamiya Library, Lahore - Pakistan, Year of Publication: 2009 AD.
- The complete clarification Sharh Sharh 100 Factors, Muhammad Faiz Ahmad Owaisi, Publisher: Al-Matbatah Al-Nizamiyah, Lahore - Pakistan.



ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- Jami' al-Durs al-Arabiyah, Mustafa al-Ghalayini, publisher: Modern Library, year of publication: (1994), edition number: 30.
- Jawaher Al-Balagha fi Al-Ma'ani, Al-Bayan and Al-Badi', Al-Sayyid Ahmad Al-Hashemi, Publisher: Al-Maktabah Al-Asriyah, Edition: 2017 AD.
- Hashiyat al-Farah al-Nami on the explanation of Mulla Jami, Ibn Dawud Abdul Wahid, publisher: Al-Madina Library - Karachi, first edition, year of publication: 2014 AD.
- The Treasury of Literature and the Heart of the Door of Lisan Al-Arab, Abdul Qadir bin Omar Al-Baghdadi, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, year of publication: (1418 AD - 1997 AD), Al-Khanji Library, Cairo - Egypt.
- Study report (study report) in the explanation of Mulla Al-Jami, Maulana Muhammad Amin, publisher: Faridiya Library, Islamabad - Pakistan.
- Radhi al-Din al-Astarabadhi Grammar, Master's Thesis on the Biology of Adel al-Hajjaj, year (2003 AD), Mutah University.
- Inayat al-Nahwah, Explanation of Hidayat al-Nahwah, Maulana Muhammad Saif al-Rahman al-Qasim, Publisher: Al-Tayyibat University for Pious Girls - Kujranwala - Pakistan, second edition, (2008 AD).
- Attention to Grammar on the Guidance of Grammar, Al-Mahshi: Ibn Dawud Abdul Wahid, Publisher: Madinah Library, Karachi - Pakistan -, fifth edition 2012 AD.
- The Fa in the Holy Qur'an, researcher Abdullah Hamid Ghaleb, Master's thesis (1986), College of Arabic Language, Umm Al-Qura University.
- Al-Farah Al-Kamil Ali Explanation of One Hundred Factors by the scholar Muhammad Saeed (d. 1406 AH), Publisher: Madinah Library, Karachi - Pakistan.
- The Grammar Book by Abd al-Rahman Amir Tasri al-Hindi, edited and edited by: Muhammad Ashraf Tajpuri, publisher: Siddiq Administration, Gujarat - India, fifth edition 2019 AD.
- Lisan Al-Arab, Ibn Manzur, Publisher: Dar Al-Maaref, Year: 2016 AD.


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- Mukhtar Al-Nahwah, Sharh Hidayat Al-Nahwah, by Muhammad Shabir Al-Naimi Al-Hindi, Publisher: Ahl Al-Sunnah Library, Lahore - Pakistan, without the year of publication.
- Misbah Al-Maani Sharh Sharh Mulla Jami by Sheikh Muhammad Ghulam Suroor, Publisher: Old Library, Karachi - Pakistan, without year of publication.
- Ma'arif al-Kafiya wa Awarf Jami by Rashid Ahmad bin al-Hafiz (d. 1425 AH), Publisher: Arab School Qasim al-Ulum, Swat - Pakistan, first edition: Year of publication: 1425 AH.
- Dictionary of the Language Text (Modern Linguistic Encyclopedia) by Ahmed Reda, Publisher: Al-Hayat Library House - Beirut, Publication Year: 1958 AD.
- Dictionary of Grammatical and Morphological Terms, Muhammad Samir Al-Labadi, Publisher: Al-Resala Foundation - Dar Al-Furqan, first edition, year of publication: 1985 AD.
- A balance between the explanation of Al-Radi Al-Astarabadi and the explanation of Ibn Jama'a on Kafiya Ibn Al-Hajib, doctoral dissertation to Ummah Al-Salam Al-Shami, June, year: 1998 AD.
- The Grammarians' Position on Invoking Hadith, Khadija Al-Hadithi, Dar Al-Rasheed Publishing, Year of Publication: 1981 AD.
- Complete Grammar, Jan Muhammad Faridi, Publisher: Dar Al-Ulum Medina, Ukarah - Pakistan, Publication Year: 2008 AD.
- The protection of grammar in explaining the guidance of grammar, Ibn Dawud al-Hanafi, presented by: Al-Madina Scientific Council, publisher: Al-Madina Library, Karachi - Pakistan -, first edition, year: (2006 AD).


ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898